مفاتيح المعرفة

تأليف

مصطفى غالب

« دكتور في الفلسفة والتاريخ »

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

مَفَاتِيحُ المَعْرِفَةِ

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

هاتف: ٢٧٣٦٣٦ - ٢٧٥٥٣٢ - ٢٧٥٥٦٣ - ٢٧٥٨٦٧ - ص.ب: ١٣/٥٠٥١ بيروت - لبنان

الإهـــداء

أقدم هذا الكتاب العقلاني ، إلى كل أخ ، وهب جسده ونفسه ، لمعرفة حقائق الوجود والموجودات ، العلوية والسفلية ، وعالم الإبداع ، والإنبعاث ، فحلق في متاهات العقول ، الساطعة أشعتها في عالمنا المحسوس ، وعبّ من ينابيع الجواهر النفسية الخيّرة المعطاة .

المؤلف

مقـــدمـــة

عندما خلقت جسدي الفاني ، ووقفتُ نفسي الخيرة لدراسة العلوم العرفانية ، شعرت بحاجة الأجيال الصاعدة إلى تكوين فكرة صحيحة عن هذه العلوم الحقانية ، التي تنقل النفس إلى حقائق المعاني الموجودة في بستان الإبداع والإنبعاث ، لتأكل من ثمره الطيب ، وفاكهته اللذيذة ، وتقطف من رياحينه الزكية ، ووروده العطرة الندية .

ولما كانت أبحاثي ودراساتي لهذه العلوم بدأت منذ ربع قرن ، أطلعت خلالها على العديد من النصوص والمصنفات التي كتبها ، وصنفها ، دعاة ، وعلماء أهل الحق ؛ والتي ظلت قرون عديدة تعيش في كهوف التقية ، وخزائن النسيان ، عملاً بنظام التقية المعروف لدى الشيعة عامة ، وجماعة أهل الحق خاصة .

ونظام التقية يعني المحافظة على الأسرار المودعة في مصنفات أهل الحق ، باعتبارها من أسرار المبدع ، وأسرار الأنبياء ، والأئمة ، والحكماء ، وجواهرِ علومهم العرفانية ، التي لا أذن لأحد في كشفها وأظهارها إلا عند أهلها ، ولا يسمح مطلقاً بكشف القناع عنها إلا بين يدي صاحبها ؛ لقوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ .

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المخلصين من الأنبياء والحكماء ، أن يشددوا ويبالغوا في المحافظة على الأسرار ، لذلك قالوا : » إفشاء سر الربوبية كفر ، وهتك أستار الألوهية زندقة » . وقالوا أيضاً : « لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها ، فتظلموها ، ولا تمنعوها عن أهلها ، فتظلموهم . كونوا كالطبيب الشفيق يضع الدواء موضع الداء » . وفي أقوال الأئمة الكثيرة ما يعطي الدليل الواضح على ان التقية كانت جزء لا يتجزأ من عقائد جماعة أهل الحق لقولهم : إن أمرنا صعب مستصعب ، لا يحمله إلا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو مؤمن امتحن الله قلبه

بالايمان . وقول الامام جعفر الصادق ، الذي يشير فيه إلى التقية ، وضرورة المحافظة على الأسرار : التقية ديني ودين آبائي . فمن لا تقية له ، لا دين له ، وهو يقصد -الاحتراز ، وعدم إفشاء الأسرار الإلهية .

ويروى عن الإمام علي زين العابدين عليه السلام انه قال في أبيات منسوبة إليه :

إني لأكتم من علمي جواهره	كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدمنا فيها أبو حسن	مع الحسين ووصى قبلها الحسنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي : أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

رأيت من واجبي ، ورغم خروجي الواضح عن نظام التقية ، بأن أقدم للقراء هذا الكتاب الشامل الذي يحوي كافة العقائد العرفانية الخاصة بجماعة أهل الحق ، خدمة للحقيقة ، وتنويراً للاذهان ، وحرصت على تقسيمه إلى سبعة حلقات ، تضم كل حلقة منها سبعة مفاتيح ، ما عدا الحلقة الأخيرة ، فقد جعلتها في اربعة عشر مفتاحاً لتكون الفائدة أعم وأشمل ، ولكون هذه التقسيمات تطابق ترتيبات الدعوة ، وتنسجم مع تنظيمات العوالم ، والكواكب والأفلاك .

وأهل الحق الذين أخذت عنهم هذه العلوم كانوا كالهيولى القابلة لصور العقائد العرفانية كلها ، التي يصعب على بعض الأذهان المحجوبة عن الحق تصورها واستيعابها ، لما فيها من رموز واشارات ، ومطابقات بين العوالم العلوية والسفلية ، تهيء نفس القارىء إلى معرفة جوهرها ، لمزاولة التوحيد ، والعبادة ، والطاعة ، ومعرفة الذات ، والصفات ، والأفعال .

ولقد استعانوا في تقرير ذلك كله بالأمثلة المحسوسة ، التي تقرب المعاني الحقة إلى الأذهان ، وبالمطابقات المعقولة ، التي توصل إلى الإيمان والإيقان ، والإطلاع على الأسرار العالية ، والحقائق الإلهية ، المتعلقة بالإبداع والإنبعاث ، وتنظيم عالم العقول ، وعالم الأمر ، والشريعة والحقيقة ، والوحي والإلهام والكشف .

والبحث عن حقائق الوجود والموجودات ، هو علم عرفاني ماورائي يهدف إلى رفع الستار عن الخفايا والأسرار المحجوبة عن إدراك الإنسان ، والخارجة عن اعتبار البشر بمشاهدتها بالحواس ، واستنباطها بطريق القياس . لذلك لا يحيط بهذه العلوم إحاطة كلية إلا من له صفة الخلق والأمر . وقد ترك لأبناء البشر أن يبذلوا ما في وسعهم وطاقتهم ، لاستيعاب ما يمكنهم استيعابه من الحكمة الربانية ، والفوائد العقلية ، فيأخذ كل بحسب جهده ، وبمقدار تهيؤه لقبول هذه المعارف . ولذلك قال أحد الحكماء : إن من كان للعلم ألزم ، وعليه احرص وأدوم ، وفيه أرغب ، فهو إلى كمال الإنسانية أقرب .

وكلما كانت النفس أعقل ، فعقلها يؤدي إلى حسن الإعتبار ، وجودة الإختيار ، ومجانبة الأشرار ، ومرافقة الأخيار . ومن كان إلى ذلك أميل كان في إستكمال فضائله أعدل . ومن كان أعدل فهو أفضل وأكمل ، وأحسن وأجمل . ومن كرمت عليه نفسه علت همته فهو أبداً يسمو بها إلى معالي الأمور ، ونفيس المراتب ، وحيازة فضل العلم بكمالها ، والتحلي بأشرف حلاها . فإذا علت همته وزكت نفسه استوجب أن يشار إليه بالعقل ، والعاقل يقوده عقله إلى محل البقاء والدوام .

فأحرص أيها القارىء الكريم على طلب العلم الكلي ، ومعرفة حقائق الأشياء بعللها ، ومعلولاتها ، وماهية طباعها التي جبلت عليها ، ولمياتها التي خلقت لأجلها ، والإحاطة بجميع ذلك علماً كلياً بقدر طاقتك ، وما يتيسر لك من المصنفات العرفانية ، فبهذا تنال الفضيلة الكلية ، وترتسم نفسك بالأخلاق الحميدة ، وتبتعد عن تعاطي الموبقات ، وتلتزم بالعدل والإنصاف ، وتعلم العلم الحقاني ، لتخرج نفسك من حد القوة إلى حد الفعل ، فتكمل صورتها وأخلاقها ، وتسلك الصراط المستقيم ، والطريق القويم ، فتنتقل من أدون المنازل إلى أشرفها ، ومن أسفلها إلى أعلاها ، حتى تصير مع الملائكة ، فتجاور الرحمن في جنات النعيم .

وأشدد عليك يا أخي بضرورة القيام بالعبادتين العملية والعلمية ، جنباً إلى جنب ، ولا تغفل عن إحداهما وتتعلق بالأخرى ، لأن في ذلك مخالفة صريحة لتعاليم وإرشادات وعلوم أهل الحق الذين بذلوا النفس والنفيس في سبيل اسعادك ، وتربيتك

التربية الصحيحة لتكون قدوة ونبراساً ينير الطريق للأجيال القادمة .

وليس هدفنا من وراء هذا الكتاب سوى بيان الخطوط الرئيسية لعقيدة أهل الحق ، واظهار النقاط العرفانية ، فيها ، تمهيداً لإستيعابها والإقتداء بها علماً وعملاً ، لأنها جامعة لجواهر العلوم ، والذي دعانا إلى تأليف هذا الكتاب ، وحثنا على نشره ، لتداوله الأيدي ، هو ماروي عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، إنه قال : إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه ، وكان من أعظم البدع ، ماقد اختلقه كثير من دعاة العلم والمعرفة ، من زخرف المقال ، وقبيح الأفعال ، وسيئات الأعمال ، من إدخال بعض العقائد في صلب عقائد دعوة أهل الحق وهم منها ومن أمثالها براء .

ولقد خصصت الحلقة الأولى التي تضم سبعة مفاتيح للتكلم عن التوحيد والتجريد والتنزيه ، كما يفهمه جماعة أهل الحق فقلت في المفتاح الأول إن الله سبحانه وتعالى هو علة العلل ، والعلة الأولى اللامعلومة التي يتعذر إدراك ماهيتها لأننا عاجزون عن إدراك وجودها ، لأن وجودها هو ذاته ، والذات والوجود واحد في الله . ومهما بلغ العقل البشري من السمو والإرتقاء يقف عاجزاً عن ادراك الله بنوره إلا إدراكاً ناقصاً ، وهذا الإدراك لا يكون إلا من جهة آثاره . ولما كانت هذه الآثار غير كاملة بالذات لأنها متناهية والله غير متناهٍ . ، فقد صح العجز عن ادراك الماهية الإلهية بنور العقل البشري الذي سبر أعماق الحقائق الكونية ، وحلق في متاهات الإكتشافات الفضائية .

وبما أن الباري موجود بذاته ، الذي يوجد عنه كل ما في الامكان وجوده على أحسن وجوه الدقة والنظام والكمال ، فقد نزه عن جميع الصفات التي تتصف بها موجوداته ، ومبدعاته ، وهو لا مثال له لأنه مبدأ كل موجود ، ولاستناد جميع الموجودات في وجودها إليه ، ولصدورها عنه إبداعاً لا من شيء ولا من مادة ولا بآلة ولا بمعين ولا بمثال صورة معلومة عنده . ومن هنا تكونت نظرية التوحيد والتجريد والتنزيه .

وذكرت في المفتاح الثاني أمر الله جل جلاله الذي أوجد به كافة المبدعات

والمخترعات والموجودات العلوية والسفلية ، وهو الكلمة التي ظهرت بواسطتها العوالم والموجودات .

وتحدثت في المفتاح الثالث عن عالم الإبداع الذي هو المبدع الأول الذي تعرف به الأصول والفروع ، والعلل والمعلولات ، والأسباب والكائنات ، وانه الطريق الموصل إلى التوحيد ، وإلى معرفة الحدود العقلانية ، المترتبة في عالم الصنعة الإلهية .

وفي المفتاح الرابع تكلمت عن العقل الأول ، والموجود الأول ، الذي وجد على طريق الإبداع والاختراع لا من شيء لأنه هو الشيء الأول والموجود الأول ، والمبدع الأول ، الذي يصدر عنه التوحيد ، لأن المبدع بريء من الصفات الواقعة تحت اختراعه ، ومتقدس عنها لأنه فاعلها وفاعل الأشياء كلها .

وذكرت في المفتاح الخامس الإنبعاث الذي هو انفعال مالا عن قصد أول ، وهو وجود يحصل عنه ذات جامعة لأمرين : بأحدهما تكون محيطة ، وبالآخر تكون محاطة ، فتشرق تلك الذات عند ملاحظتها ذاتها ، فيحصل من بين الأمرين خارجاً عنها أمر يثبت بثبوت الذات . والانبعاث هو سطوع نور عن ذات المُبْدَع الذي هو العقل الأول وذلك بأشراق ذاته عند احاطته بها وعقله إياها ، وملاحظته لها في ذاته .

وأشرت في المفتاح السادس الى الجد ، والفتح ، والخيال ، وإلى انهم الحدود العلوية الروحانية اللطيفة الذين يوصلون التأييد والوحي الى الأنبياء ، وهم حدود روحانية غير متجسمة . وفي المفتاح السابع تحدثت عن النفس الناطقة الجوهرة الروحانية الحية بالذات العلاقة بالقوة ، الفعالة بالطبع .

وانتقلت الى الحلقة الثانية ، فجعلت المفتاح الأول منها لتعريف المبدأ والمعاد ، والمفتاح الثاني للثواب والعقاب ، والمفتاح الثالث للبعث والقيامة ، والمفتاح الرابع للقضاء والقدر ، والمفتاح الخامس للأدوار والأكوار ، والمفتاح السادس للجنة والنار ، والمفتاح السابع للفترات والقرانات . ثم جاء دور الحلقة الثالثة التي خصصتها للحدود السفلية في عالم الصنعة النبوية ، النبوة ، الإمامة ، داعي الدعاة ، الداعي المطلق ، المأذون ، المكاسر . أما الحلقة الرابعة فقد خصصناها

للعبادة ، والتأويل ، والشريعة والحقيقة ، والقوة والفعل ، والتقمص .

وفي الحلقة الخامسة تكلمنا في المفتاح الأول عن التبني الروحي ، وفي المفتاح الثاني عن الآباء والأمهات ، وفي المفتاح الثالث عن الرضاع في الباطن ، وفي المفتاح الرابع عن المفيد والمستفيد ، وفي المفتاح الخامس عن الأخاء ، وفي المفتاح السادس عن وحدة الأديان ، وفي السابع عن الشمول عند جماعة أهل الحق .

وأفردنا الحلقة السادسة للإشارة إلى العلل والمعلولات ، والموجود والموجودات ، وإلى ماهية العشق الإلهي ، والمدينة الفاضلة والحروف العلوية ، والأركان الأربعة ، والمواليد الثلاثة .

أما الحلقة السابعة فقد جعلتها في اربعة عشر مفتاحاً تكلمنا في المفتاح الأول عن الجوهر ، وفي المفتاح الثاني عن الاعراض ، وفي الثالث عن الصورة ، وفي الرابع عن الهيولى ، وفي الخامس عن الأعداد ، وفي السادس عن الكواكب والأفلاك ، وفي السابع عن عالم الأجسام ، وفي الثامن عن العرش ، وفي التاسع عن الكرسي ، وفي العاشر عن القلم ، وفي الحادي عشر عن الهندسة ، وفي الثاني عشر عن الموسيقى ، وفي الثالث عشر عن الأخلاق ، وفي المفتاح الرابع عشر تحدثنا عن الإلهام والكشف .

هذه هي المواضيع التي عالجتها في هذا الكتاب بدقة واهتمام ، وتأمل زائد في المنطلقات العقلانية لهذه العلوم العرفانية التي صنف فيها جماعة أهل الحق عشرات المجلدات ، وآلاف الصفحات ، فلاقت ما لاقته من تقدير وإعجاب . لذا فقد اعتمدت على ما تركوه لنا من تراث لا يزال بعضه مخطوطاً حتى الآن ، في استخلاص بعض الآراء التي لم نعثر عليها في الكتب المطبوعة نظراً لقلتها ، ولعدم تعرض بعضها لمثل هذه العلوم بالتفصيل والدقة التي ننشدها .

ولقد كنت خلال المدة التي استغرقها تأليف هذا الكتاب أنقب وأبحث وأدقق في كل نص أعثر عليه خلال مطالعاتي وأبحاثي فأجمعه وأصنفه حتى استعين فيه عندما أشرع في تأليف الكتاب ، وبقيت على هذه الحال سنوات وسنوات ، حتى جمعت كافة المواد المطلوبة ، فبدأت في الكتابة في مطلع عام ١٩٦٨ ، حيث كتبت ثلاث حلقات ، وتوقفت عن الكتابة لأسباب قاهرة مدة اربع سنوات ، أي حتى منتصف

عام ١٩٧٢ حيث عاودت الكتابة ، ولكن سرعان ما توقفت بعد اتمام الحلقة الرابعة ، ثم عاودت الكتابة مصمماً على انجاز الكتاب مهما كانت الصعاب . وبالفعل أعانني الله ، واستطعت ان أفرغ منه في مطلع عام ١٩٧٦ ميلادية .

وفي نهاية المطاف لا بد لي من توجيه كلمة قصيرة للقراء وكلي أمل ورجاء أن يكونوا صادقين مع أنفسهم ، فيزينون الأمور بميزان الحقيقة والواقع ، فلا ينخدعون بالمظاهر البراقة ، ولا بالدعايات الكاذبة الهادفة إلى تشويه معالم دعوة أهل الحق ، التي واكبت الكون منذ وجوده ، ولا تزال هذه الدعوة تتفاعل في المجتمعات البشرية حتى هذه الساعة .

وبصراحتنا المعتادة والتي عبرنا عنها في اكثر كتبنا التي وضعناها موضع التداول نقول بأن الحقيقة العرفانية التي يجسدها هذا الكتاب تستحق العناية والدراسة والبحث ، لما بذلنا فيه من جهود وقدمنا من معلومات جديرة بالاهتمام والتقدير .

وفي اعتقادي أن المجتمعات التي يعيش فيها جماعة أهل الحق في الوقت الحاضر هي بأمس الحاجة للتوجيه والأرشاد نحو الأفضل ، والأكمل ، والأمثل ؛ وخاصة النخبة الواعية من الشباب المثقف الذين يتخبطون من ناحية اعتقاداتهم الدينية بين المد والجزر ، وبين سلوكية المسؤولين عن القيادة الدينية والدنيوية ، الذين يتصرفون بمقدرات الدعوة حسب مزاجهم وتفكيرهم .

واتوسل إليه تعالى أن يلهم الجميع الصواب ، ويعود بهم إلى طريق الرشاد ، متمثلاً بقول الشاعر :

جزى الله خيراً من تأمل صنعتي وقابل ما فيها من السهو بالعفو
وأصلح ما أخطأت فيها بفضله وفطنته واستغفر الله من سهوي

والله الموفق لما فيه الصواب ، واليه المرجع بالمآب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

١٩٧٣/٣/٩ مصطفى غالب

مفاتيــح المعرفــة

« يشتمل هذا الكتاب على سبعة حلقات في علم الحقيقة العرفاني
وكل حلقة من هذه الحلقات تضم سبعة مفاتيح عرفانية إلاَّ الحلقة السابعة
فهي في أربعة عشر مفتاحاً »

الحلـــقة الأولى

« في التوحيد والتسبيح ، والحدود الروحانية العلوية »

المفتاح الأول
« التوحيد والتجريد والتنزيه »

لو ألقينا نظرة شاملة على هذا الكون الفسيح المترامي الأطراف ، البعيد الأغوار ، وتأملنا النظام العجيب الدقيق ، والترتيب البديع ، الذي نشاهده بأعيننا المجردة ، من أصغر جسم الى أكبره ، وارتباط هذه المخلوقات بعضها ببعض كسلسلة من الحلقات ، لأدركنا بما لا يقبل الشك والجدل والنقاش بأنه لا بد من وجود منظم نظمها ، ومرتب رتبها ، ومحرك حركها ، وصانع صنعها ، ومبدع أبدعها ، وموجد أوجدها منذ البدء والنشوء .

وبتحليلنا هذه الأمور تحليلاً دقيقاً ، في ضوء العقل والمنطق ، نلمس أن كل عمل منظم ، مهما كان نوعه وحجمه ، يقتضي علة منظمة تنظم الأجزاء المتعددة والمختلفة ، أو المتفقة المتساوية ؛ وتوجهها الى غاية مقصودة ، وأهداف منشودة محددة .

ولا غرو بأن القوى المادية المحسوسة ، اذا تركت بذاتها ولذاتها ، يختلف نظامها وترتيبها ، لأن الأعمال المنظمة المرتبة لا تصدر إلّا عن علة عاقلة ترتبها وتنظمها وتحركها وتسيرها من أجل فائدة بعضها بعضاً . لذلك وجب ان يكون لكافة المخلوقات والموجودات العلوية والسفلية ، منظم ومرتب حكيم نظمها ورتبها وسيرها بهذه الدقة المتناهية .

ومن المفروض علمياً ومنطقياً أن يكون المُنَظِمْ أو المُرَتِبْ أو المَسْيِّرْ أقدم وأسبق من المُنَظَمْ والمُسَيَّرْ والمُرَتَبْ لأنه علة لتنظيمه وترتيبه وتسييره منذ وجوده ، والمُوجَدْ علة للمُوجَدْ منذ البدء والنشوء ، بإعتبار كل موجَدْ هو حادث بالنسبة لقِدم وأزلية وسبق المُوجِدْ .

والمخلوقات البشرية على اختلاف أهوائهم وتفكيرهم وتأملهم ودرجات

عرفانهم ، ميالون بالفطرة والسليفة الى الاعتراف بوجود مُوجِدْ عظيم ، عاقل حكيم أرفع وأسمى وأقدم من كافة الموجودات والمخلوقات لأنه علة ايجادها واصل خلقها وتنظيمها وترتيبها وتسييرها في حركة دائمة لحفظها واستمرارها الى ما لا نهاية له ، وهو المُبْدِعْ أو الخالق أو الصانع المُوجِدْ .

وهذا المُبْدِعْ الخالق الصانع الموجِدْ يتمتع بقوة جبارة عظيمة مهما اختلفت الزوايا التي ينظر منها الانسان اليها فستظل القوة الأصلية الثابتة والحافظة العوالم في حركة مستمرة ورباط وثيق كأرتباط المعلول بالعلة ، والمخلوق بالخالق ، والصنعة بالصانع لأنه مبدأ ومرجع كل شيء ، ذو كمال متناهٍ بإعتباره الكائن الموجود من ذاته ، أي الموجود الذي يوجد بمجرد ماهيته ، ، فلا يحتاج إلى علة خارجة تعطيه الوجود ، لكون مالا يوجد من ذاته ، يحتاج في وجوده الى علة فاعلة تحدثه ، ووجود العلل الفاعلة المترتبة بالذات دليل واضح على وجود علة أولى لها يتعلق بها وجودها ، وهي غير معلولة .

وهذا الموجود الذي أقرت به معظم الأمم والشعوب ، في كل زمان ومكان ، ووقف أمام قوته وقدرته العقل البشري ، موقف الدهشة والعجز والتواضع ، بإعتباره العلة الأولى والغاية القصوى لكل الموجودات الحادثة والغير موجودة من ذاتها ، ازلي غير متغير في وجوده وقوته ، لا مثيل له ولا شريك ، ولا ند ، ولا بدء ولا نهاية له ، ندعوه الباري أو الله ونتوسل اليه في صلواتنا وعباداتنا الظاهرة والباطنة ، ونستنجد به في النوازل والمصائب والملمات .

والباري سبحانه وتعالى هو علة العلل ، والعلة الأولى اللامعلومة التي يتعذر ادراك ماهيتها لأننا عاجزون عن ادراك وجودها ، لأن وجودها هو ذاتها ، والذات والوجود واحد في الله . ومهما بلغ العقل البشري من السمو والارتقاء يقف عاجزاً عن ادراك الله بنوره إلاّ إدراكاً ناقصاً ، وهذا الادراك لا يكون إلاّ من جهة آثاره .

ولما كانت هذه الآثار غير كاملة بالذات لأنها متناهية والله غير متناه ، فقد صح العجز عن ادراك الماهية الإلهية بنور العقل البشري الذي سبر أعماق الحقائق الكونية ، وحلق في متاهات الاكتشافات الفضائية .

وبما أن الباري سبحانه وتعالى موجود بذاته ،الذي يوجد عنه كل ما في الامكان وجوده على أحسن وجوه الدقة والنظام والكمال ، فقد نزه عن جميع الصفات التي تتصف بها موجوداته ، ومخلوقاته ، ومبدعاته ، ومكوناته ، وهو لا مثال له لأنه مبدأ كل موجود ، ولاستناد جميع الموجودات اليه ، ولصدورها عنه ابداعاً لا من شيء ولا من مادة ولا بآلة ولا بمعين ولا بمثال صورة معلومة عنده .

من هذه الاسس العرفانية الماوراثية تكونت نظرية التوحيد والتنزيه والتجريد لدى أهل الحقائق الذين جعلوها المحور الاساسي الذي تدور عليه كافة الشرائع والأديان في ايمانها بوجود خالق مبدع نظم الطبيعة وسيرها بقدرته الخارقة ، وقوته العظيمة ، أمر فكان الليل والنهار وتعاقب الفصول ، وكانت السماء بكواكبها ، والكواكب بمنازلها وبروجها وافلاكها ، والرياح بجريانها ، والأرض وما عليها ، فسبحت له كافة الموجودات العلوية ، والمخلوقات الجسمانية ، والمبدعات الروحانية ، ناطقة بعظمته ، ومنبئة عن باهر قدرته ، فذلت العقول خاضعة لنور وحدته ، وراحت تسعى ناهدة الى اثباته لعبادته وتقديسه ، وتبحث جاهدة عن كمالاته ، لتوحيده ، وتجريده ، وتنزيهه .

ونظرة أهل الحقائق الى الباري سبحانه وتعالى لا تختلف عما ينظر اليه بقية الموحدين من أصحاب الشرائع والأديان السماوية التي جاء بها الرسل والأنبياء ، وهم في توحيدهم يرون أن الله تعالى لا يدرك بعقد ضمير ولا بإحاطة تفكير ، ولا يقع عليه اسم ولا صفة ، ولا سبيل الى ادراكه إلاّ بالإقرار بأن لجميع الموجودات مبدعاً تعجز العقول عن ادراكه لأنه لا يمكن أن يكون ليساً ولا أيساً ، أي انه لا يصح أن يكون غير موجود ، ولا أن يكون موجوداً من نوع الموجودات التي وجدت عنه لأنه فاعلها وموجدها ومبدعها وخالقها ومصورها .

ولو القينا نظرة عميقة على مصنفات أهل الحقائق العرفانية التوحيدية لوجدنا أن علماء وحكماء هذه الدعوة قد أفردوا في رسائلهم وكتبهم الأبحاث الطوال للدلالة على وجود الله وضرورة عبادته وتوحيده وتجريده وتنزيهه .

ونرى الفيلسوف الحقاني والحكيم الرباني حجة العراقين احمد حميد الدين الكرماني يذهب في توحيده وتقديسه الى القول : « . . . ولما كانت الموجودات بعضها في وجوده مستند الى بعض ، وكان لو كان ذلك البعض الذي يستند هذا البعض في وجوده اليه وبه يتعلق وجوده غير ثابت في الوجود ، ولا موجوداً ، لكان هذا البعض محالاً .

فلما ثبت انه لا وجود لهذا إلاّ بذاك ، كان منه العلم بأن الذي تنتهي اليه الموجودات التي به توجد واليه تستند وعنه توجد هو الله الذي لا إله إلا هو محال ليسيته ، باطل لا هويته، إذ لو كان ليساً لكانت الموجودات أيضاً ليساً، فلما كانت الموجودات، موجودة كانت ليسيته باطلة . ثم لما كان من شأن الأضداد أن لا يكون لها وجود إلا بفقد أضدادها ، وكانت الموجودات متضادة وأعيانها مختلفة متنافرة ، وهي على ما هي عليه من تضادها موجودة لا يفقد شيء منها بوجود ضده ، وكلها تحت الوجود محفوظة ، كان من ذلك العلم بأن الذي به بطلت طبيعة الضد في الخروج من حيز الوجود بوجود ضده، وانخفظ الضد عن ضده الذي هو الله الذي لا إله إلاّ هو الذي ليسيته محال ، إذ لو كان ليساً لكان وجود المتضادات ليساً .

ولما كانت المتضادات موجودة أعيانها كانت ليسيته بأستناد وجودها الى سياسة باطلة ، فسبحان الذي به انحفظ وجود الأشياء على تضاد أعيانها، واختلاف صورها به ، ولا إله إلا الله إله خرست الألسن عند نهوض الأنفس لتتناوله بصفة النطق فوقفت متيقنة بالعجز متحيرة . . . »[1] .

نلمس من هذا القول ان الكرماني . يحاول أن يؤكد فلسفياً بأن الباري سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون معدوماً ، اذ لو كان كذلك لكانت الموجودات معدومة . ولما كانت الموجودات موجودة كانت عدمية الباري باطلة . وبذلك يثبت وجود الله عن طريق ابطال ليسيته ، لضرورة استناد الموجودات واحتياجها الى موجد .

---

(١) راحة العقل للكرماني تحقيق مصطفى غالب ص (١٢٩ - ١٣٠)

ولا بد لهذا الحكيم الحقاني وهو في معرض حديثه عن التوحيد من أن يثبت عن بطلان كونه تعالى أيساً فيقول : « لما كان الأيس في كونه أيساً محتاجاً إلى ما يستند اليه في الوجود ، وكان هو ـ عز كبرياؤ ه ـ متعالياً عن الحاجة فيما هو هو الى غيره به يتعلق ما به هو هو ، كان من ذلك الحكم بأنه تعالى خارج أن يكون أيساً لتعلق كون الأيس أيساً بالذي يتأول عليه الذي جعله أيساً ، واستحالة الأمر في أن يكون هو تعالى أيساً ، ولا هو يحتاج في ما هو هو الى غيره به هو هو فيستند اليه ، تكبر عن ذلك وتعزز وتعالى علواً كبيراً . واذا كان هو عز وعلا غير محتاج في ما هو هو الى غيره به يتعلق ما به هو هو فمحال كونه أيساً .

ثم ان الله تعالى إن كان أيساً فلا يخلو أن يكون أما جوهراً أو أما عرضاً ، فإن كان جوهراً فلا يخلو أن يكون إما جسماً أو لا جسماً ، فإن كان جسماً فإنقسام ذاته الى ما به وجودها يقتضي وجود ما يتقدم عليه يكون كل متكثر مسبوقاً متأولاً عليه ، وهو تعالى بسبحانيته عن أن يتأول عليه غيره . وإن كان لا جسماً فلا يخلو ان يكون أما قائماً بالقوة مثل الأنفس ، أو قائماً بالفعل مثل العقول .

فإن كان قائماً بالقوة فحاجته الى ما به يخرج الى الفعل تقتضي ما يتقدم عليه ، وهو يتعالى عن ذلك ، وإن كان قائماً بالفعل فلا يخلو من أن يكون أما فاعلاً في ذاته من غير حاجة الى غيره به يتم فعله أو فاعلاً في غيره به يتم فعله ، فإن كان فاعلاً في غيره به يتم فعله فلنقصانه في فعله . وحاجته الى ما يتم به فعله تقتضي ما يتأول عليه ، وهو يتعالى عن ذلك ، وإن كان فاعلاً في ذاته من غير حاجة الى غيره يتم فعله فلاستيعاب ذاته النسب المختلفة بكثرة المعاني المتغايرة بكونه في ذاته فاعلاً ومفعولاً بذاته يقتضي ما عنه وجوده الذي لا تكون فيه كثرة ولا قلة بهذه النسب ، وهو يتعالى عن ذلك ، وكان اذا كان جوهراً لا يخلو من هذه الاقسام وبرئت ساحته من أنحاء الحاجة والتكثر اللازمة للجوهر ، فقد بطل ان يكون جوهراً .

وان كان عرضاً وكان وجود العرض مستنداً الى وجود ما يتقدم عليه من الجوهر الذي به وجوده وهو يتعالى ويتكبر عن أن تتعلق هويته بما يتأول عليه بطل أن يكون عرضاً . واذا كان لا يخلو الأيس من أن يكون إما جوهراً أو عرضاً ، وبطل كونه تعالى جوهراً أو عرضاً ، بطل ببطلان كونه جوهراً أو عرضاً أن يكون أيساً ،

فباطل اذن كونه أيساً . . . »[1] .

وينهي الكرماني بحثه الى ابطال كون الله تعالى ايساً مفترضة هويته وراء الأيسيات المتعلق وجودها باختراعه إياها ، وهذا يعني ان الّذي تنتهي اليه الموجودات التي به توجد هو الله ، محال أنْ يكون موجوداً من نوع الموجودات التي وجدت عنه . لذا وجب ان يكون أصدق قول في التوحيد والتسبيح والتمجيد والاثبات ما يكون من جهة نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى .

ولم يكن الكرماني الفيلسوف والداعي الحقاني الوحيد الذي عالج التوحيد على طريقة أهل الحقائق بل هناك علماء ودعاة كبار خاضوا في هذا الخضم الزاخر بالحقائق العرفانية الماورائية ، وجاءت كتاباتهم وابحاثهم معبرة تعبيراً صادقاً عما يذهب اليه بقية من وحدوا الله وعبدوه وقدسوه على أسس علمية عميقة الجذور تتيح لطلاب المعرفة الايمان القويم . ولا بد من القاء نظرة عابرة على ما قاله الداعي « أبو يعقوب السجستاني » معلم وأستاذ الكرماني وصاحب أرفع وأسمى نظريات توحيدية عرفانية . قال في كتابه الافتخار[2] :

« وأتوكل عليه توكل من ابرأ نفسه من الحول والقوة ، معترفاً بأن الحول والقوة لله خالقه ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، شهادة تنفي عنه كل أنية مؤيسة وانية مشيئة ، وتثبته بأنه مبدع الكلّ الذي لا تستنكف اجزاؤه عن عبادته والخضوع لربوبيته بربوبيته ، والتذلل لعزته وجلاله المتعزز بالكبرياء والجبروت ، والمتفرد بالعظمة والملكوت ، والمتوحد بكلمة اللاهوت ، العزيز في سلطانه فلا يغالب ، والمكنون بقدسه في رويات الخواطر فلا يطالب ، الظاهر بقدرته في جميع بريته فلا ينكر ، والشاهد بنافذ أمره فلا يستر ، المحتجب بتصمده عن

(١) راحة العقل للكرماني ص (١٣١ ـ ١٣٢)

(٢) حققه وقدم له مصطفى غالب صفحة (٣) .

أن يكون كمثله شيء أو هو بلفظ واصف . . . » .

وفي معرض دفاعه واستنكاره لكل الأقوال والاتهامات التي ترمي أهل الحقائق بالتعطيل في توحيدهم يقول : « انكم تعلمون يقيناً أننا مقرون بأن لهذا العالم مبدعاً قد أبدعه لا من شيء ، ولا من مادة ولا بآلة ، ولا بمعين ولا بمثال صورة معلومة عنده . قد نطقت كتبنا به ، وانتشرت دعوتنا اليه ، فلما جردناه عن الصفات والاضافات ، وقدسناه عن النعوت والسمات ، قد حتم فينا وسميتمونا معطلة . . . »(١) .

ويعتبر في رده على هؤلاء أن التعطيل هو الانكار الذي يؤدي الى اضافة المبدع ، أو الخالق الى أي شيء مما يوسم به خلقه من لفظ قول أو عقد ضمير . لأن هذا الذي يوسم . بما توسم به المخلوقات أو المبدعات يكون غير خالق ولا مبدع ، ! ومن يعرف الله على هذا الوجه يكون معطلاً بالفعل .

أما من يعرف الله الخالق المبدع الحق ويجرده عن سمات بريته ، وصفات موجوداته فيؤدي عرفانه هذا الى الاثبات المحض . لأن المبدع غير محسوس ولا مدرك ولا يدعي أحد بأنه قد عاينه ، إنما من الواجب الإقرار به تعالى من جهة أفعاله المحكمة المتقنة . وليس أدل على التعطيل من الاعتقاد بأن الخالق المبدع يشبه خلقه أو مبدعاته في وجه من الوجوه ، أو حصره في مكان دون مكان أو في جميع الأمكنة ، على السواء ، لأنه لا يكون سبحانه وتعالى ممكناً في مكان كالأجسام أو منحصراً في الأمكنة كالأرواح .

أما من يذهب الى احصاء الخالق وعده عن طريق استخدام الاعداد بأعتبار انه واحد أي ليس باثنين لأن كل ما هو واحد ليس باثنين ، فإذا قارنه واحد آخر صار اثنين . وانه كواحد اذا كان معه ملك من الملائكة أصبح ثاني اثنين . واذا كان معه ملكان صار ثالث ثلاثة الى أن يجعل واحد ألف فقد كفر وعطل . لأن الله تعالى مقدس عن سمات الأعداد والمعدودات ومنزه عن مناسبته بها ومناسبتها به ، فهو الواحد الأحد الذي لا يتكثر ولا يتزايد ولا يتناسب(٢) .

---

(١) كتاب الافتخار للسجستاني ص ٨ في معرفة التوحيد .

(٢) كتاب الافتخار للسجستاني ص (١٢ - ١٤) .

وفي رأي أهل الحقائق وأصحاب الطرائق أن من أسمى وأجل معاني التوحيد وحقيقته هي الإقرار بأن الله سبحانه وتعالى عَزّ أن تدركه الأوهام والظنون والخواطر أو تحيط به لحظات العيون . خضعت عقول دار الابداع عند التطلع لادراكه ، فأعترفت بالعجز خشية الهلاك . ومن واجبات الموحد الى جانب الاعتراف بعجزه في ادراك ماهية الخالق المبدع التطلع الى الحدود الروحانية والجسمانية والاقرار بأن كل حد منها واحد في مرتبته ، وفرد في درجته لأنها كلها تدعو الى توحيد المبدع وتقديسه وتنزيهه وتجريده .

والتنزيه يعني تنزيه المبدع الحق عن أن يقع عليه شيء مما يقع على مبدعاته ومخترعاته من الصفات والاسماء والأفعال كونه واجدها وواصفها ومسميها وفاعلها بقدرته وعظمته وحكمته التي لا تحد . والتجريد هو سلب الالهية والربوبية من جميع الموجودات والمبدعات الروحانية والجسمانية ، واثباتها للمبدع الخالق المصور الذي أوجد الذوات المبدعة لا من شيء ولا بآلة ولا بواسطة . وهذا يقتضي سلب المبدَعات والموجودات أن تكون موجَدة أو مبدعة لذواتها ، وإيجابها للمبدِع الحق تقدس وتعالى عن احاطته أو درك صفاته ، لأنه لا ينال بحس ، ولا ينعت بجنس ، ولا يخطر في الظنون ، ولا يُرى بالعيون ، ولا يوصف بالحواس ، ولا يدرك بالقياس ، ولا يشبه بالناس ، بإعتباره منزه عن كل ضد مناف ، أو ند مكاف ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .

وتشبيه المُبدِعْ بمبدعاته محال ، جل أن يحده تفكير ، أو يحيط به تقدير ، أو يكون له كفؤاً ونظير ، يستدل عليه بتدبير التراكيب ، وتقدير التراتيب ، في السقف المرفوع ، والمهاد الموضوع ، والانسان المصنوع ، على أن ذلك محدث مُبْدَع مخالف لمُبْدِعِه الذي ليس له مثل ولا شبه[1] .

ويعرف أهل الحقائق التوحيد والتجريد والتنزيه بقولهم : « . . . ان التوحيد هو معرفة الحدود العالية والدانية ، والاعتراف بأن كل حد منهم واحد في مرتبته ، لا يشاركه فيها سواه . والتجريد هو سلب الإلهية عن جميع المبدعات والمخلوقات واثباتها

---

(١) كتاب اثبات النبوات للسجستاني مخطوط في مكتبتي الخاصة ورقة (٨) .

لمبدعهم وخالقهم وموجدهم ، أما التنزيه فهو نفي جميع الصفات عنه تعالى ، والاعتراف بأن جميع صفات الشرف والجلالة وما يعبر به في جميع اللغات من الرموز والاشارات والمصطلحات والنعوت الإلهية واقعة على حده السابق لكل الموجودات والمبدعات . . . . »[1] .

من هذه المنطلقات العرفانية تكونت نظرية التوحيد عند أهل الحقائق الذين أثبتوا بأن الله سبحانه تفرد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم ، فلا يشبههم بوجه من الوجوه ، ولا يشبهونه بشيء من الأشياء . لأنه مُبدِع مخترع خالق مكون قادر عليم حي موجود قديم ، خلق كافة المخلوقات ، وحرك المتحركات ، ووهب الحياة والموت والزم الكُل حالة الحدث ، إذ القِدم له تعالى وتقدس اسمه ، وجل ذكره . ومما لا شك فيه أن أهل الحقائق يعتبرون وصفه تعالى تشبيه ، ونعته تمويه ، والإشارة إليه تمثيل ، والسكوت عنه تعطيل ، والتوهم له تقدير ، والاخبار عنه تحديد ، ومعرفته تعالى أس الايمان ، وكمال معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه لأنه فاعلها وفاعل الأشياء كلها ، ومبدع الواحد والأحد .

وليس التوحيد في العرفان الحقاني تدقيق المعنى في الاخبار عن الله تعالى بأنه فرد ، فيكون المدقق موحداً ، ولا تخصص الله تعالى بمعنى من المعاني فيثبت أنه بذلك المعنى فرد ، اذ عظمته كبرياؤه في حجاب من الامتناع عن ان تكون الحروف تترجم عنها بوجه من الوجوه ، وكيف تترجم الحروف عنها ولا تعلى لها مناراً في تأليف ليدل إلا وماء قدرته يفيض وينبىء منها نبأ لينطلق بمعنى يدق أو يجل ، إلا وعجزها يفرخ ويبيض ، وتعالى الإله المعبود عن قضايا العقليات ، وتقدس عن نعوت الطبيعيات .

وإنما التوحيد هو مصدر على التفضيل ، وله معناه وجهان : أحدهما منسوب الى ابداع المبدع تعالى وتقدس ، والآخر منسوب الى فعل المؤمن الموحد ، فالذي هو منسوب الى ابداع المبدع تعالى وتقدس هو أن يقتضي موحداً ، وهو الفاعل ،

---

(١) راجع كتاب الاصلاح لابي حاتم الرازي ، والمجالس المؤيدية للمؤيد الشيرازي ، والينابيع للسجستاني ، والتوحيد في الإمامة للقاضي النعمان ، والرسالة الدرية للكرماني ، ورسالة الجامعة لأخوان الصفاء وخلان الوفاء .

للواحد ، وموحداً وهو المفعول للواحد ، واذا كان التوحيد فعل الموحد بمعنى الفاعل للواحد ، فكان الواحد قد يقال على اوجه منها : أن يكون الواحد واحداً بتناهي ذاته الى جهات يفارق غيره ، مثل اشخاص الاشياء المحسوسة ، وهو مستحق من هذه الجهة لأن يقال انه واحد ، وتناهيه الى الجهات واستيعاب الحدود جملة يدل على ان هذا الواحد محدث .

ومنها أن يكون الواحد واحداً ، بمعنى ان يختص بمعنى لا يوجد في غيره ، مثل قوة حجر المغناطيس في حجر الحديد ، وهو مستحق من هذه الجهة أن يقال انه واحد ، واختصاصه بهذا المعنى من دون غيره يوجب أن يكون هذا الواحد محدثاً . ومنها أن يكون واحداً مطلقاً ، فالواحد المطلق ناطق عن ذاته بالأزدواج الذي هو الوحدة وحاملها .

وجميع هذه الوجوه توجب أن يكون الواحد على الاطلاق محدثاً ، واذا وجب ان يكون الواحد على الاطلاق محدثاً كان منه الايجاب بأن التوحيد وهو فعل الواحد الناطق عن ذاته بحدثه لا يليق بمجد المُبْدِع سبحانه وتعالى كبرياؤه .

المفتاح الثاني

« أمر الله جل جلاله »

بعد أن كوَّن القارىء فكرة صحيحة عن المنطلقات العرفانية التوحيدية لدعوة أهل الحق لا بد لنا من أن نفرد هذا « المفتاح » للتحدث عن « الأمر » أي أمر الله سبحانه وتعالى الذي أوجد به كافة المُبْدَعات والمخترعات والموجودات العلوية والسفلية ، لذلك اعتبره أهل الحق الكلمة التي ظهرت بواسطتها العوالم والموجودات .

والأمر قادر على التخليق لا من شيء وهو مادته ، ولا بشيء هو آلته ، ولا مع شيء هو رفيقه ، ولا مثل شيء هو شبيهه ، ولا لشيء هو ذو حاجة اليه . ويعرف الأمر بأنه العلم والحكمة والوحدة ، بأعتبار أن أمر الله لم يخرج عن كونه علمه لذلك لا يخالف أمره تعالى علمه ، ولا علمه خالف أمره ، ولا بين ما علم من كيفية ابداع المبدعات وبين ما أمر من فعل البينونة بصورة وهمية لا تظهر إلاَّ في المُبْدَعْ الأول .

ويمكننا أن نعتبر الأمر هو مشيئة الله وفعله والكلمة القدسية الصادرة عنه سبحانه وتعالى بدون أن يخالجنا أي شك في ماذهبنا اليه ، وليس فعل الله أو مشيئته حداً من الحدود الابداعية ، ولا مرتبة من المراتب الجسمانية ، لذلك ليس من العلم أو المعرفة أن نطبق عليه نظرية المثل والممثول أو الظاهر والباطن لأنه فعل صادر عن مبدع المبدعات وباري البرايا ، أوجد بواسطته الموجودات وأبدع المبدعات .

وفي النصوص التي خلفها دعاة وعلماء أهل الحقائق شروحات وتفسيرات كثيرة تناولوا فيها « الأمر » بالتحليل والتفسير حيث أكدوا بما لا يقبل الاستنتاج والجدل بأن الأمر هو الفعل أو الأرادة الصادرة عنه جل جلاله التي أبدع بواسطتها الموجودات والمبدعات دفعة واحدة لقوله تعالى : ﴿ **وما أمرنا إلاَّ واحدة كلمح البصر** ﴾ وقوله : ﴿ **له الخلق والأمر** ﴾ وقوله : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ .

وبما أن ظهور الموجودات كان من علة اولى ظهرت بها يقتضي أن نعرف اذا كانت هذه العلة الأولى من جنس الموجودات ، أم أنها ليست من جنسها ، لأن العلة اذا كانت من جنس الموجودات كانت الشيئية لازمة لها ، واية علة لزمتها الشيئية لزم معلولها ، مادة يكون ظهورها منها . فلما بطلت المادة لأن ايجاد الموجودات لا من شيء كان وجودها ، وجب أن يكون ايجادها لا بشيء هو علة ، واذا وجب ان يكون ظهور الموجودات لا بشيء هو علة ، بطل أن تكون علة الموجودات شيئاً ، واذا بطل ذلك وجب ان يكون « أمراً » يعني قيام الباري به موافقاً لوجوب الحكمة المتممة له ، فعبر عن هذا الأمر « بكن » أي الكاف والنون .

ويذهب علماء دعوة أهل الحق الى أن هذان الحرفان كانا موجودين عند المبدع بعد عبور مراحل كثيرة من الخلقة التي هي المبدعات والمنبعثات والمكونات والمركبات والمطبوعات والمواليد . وهما يجسدان الكلمة أي كلمة الله سبحانه وتعالى يعني أمره الذي خلق به السموات والأرض دفعة واحدة بقوله : ﴿ كن فيكون ﴾ .

ولنستمع الى الفيلسوف الحقاني « أبو يعقوب السجستاني » وهو يحلل المعنى الباطني لهذين الحرفين ويؤكد بأنه ليس عند المبدع سبحانه وتعالى صوت حروف ولا تأليفها بوجه من الوجوه ، بأعتبار ان حرف الكاف واقع على السابق وحرف النون واقع على التالي ، والشيء المطلق لهما هو السابق المزدوج بتاليه لظهور المقاصد المبذورة فيهما أو منهما .

ثم يرد على من يقول متسائلاً : هل يجوز أن يسبق أمر الله العالم الذي كان به أولا يجوز وان جاز فعرفونا جوازه ، وان لم يجز ذلك فلأية علة بطل جوازه ؟ قائلاً : « ان امر الله تعالى ذكره تأيس لا من أيس سابق عليه فيجوز سبق الأمر على ما قد كان ، والتأييس قد أحاط بما التمست معرفته ، من الأمر والمأمور ، ولو لم يكن الأمر تأيساً كانت المؤيسات مستغنية عن الابداع والتأييس . فلما احتاجت المؤيسات إلى التأييس الذي أحاط بالأمر والمأمور استحال أن يسبق في الوهم جواز أمر سابق على ما به كان من العالم المتحد به فما دونه ، وكيف يسبق في الوهم الأمر العالم وليس حين لا عالم دهر معلوم أو مادة موجودة أو قوة مكنونة أو فعل بارز ، أو مكان ماكن ، أو حركة ظاهرة ، أو

سكون جامد فيثبت الأمر بأحدهما .

فلما امتنع وجود ماذكرناه قبل وجود العالم المكون بأمر الله لم يفارق أحدهما الآخر طرفة عين ، لا العالم الأمر ولا الأمر العالم . بل هما متداخلان أحدهما في الآخر تداخلاً سرمدياً دائماً أزلياً ، وصورة الأمر في العالم حاجة اجزائه ، بعضها الى بعض لتبقى لها الديمومة »[1] . ثم يتحدث عن صورة تداخل العالم في الأمر فيذهب الى انها استغناؤه بكليته عن غير سواه ، وصورة استغناء العالم بكليته عن غير سواه تعني عدم الغير واكتفاء الحكمة بما في كلية العالم ، وكمالها اظهار مقاصدها وإتمام مواهبها في لب العالمين الذي هو البشر مجادلاً عن أصول العالم وفروعه ومراجع اموره ومستخرج منافعه المستودعة فيه . وهذه صورة كمال الحكمة التي هي الابداع المحض وقد برزت ببروز البشر الذي لولاها لما كان للعقل مساغ للفحص عما مثلناه .

ولو جاز أن يتقدم العالم الأمر أو يسبق في الوهم وجوده والعالم معدوم، لجاز أن يتأخر الأمر العالم أو يسبق في الوهم عدم العالم وجود الأمر . واذا وجب أن يتقدم العالم والأمر موجود كان من ذلك وجوب ان لم يكن العالم صار الأمر موجوداً ، إذ وجود الأمر لم يوجد العالم في حال عدمه . فلما امتنع ان يتأخر الأمر العالم امتنع ان يتقدمه . ثم يتساءل عن كيفية وجود الأمر مع عدمية العالم ، والأمر تأيس ما ، والتأيس لا أيس ما ، والأيس لموجود ما ، والموجود لعالم ما ، والعالم بأركانه ودوائره ، والأركان والدوائر ، بمواليدها ، والمواليد بوجود لبها الذي هو البشر ، والبشر حاصل ما أوجده أمر المبدع سبحانه ؟ .

فإذن وجود الأمر لا يتقدم العالم ولا يتأخر ، ولولا وجود العالم ما كان للأمر تهيؤ للوجوب في الوجود ، والأمر عند العبادة عنه ثلاثة جهات : جهة عند المُبْدِعْ ، وجهة عند المُبْدَعَ ، وجهة لا عند المُبْدِعْ ولا عند المُبْدَعْ . وبهذا المعنى صرح الله تعالى ذكره عنه بقوله : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ .

وهنا نلاحظ أن « أراد » سابق على الأمر ، والأمر سابق على قوله : كن .

---

(١) كتاب الافتخار للسجستاني صفحة (١٩ ، ٢٠) تحقيق مصطفى غالب .

والكن أقصى جهات الأمر ، فالإرادة من أمر الله هو ما عند المُبْدِعْ سبحانه مما لا يصير علة البتة . والأمر ما ظهرت به المبدعات وخاصة المعلول الأول(1) .

أما قوله « كن » فهي صورة المُبْدَعْ الأول مقرونة بتاليه . وأما قوله « فيكون » فهو كناية عما ظهر من الأصلين منْ الكليات . ، وهي التراكيب الأولة التي هي الأفلاك والنجوم . والتراكيب الثانية التي هي الامهات والمواليد التي هي الغرض والاساسان اللذان هما القصد . وفي قوله : ﴿فيكون﴾ تكرار للكاف والنون كما أن الاساسان هما تكرار للأصلين في العالم الجسداني .

والحروف الثلاثة الباقية من « فيكون » أي الفاء ، والياء ، والواو ، ؛ دليل على أن الوسائط بين الكن البسيط والكن المركب هما الجد والفتح والخيال . وهذا يعني اذا قلنا أن « فيكون » خمسة أحرف هما : الفاء ، والياء ، والكاف ، والواو ، والنون ، دليلاً على الحدود العلوية الخمسة الذين هم : السابق والتالي والجد والفتح والخيال نكون قد أعطيناها مفهومها الحقاني العرفاني الذي يفهمه أهل الحق بأنه المعنى الحقيقي لكلمة الله .

ولما كانت « كلمة » أربعة أحرف هي الكاف ، واللام ، والميم ، والهاء ، عنوا بها أنها حوامل الوحدة الأربعة الذين هم : الأصلان والاساسان . فا« الكاف » منها نظير العقل ، اذ هو أصل الأيسيات معدن الجواهر العلوية والسفلية ، وفيه بروز الصور الروحانية والجسمانية ، كما قيل ان جميع الخلائق وجدت بـ (كن) قبل أن توجد الـ (نون) .

ويرى أهل الحق أن العقل هو الكفاية لمن دونه من العقول الانبعاثية ، وليس وراءه شيء ، بل هو الكافي ، والكامل ، والتام الذي لا نقصان فيه ، وهو في مفهومهم كيل الله الذي به يكيل للخلائق حظهم من وحدته على مقدار مراتبهم التوحيدية الروحية والدينية . وهو كلام الله بالحقيقة ، وهو الذي قيل في القرآن الكريم (كلام الله) يرمز الى الأساس الذي اتحد بالسابق من جهة التأويل . والـ (لام) نظير التالي ، اذ بالنفس لزم اللمية التي هي أصل المخاطبة ، وبه تلمع أنوار

(1) كتاب الافتخار للسجستاني صفحة ٢٥ تحقيق مصطفى غالب .

العقل في العالم الجسماني ، وفي الأشخاص المتجزئة . وعليها يلزم اللوم ان خالفت العقل ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ وهو لـوح الله جل جلاله الذي يلوح في انفس النطقاء على مقدار درجاتهم[1].

والـ (ميم) نظير الناطق عليه السلام الذي ملك الجسماني ، يقلبه كيف يشاء ، ويدبر أمر عباد الله بوحي الله كيف يريد ، وبه تصاب معرفة الله جل جلاله . وهو المهدي بالحقيقة حقاً ، إذ المهدي احد النطقاء السبعة . والـ (هاء) نظير الاساس الذي هو المُهدى ، وهو هدية الناطق الى امته . وهذان الحرفان ـ أعني الميم والهاء ـ مضمومان ، والكاف واللام مفتوحان ، على ان السابق والتالي روحانيان ، والناطق والاساس جسمانيان .

وان اللام الثاني والهاء من كلمة الله متفقان ، والكاف والميم مختلفان على الألف واللام الأول من كلمة الله ، على أن التركيب والتأويل لا إختلاف فيهما ، والتأويل والتنزيل مختلفان من جهة النطقاء ، لأن كل ناطق يحمل التأييد على قدر صفوته ، ويؤلف الشريعة على مقدار زمانه ودوره . وأما التركيب فإنه في كل وقت على نسق واحد وترتيب واحد ، كذلك التأويل[2] .

ولم يكن السجستاني الداعي الحقاني الوحيد الذي عالج هذا الموضوع وحلله وفسره ، بل هنالك من ذهب في تحليل (الأمر والآمر والمأمور) الى أعمق وأبعد فرسموا لهذه المنطلقات العرفانية صورة أعم وأشمل تعطينا الدليل الواضح على مدى تعمق هؤلاء الدعاة بالأمور العرفانية التوحيدية الناهدة الى السمو والارتقاء بالنفس الانسانية الخيرة لتلحق بكليتها عن طريق المعرفة والاكتساب .

ومجمل الأبحاث التي دارت حول أمر الله سبحانه وتعالى الذي هو كلمته التي خلق بها العالم تفسر لنا عن طريق الفلسفة والتأويل أن المُبْدَع الأول أو الموجود الأول أو الجوهر الأول اتحد بذات الكلمة حتى صار هو والكلمة أيساً واحداً ، وتؤكد حسب رأي أهل الحق أن الله ابدع الأيسيات كلها دفعة واحدة ، لذلك كان المُبْدَع الأول مجمع

---

(١) كتاب الينابيع للسجستاني ص (١٦٧ ـ ١٦٨) تحقيق مصطفى غالب .

(٢) نفس المصدر ص ١٦٨ .

الأيسيات والتمام ، لاتحاده بذات الكلمة[1] . التي هي الحد الأول القائم بالفعل في عالم الابداع يقابلها الناطق القائم بالفعل في عالم الطبيعة .

ويذهب الرازي الى أن العلة الأولى التي هي الابداع وهي عند الحكماء كلمة الباري صورتها « كن » وهما حرفان ، كاف متحركة ونون ساكنة ، فالكاف والنون للكلمة بمنزله الجسد والحركة والسكون لها . بمنزلة الروح ، فعلى هذا هو المثال في الحركة والسكون الموجودتان في جميع المتحركات والساكنات معلولات بالكلمة ، والعلة الأولى التي هي الكلمة هيولى العوالم كلها . ويضيف قائلاً : « ان الهيولى الأولى هي وهمية وهي الحركة والسكون وهي ذات الهيولى وصورتها ، والهيولى الثانية هي الأفراد والمتولدات في الهيولى الأولى ، والهيولى الثالثة هي الأمهات الأربع المركبات في الهيولى الثانية . ثم نقول : ان الهيولى الأولى التي قلنا إنها الحركة والسكون الوهميتان وانها جميعاً ذات الهيولى وصورتها فعل الأمر الذي هو الابداع . فكما قلنا أن الهيولى الأولى هي وهمية كذلك الابداع هو وهمي لا تظهر ذاته إلاّ في المُبْدَع الأول »[2]. السابق الذي لم يسبقه في الابداع شيء .

وهكذا نجد ان علماء وفلاسفة أهل الحق الذين سبروا غور مفهوم « الأمر » أو كلمة الباري يتوصلون الى رسم خط بياني واضح للرموز التأويلية المقصودة من وراء هذه الكلمة التي يعتبرونها من الحدود العالية التي ليست في جسم ولا بجسم لأنها وهمية لا تظهر ذاتها إلاّ في المُبْدَع الأول ، أو العقل الأول . أما من ينفي أن الأمر حداً من الحدود بعد كل ما قدمناه فلا شك اعتقاده فاسد ، لأن مخيلته الضعيفة وادراكه المشلول لا يستوعبان مفهوم النصوص عند فلاسفة الدعوة ، وليت هذا المتبجح اكتفى ان يكون الأمر حداً من الحدود بل ذهب الى مهاجمة من يعتقد هذا الاعتقاد واعتبره نقص وعدم فهم للنصوص . فإليه وإلى جميع من يذهبون مذهبه قدمت هذا المفتاح . أما أولئك الذين

---

(١) كتاب الاصلاح لأبو حاتم الرازي صفحة ٢٨ مخطوط في مكتبتي الخاصة والصفحة ٢٣٩ من راحة العقل للكرماني .

(٢) نفس المصدر صفحة ٣٤ .

حمل عليهم بدون حق فليتخـذوا من النصوص التي قـدمتها سـلاحاً يشهرونه في وجه هذا الدعي الذي لا يستحق منا ومنهم هذا الرد .

المفتاح الثالث

« عالم الإبداع »

نظرية الابداع شغلت حيزاً كبيراً من تفكير علماء وفلاسفة أهل الحق كونها المدماك الرئيسي الذي تستند اليه كافة الآراء العقلانية الماورائية التي ترتب وتنظم الموجودات والمصنوعات والمكونات في العالم الروحاني النوراني الذي لا كثافة فيه ولا تجسيم ، بل عقول ابداعية وانبعاثية سرمدية تتفاعل وتستمد وتمد بعضها البعض ، بموجب نظام دقيق وحكمة بالغة .

واذا رجعنا الى تصانيف دعاة وفلاسفة دعوة أهل الحق نراهم جميعاً قد عالجوا في أبحاثهم ومطابقاتهم ومقابلاتهم « الابداع » وبحثوه بدقة متناهية وامعان تام حتى جاء آية في الروعة والاتقان . ولا نذهب بعيداً اذا قلنا بأننا لم نعثر في كتب الحقيقة العرفانية التي خلفها هؤلاء العلماء على أية نظرية عقلانية أو تأويلية لا تنسجم مع الخط البياني الذي رسموه لعلم « الابداع » بإعتباره المبدأ الأول الذي تعرف به الأصول والفروع ، والعلل والمعلولات ، والأسباب والكائنات ، والطريق الموصل الى التوحيد الحقاني ، والى معرفة الحدود العقلانية المترتبة في عالم الصنعة الإلهية .

وسنحاول في هذا المفتاح استعراض آراء بعض كبار علماء الدعوة علنا نوفق الى اعطاء صورة واضحة عن مفهوم عالم الابداع في علم الحقائق العرفاني ، لأن معرفة الابداع معرفة حقة تقود الى اثبات وجود الباري لتوحيده على الحقيقة ، والى الارتقاء بالنفس العارفة الى عالم العقول النورانية حيث السعادة السرمدية الأبدية .

في رأي جماعة اخوان الصفاء وخلان الوفاء الذين وضعوا اصول علم الحقائق ان كل لبيب عاقل اذا فكر في كيفية حدوث العالم وابداع المُبْدِع له ، وخلقهُ أطباق السموات والأرض ، وتركيبه أكر الأفلاك ، وتدويره أجرام الكواكب البسيطة

والأركان الأربعة ، وتكوينه المولدات الثلاثة منها ، فلابد أن يعتقد فيها أحد الآراء الثلاثة : « أما أن يظن بأنها ابدعت دفعة واحدة ، وأخرجها الباري تعالى من العدم الى الوجود على ما هي عليه الآن ، أويتوهم بأنها أبدعت على تدريج ، فأخرجت على ترتيب أولاً فأولاً إلى آخرها على ممر الدهور والازمان ، أويقول بعضها دفعة ، وبعضها على التدريج ، إذ ليس في القسمة العقلية غير هذه الثلاثة . . . »[1] .

ويتولى جماعة اخوان الصفاء انفسهم شرح هذه الأمور الثلاثة فيقولون : « . . . ان الأمور الطبيعية احدثت وابدعت على تدريج ممر الدهور والأزمان ، وذلك أن الهيولى الكلي ، أعني الجسم المطلق ، قد أتى عليه دهر طويل الى ان تمخض وتميز اللطيف منه من الكثيف ، وإلى ان قبل الأشكال الفلكية الكرية الشفافة ، وتركب بعضها في جوف بعض . والى ان استدارت أجرام الكواكب النيرة ، وركزت مراكزها ، وإلى أن تميزت الأركان الأربعة ، وترتبت مراتبها وانتظمة نظامها . والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ فأما الأمور الإلهية الروحانية فحدوثها دفعة واحدة مرتبة منتظمة بلا زمان ولا مكان ولا هيولى ذات كيان ، بل بقوله : ﴿ كن فيكون ﴾ . . . وكما قال : ﴿ وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ﴾ . والمثال حدوث البرق . واشراق نور الشمس في الهواء ، وأضاءة الأبصار ، ورؤية الأشياء دفعة واحدة بلا زمان . . . »[2] .

وفي اعتقادهم ان الأركان الأربعة متقدمة الوجود على مولداتها بالأيام والشهور والسنين . كما ان الأفلاك متقدمة الوجود على الأركان بالازمان والأدوار والقرانات . وعالم الأرواح متقدم الوجود على عالم الأفلاك بالدهور الطوال التي لا نهاية لها . والباري تعالى متقدم الوجود على الكل ، كتقدم الواحد على جميع العدد . ولا غرو فدعاة أهل الحق يؤكدون بأن الابداع الروحاني كان دفعة واحدة بلا زمان ولا مكان ، حيث ابدع الباري سبحانه صوراً نورانية كثيرة لا يحصيها العدد ، متساوية في الكمال

---

(١) رسائل اخوان الصفاء جـ ٣ ص ٣٥١ منشورات صادر .

(٢) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء جـ ٣ ص ٣٥٢ .

الأول والوجود الأول الذي هو الحياة والقدرة والقوة . وبموجب عدله سبحانه وتعالى جعلهم متساوين لا فضل لأحد منهم على الآخر إلاَّ بالسبق في التوحيد .

وهذه الصور النورانية التي لا كثافة فيها ولا تجسيم ، ولا يحويها مكان ولا احتاج مبدعها الى زمان ، تسمى عالم الابداع أو العالم الروحاني ، وهي على حالة من الجلالة والفضل والكمال والشرف تعجز عقول البشر عن إدراك مُبدعها . ومن بين هذه الصور الروحانية المبدعة نظرت صورة الى ذاتها والى ابناء جنسها ، وتأملت فيهم ، فهجم بفكرتها من ذاتها ، وبذاتها من غير معلم ولا ملهم ولا مفيد ولا مؤيد لها ، فعلمت بعد تفكيرها أن لها ولأبناء جنسها مبدعاً أبدعهم تعجز عن ادراكه . فنفت هذه الصورة عنها وعن أبناء جنسها الإلهية وشهدت بها لمبدعها ومصورها ، وبذلك الفعل استحقت أن تسمى « أولاً » و« سابقاً » ، ثم أمدها الله سبحانه وتعالى بمادة خصتها دون سائر أبناء جنسها مجاراة لها على ما كان من توحيدها وتسبيحها واعترافها بالإلهية لمبدعها ، بمعرفة ما كان وما سيكون ، واعطتها امتياز الشرف والجلالة والعظمة على جميع عالم الابداع ، وعرفت بالموجود الأول ، أو المبدع الأول ، أو العقل الأول ، أو « القلم » .

ولقد انتبهت وتذكرت الى ما انتبهت اليه وتذكرته الصورة الأولى صورتان من تلك الصور الإبداعية ، فنفيتا الإلهية عن ذاتهما وعن أبناء جنسهما ، واعترفتا بها لمبدعهما ، وشهدتا له بذلك ، واعترفتا للصورة التي سبقتهما بفضل شرف السبق عليهما ، فسميتا بفعلهما ذلك « منبعثتين » لأنهما انبعثتا مقتديتين بالصورة الأولى وفعلها .

وكان أحد هذين المنبعثين أسبق من الآخر الى التوحيد ، فأستحق لسبقه أن جعله الحد الأول أو العقل الأول له باب وحجب يخاطب منه من هم دونه من العقول ، وأمده من نفس المادة التي أمده بها مبدعه ، وبذلك شرف على المنبعث الثاني وعلى كافة أبناء جنسه ، وعلم بواسطتها ما كان وما سيكون ، وسمي بالتالي أو العقل الثاني أو النفس الكلية أو الانبعاث الأول الذي هو « اللوح » . أما المنبعث الثاني أو

العقل الثالث فإنه لم يعترف بفضل السبق للمنبعث الأول ، وتوهم أنه مساوي له في الشرف والرتبة ، فكان ذلك التوهم خطأ اكسبه تأخراً عن مرتبته وانحطاطاً عن منزلته .

وبعد هبوط العقل الثالث من مرتبته عمد العقل الأول السابق الى دعوة جميع عالم الأبداع الى توحيد المبدع وتسبيحه ، وكانت هذه الدعوة بواسطة العقل الثاني (التالي) أو المنبعث الأول كونه بابه وحجابه . فأجابه من تلك الصور المبدعة سبعة عقول كل واحد منهم بعد الثاني ، وفي ضمن كل عقل منهم من تلك الصور المبدعة عالم لا يحصيها العدد ، هو لهم - ذلك العقل - كالرئيس والقدوة لفضل سبقه عليهم ، وهم له كالاتباع المقتدين به .

ولذلك صارت مراتب عالم الابداع تسعة : العقل الأول والانبعاث الأول والسبعة العقول المجيبة للدعوة . ولما هبط المنبعث الثاني كما ذكرنا وشعر بهبوط مرتبته تاب وتوسط الى من هو فوقه ، فشفع له عند من هو فوقه الى فوقه حتى انتهت الشفاعة الى العقل الثاني الذي هو المنبعث الأول ، فغفر له ذنبه وتاب عليه وأمده من فيض المادة الأزلية التي اتصلت به من سابقه فترتب في المرتبة العاشرة ، وصار بعد ان كان ثانياً في الانبعاث ثالثاً بين العقول ، عاشراً في الرتبة وهذا يعني أن مراتب عالم الابداع أصبحت تتألف وتتكون من عقول عشرة وجدوا عن طريق الإبداع واحدهم عن الآخر بلا كثافة ولا تجسيم على دفعة واحدة بلا زمان ولا مكان .

ونلاحظ ان علماء دعوة أهل الحق بعد ان يرتبوا عالم الابداع على هذه الصورة يذهبون الى أن وجود العقل الأول عن الباري سبحانه وتعالى لم يكن على طريق الفيض ، بل كان على طريق الابداع . ولنستمع الى الفيلسوف الحقاني أحمد حميد الدين الكرماني وهو يحلل هذه الناحية الهامة فيقول : « . . . اننا ان اعتقدنا أن وجود الموجودات هو عن المتعالي عن الصفات سبحانه على سبيل الفيض لا على سبيل الابداع ، نكون قد صورنا أنفسنا من وجوده بما لا يطابق ما عليه عينه وحقه لما يلزم ويجب به من وجود ما يعلل المتعالي عن الصفات سبحانه ، ووجوده محال . وذلك أن من شأن الفيض أن يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركاً له ومناسباً ، ويكون الفيض من جهة ما هو فيض كعين ما يفيض منه الفيض بكونه كذات الفيض ، اذ ما يفيض منه

الفيض فيه من طبيعة الفيض مثل ما في الفيض من طبيعته ، ولا فرق بينهما من هذه الجهة ، كما ان الضوء الذي هو فيض من عين الشمس من جهة ما هو ضوء كعين الشمس التي منها فاض الضوء بكونها كذات الفيض ، إذ ذات الشمس يوجد فيها من الضوء مثل ما فاض عنها ، ولا فرق بينهما من هذه الجهة ، فيصير الذي منه يفيض الفيض متكثراً بما يشاركه فيه الفيض وما يختص به هو مما لا يشاركه فتكون ذاته من شيئين : شيء تشاركا فيه فلم يتباينا فيه ، وشيء وقع به التباين بينهما ، وحصلت الغيرة التي لولاها لما أمكن ان يقال ذاك غير هذا ، وهذا غير ذاك . والذي يكون متكثراً فتكثره لحاجة بعض تلك الأشياء التي بها كانت الكثرة في وجوده الى البعض الآخر ، الذي لولاه لما وجدا جميعاً ، وهما جميعاً في الوجود ، ووجودهما بإستناد الواحد منهما الى الآخر ووقوعهما تحت القدرة الجامعة لهما .

ويقتضي ذلك أن يكون المتعالي سبحانه ـ ان كان ما وجد عنه فيضاً ـ متكثراً واقعاً تحت قدرة غيره في وجوده ، وأن يتقدم عليه ما وجوده محال ، واذا كان المتعالي سبحانه هويته لا عن هوية هي غيرها، فقد تعالى عن ان يكون موصوفاً بقلة أو كثرة فقد بطل ان يكون من شيئين ، واذا بطل أن يكون من شيئين بطل أن يكون ما وجد عنه فيضاً ، فيكون موجباً لما فاض عنه كثرة عنها ذاته . . . »[1] .

وفي نهاية التحليل والمناقشة يتوصل الكرماني الى استحالة كون الموجود عن المتعالي سبحانه فيضاً ، ويثبت بانه ابداعاً لأن الابداع وجوده لا من شيء ، والموجود الأول الذي وجوده لا من مادة ، والشيء الأول الذي ان طلبت احاطة بكيفية وجوده لن تنال بكونها محجوبة عن العقول لوقوعها تحتها ، وتعاليها ـ أعني الكيفية ـ في وجودها عليها ، وذلك أن شأن العقول عند نهوضها لمعرفة شيء وتحصيل موجود أن ترجع الى ذاتها في ذلك فتدركه من الجهات التي بها تصطاده ؛ والإحاطة بهذه المعرفة لا يليق بالعقول لكونها بالذي يصدر عنه وجود الابداع أولى من المُبْدَعْ الذي هو ذات الابداع[2] .

---

(١) راحة العقل للكرماني ص (١٧١ ـ ١٧٢) تحقيق مصطفى غالب .
(٢) المصدر نفسه ص ١٧٤ .

ومهما يكن من تعليل وتفسير وتأويل لهذه الآراء التي استعرضناها وناقشها الدعاة ليثبتوا من خلالها صحة نظرية الابداع ، وليبطلوا نظرية الفيض المعروفة لدى الفلاسفة فقد وفقوا في نهاية المطاف الى إيجاد قاعدة ثابتة ، ونظرية بارزة بالنسبة للعرفان الحقاني ، رتبوا ونظموا بموجبها عقول عالم الابداع العشرة التي توصلوا الى إيجادها عن طريق الابداع والانبعاث بعضها عن البعض . ومن هذه المنطلقات يمكننا أن نفهم بأن الأبداع يعني بالنسبة لأهل الحقائق هو عين المُبْدَع الأول الذي يحيط بالأشياء كلها لسبقه في الوجود قبل كل محاط به ، فهو علة الموجودات ، وهو عين الابداع وعين المبدع من ناحية ، وعين الوحدة وعين الواحد من ناحية اخرى ، وهو لا جسم ولا في جسم . والعقل الأول هو الذات الصادرة الى الوجود عن القدرة التي بها حصل الابداع الذي هو حق العقل ونفسه .

المفتاح الرابع

« الموجود الأول أو العقل الأول »

يعتقد علماء أهل الحق أن أول ماترتب أولاً في الوجود هو المتصور انه لم يكن فوجد على طريق الابداع والاختراع لا من شيء لأنه هو الشيء الأول ، والموجود الأول ، والمُبْدَع الأول ، والعقل الأول الذي يصدر عنه التوحيد لأن المُبْدِع بريء من الصفات الواقعة تحت اختراعه ، ومتقدس عنها لأنه فاعلها وفاعل الأشياء كلها .

ولم يكن وجوده بذاته بل كان بإبداع واختراع الباري سبحانه إياه ليكون علة ثابتة سابقة تستند عليها بقية الموجودات في وجودها ، وتستمد منها رحيق المعرفة والتوحيد والتقديس والتنزيه والتجريد بإعتباره متقدم الوجود والرتبة . وهو مفعول لا من مادة ، وهو فاعل لا في مادة هي غيره . أي أنه فعل في ذاته ، وفاعل في ذاته ، ومفعول بذاته لأنه العلة الثابتة التي بها يتعلق وجود ما سواها من الموجودات التي يمدها بزخم الأنوار الملكوتية القدسية ولا يستمد منها ولا من سواها شيء لكماله وفضله وشرفه في التسرمد والتأزل ، ولسبقه في التوحيد والتسبيح . ونلاحظ أن أهل الحق أعطوا العقل الأول الذي هو الموجود الكثير من الاهتمام وجعلوه المحور الاساسي الذي تدور عليه كل النظريات الابداعية والانبعاثية في عالم الصنعة الإلهية . وعلى سبيل المثال لا الحصر نرى الفيلسوف الحقاني أبو يعقوب السجستاني يذهب الى أن العقل أول مُبْدَعْ أبدعه سبحانه وتعالى فيقول :

« إن كل محيط يكون اشرف من المحاط به لا محالة واسبق وجوداً . وإلا فتمتنع عليه الاحاطة ، لأنه ان كان المحاط به في الوجود أسبق من المحيط به ، ثم وجد المحيط بعد المحاط به ، كان المحاط به مرة غير محاطاً من جهة سبقه ، ومرة محاطاً من جهة وجود محيط به بعد وجوده[1] .

(١) الينابيع للسجستاني ص (٧٩ - ٨٠) تحقيق مصطفى غالب .

ثم نظرت الى العقل ، فوجدته جوهراً محيطاً بالأشياء كلها ، فحكمت عليه بالسبق في الوجود قبل كل محاط به ، ولو سبقه شيء من المحاطات العقلية بعد وجود العقل ، كانت تلك المحاطات مما يخرج عن احاطة العقل قبل وجود العقل ، ولا يمكن توهم شيء انه يحيط العقل به مرة ، ومرة لا يحيط به . ثم لا يخلو ذلك الوهم : اما ان يكون عقلياً أو غير عقلي . فإن كان عقلياً ، فقد أحاط العقل به .

وان كان غير عقلي ، بطل ان يدرك شيء موهوم لا من جهة العقل . فإذاً العقل لا يسبقه شيء من الموجود ، اذ هو المحيط بكل شيء : محيط ومحاط به ، عقلي ووهمي وحسي . . . العقل يشبه الواحد الذي هو أول الأعداد ، ولم يسبقه شيء من الأعداد ، لا من الأفراد ولا من الأزواج ، بل الأعداد كلها إنما تتكثر من الواحد وبالواحد . وكذلك العقل واحد ، وهو الذات لجميع المعقولات . ثم تتكثر المعقولات من العقل وبالعقل .(١) » .

وبعد أن يثبت السجستاني أن العقل أول المعقولات يرى أنه أول المعلولات وعلة لم يسبقه شيء منها . وكيف يتوهم قبل العقل شيئية ، والعقل انما هو شيئية الأشياء كلها ، وشيئية الأشياء كلها هو العقل ، ولو جاز توهم شيئية قبل العقل ، والعقل شيئية الأشياء كلها ، كان العقل اذا قبل ذاته . والشيء لا يكون قبل ذاته ، فإذاً توهم شيئية قبل العقل ممتنع .

ثم يتساءل : « وكيف يكون الابداع شيئاً قبل المبدع ، وليس مع المُبْدِع شيء البتة ، ولو جاز أن يكون مع المُبْدِع قبل اظهار المُبْدَع شيء ليس بمُبْدِع ، اذا جاز ان يكون شيء مُبْدَع وشيء غير مُبدَع . بمعنى الشيئية . واذا كان ذلك كذلك ، فقد أبدع الباري ما جاز أن يكون غير مُبَدَع ، بمعنى الشيئية ، واذا كان ابداع المبدع ليس بمبدع ، ومعنى الشيئية فيه موجودة . فإذاً ظهرت الشيئية بظهور المُبْدَع وبعده . . » ولم يقف هذا الداعي في ابحاثه عند هذا الحد بل راح يثبت عن طريق المناقشة بأن العقل لا يبيد ، وأنه ساكن ليدرك سكونه حركة كل متحرك طبيعي وروحاني . ثم يؤكد بأن العقل تام بالفعل والقوة ، وهو غير مكتسب قوته وشرفه من شيء آخر لظهوره بالقوة

---

(١) كتاب الينابيع للسجستاني ص ٨٢ تحقيق مصطفى غالب .

والفعل معاً . وانه عقل مجرد غير مشوب بالاشخاص الانسانية ، ولا بشيء من الجسد .

أما فيلسوف دعوة أهل الحق الأكبر أحمد حميد الدين الكرماني فإنه يذهب في تحليله للعقل الأول الذي هو الموجود الأول الى أبعد وأعمق من هذا فيقول وهو يثبت ان وجوده لا من ذاته ، وأنه علة تنتهي اليها الموجودات ، وأنه لا جسم ولا قوة في جسم ، وأنه خارج عن عالم الجسم[1] :

« . . . الموجود الأول أصلاً اليه ينتهي كل موجود ، وأنه ليس فوقه إلا من أبدعه سبحانه ، وانه تام في ذاته ، تام في فعله . . . واذا كان القائم بالفعل التام في ذاته وأفعاله الذي به ينهض القائم بالقوة للخروج الى الفعل موجوداً ، لم تخل ذاته أن تكون إما جسماً أو قوة في جسم . أولا جسماً ولا قوة في جسم ، فيكون خارجاً من عالم الجسم ، وبطل أن يكون جسماً أو قوة في جسم لكون ما يشتمل عليه عالم الجسم من الأجسام والقوى في الأجسام مواد يفعل فيها قائمة لنقصانها بقبول الفيض لنيل كمالها ، عاجزة عن الفعل في اعطاء كل شيء ما يليق به غير بالغة في تبليغه نهاياته التي هي كمالاته إلاّ بغير فاعل ، وذلك مثل الأجسام العالية التي لا يحصل منها بمجردها فعل إلا بما يقبل فعلها من الأجسام السفلية المؤثرة فيها ، ومثل الاجسام السفلية التي لا يحصل منها فعل بمجردها إلا بالأجسام العالية المؤثرة فيها ، وهي بجملتها عاجزة مؤثرها والمؤثر فيه منها بكونها من قبيل ما يكون مفعولاً فيه ناقصاً في الفعل عن تكوين كثير من الأشياء إلاّ بمعاونة الغير فاعل وبمعالجته وتدبيره ، مثل الزجاج الذي عجزت الطبيعة عن اخراجه الى الكون كما أخرجت الذهب وغيره ، وأكثر ما بلغ امكانها اخراج ما يفعل منه فيعالجه الانسان ويجعله زجاجاً . . . ومثل أنفس البشر التي عجزت عن اخراجها تامة لا تحتاج في قيامها بالفعل الى غيرها ومصيرها ما يكون مفعولاً فيه محتاجاً في اصدار فعله الى غير به يتم فعله ، ناقصاً في ذاته وفعله بكون ذاته من شيئين أحدهما غير الآخر . مثل الأنسان الكائن ذاته من شيئين جسم ونفس . وحاجة كل منهما في وجودهما الأول الى الآخر ، وما يكون ناقصاً بتقدم الكامل التام في الذات التام في الفعل عليه ، وقد

---

(١) كتاب راحة العقل للكرماني ص (١٥٧ - ١٦٢) تحقيق مصطفى غالب .

فرضنا أنه تام كامل في ذاته تام في فعله، وإذا كان هو كاملاً تاماً في ذاته وفي فعله، فباطل أن يكون ناقصاً في ذاته وفعله ، واذا بطل ان يكون ناقصاً بطل أن يكون جسماً أو قوة في جسم لكون الجسم وما في الجسم محتاجاً ناقصاً ، فهو لا جسم ولا قوة في جسم ، واذا كان لا جسماً ولا قوة في جسم ثبت مع وجوده انه خارج من عالم الجسم . . . » .

ونلاحظ بأن الكرماني في أبحاثه العقلانية هذه يخرج عن الأمور الفلسفية العقلية ليثبت نظرياته ، فيعمد الى المطابقات والمقابلات والأمثلة ، فهو يأخذ عالم الوحدة من جهة التركيب ويقابله ويقارنه مع عالم الدين أو عالم الصنعة النبوية من جهة التركيب فيخرج من مقابلاته ومطابقاته الى أن الناطق في عالم الشرع والوضع أصلاً اليه ينتهي الكل من الحدود كما ان العقل الأول أصلاً ينتهي اليه الكل من العقول ، وليس فوق الناطق إلاَّ من أناله تلك المرتبة العالية وهو تام في ذاته بنيله الكمال ، تام في فعله بكونه غير محتاج فيما شرعه وبينه وأتى به من الكتاب المبين الى غير يستعين به الاَّ ما به قوامه وتمامه ممن هو فوقه ، وذلك موافق ومطابق لوجود الموجود الأول أصلاً اليه ينتهي كل موجود ، وأنه ليس فوقه إلا من ابدعه سبحانه .

ويضيف الى ذلك قائلاً : « . . . فمن مصير الناطق علة تنتهي اليها الأشياء الدينية الوضعية القائم بالقوة منها والقائم بالفعل جميعاً ، وموازنة الموجودات عنه ما عليه الخلقة الإلهية قام الدليل على ان الشيء الأول هو علة تنتهي اليه العلل ، وكما صار الناطق أصلاً أولاً وجد عنه الكتاب والأساس صار الشيء الأول أصلاً أولاً وجد عنه الهيولى والصورة المفارقة ، وكما صار الناطق وجوده ناطقاً لا من جهة من كان من جنسه من البشر صار الشيء الأول وجوده لا عمن هو من جنسه ، وكما صار الناطق موجداً عن غيره وجوده ، صار الأول موجداً عن غيره وجوده . ذلك تأويل قول الله ﴿مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ مثلاً بمثل .

وقد تبين بما أوردناه ثبوت وجود الموجود الأول ، وان وجوده لا بذاته ، وأنه فعل وفاعل ومفعول في ذاته ، ونهاية تنتهي اليها الموجودات ، وانه لا جسم ولا قوة في جسم ، وانه خارج عن العالم الجسماني »(١) .

---

(١) راحة العقل للكرماني ص ١٦٧ تحقيق مصطفى غالب .

وبعد هذه الآراء التي تجسد معتقدات أهل الحق ينتقل الكرماني الى اثبات وجود الموجود الأول عن الله سبحانه وتعالى على طريق الابداع لا على طريق الفيض كما يقول الفلاسفة مؤكداً أن طلب الاحاطة بوجوده محال . ثم يذهب في تحليله الى أنه عين الابداع وعين المبدع وعين الوحدة وعين الواحد ، وأنه الموجود الأول الذي لا يتقدمه شيء ، ولا يسبقه في الوجود سواه . ثم ينتقل الى كماله وأزليته ، وعدم استحالته ، وأنه واحد لا مثيل له وانه لا يعقل إلا ذاته فقط فيقول[1] :

« إن الذي وجدت عنه الموجودات جل وتعالى قد سبق الكلام على انه من وراء ما في الامكان العبارة عنه بلفظ قول أو عقد ضمير ، وليس في الموجودات رتبة تتناهى اليها الرتب ، ولا صفة أجل من الكمال الذي ينطوي فيه البقاء على حال ما عليه وجود الشيء ؛ ولما تقدس هو بسبحانيته تعالى عن هذه الرتبة حصلت هذه الصفة لأول موجود عنه ، إذ لا يجوز أن يكون الموجود عنه بضد هذه الصفة فيكون موصوفاً بالنقصان ، لأنه من المعلوم أن ذا النقصان في الوجود وجوده بالرتبة بعد وجود ذي الكمال ، ولو كان ناقصاً لكان المستحق لأن يكون كاملاً هو الله سبحانه وتعالى الموجود عنه الكامل بكون الكامل متقدماً على الناقص ، وكان كونه كاملاً يقتضي أن يكون وجوده عن غير محال وجوده فلما أدى كونه كاملاً الى وجوب وجود ، ووجوده محال ، بطل أن يستحق سبحانه صفة الكمال ، وصارت هذه الصفة للموجود الأول الذي وجوده كذلك يقتضي ما عنه كان وجوده بريئاً من آيات الكثرة والصفات التي توجب وجودها عن غيرها ، وكان الموجود عنه سبحانه كاملاً . . . ثم ان الابداع الذي هو المُبْدَع هو الموصوف بالتمام والتام ، ولو كان له مثل في الوجود يضاهيه ويساويه لكانت التمامية منقسمة بينهما وبهما جميعاً كانت التمامية ، ولما كان يكون كل منهما تاماً . بل كان يكون ناقصاً ، وكان اذا كان ناقصاً كان يجب به وجود ما يعلل ما عنه وجوده تعالى ، ولما بطل ما يعلل المتعالي سبحانه بطل كونه ناقصاً بكونه ابداعاً له تعالى ، واذا بطل كونه ناقصاً فهو تمام وتام ، واذا كان تماماً وتاماً فلا يوجد خارجاً عنه ما يكون مثلاً له في النوعية . . . ثم ان الابداع الذي هو المُبْدَع لا يجوز أن يكون عاقلاً إلاَّ لذاته فقط بكونه أشرف الموجودات . . . » .

---

(١) المصدر نفسه (١٨١ - ١٨٣) تحقيق مصطفى غالب .

ومن مطابقة هذه الأمور التي ينفرد فيها العقل الأول عن أبناء جنسه من العقول مع عالم الصنعة النبوية وحالة الناطق الذي هو من عالم الدين بكونه مبدأ لدوره ، به يتعلق وجود من سواه ، فإن كونه كاملاً ثابتاً على ما به أعطى كمالاً يطابق ذلك في عالم الابداع في كونه كاملاً أزلياً لا يستحيل عما عليه وجد ، وكونه واحداً لا يشاركه في نبوته غيره ولا يماثله في رتبته مثل ، يطابق ذلك في كونه واحداً لا يشاركه في رتبته غيره ، ولا يماثله في رتبته غيره . وكونه مستغنياً عن غيره ممن وجودهم به من الحدود في عالم الدين » .

ومن ثم يأتي دور جوهر العقل الأول فيبحث الكرماني عن ماهية هذا الجوهر ، وما الذي يلزمه من الصفات اللاحقة به ، وما الذي يلزم أن يكون حاملاً مما اشتملت عليه ذاته ، وما الذي يكون محمولاً ، فيخرج من تحليله مؤكداً بأنه حي وقادر وعالم وعاقل ، وازلي ومحيط وكامل وتام وواحد ، وموجود أول ، وحق ومبدع عنه تكونت الموجودات كلها ، وذاته واحدة تلحقها هذه الصفات ، فيستحق بعضها لذاته ، وبعضها بإضافته الى غيره من غير أن تكون هناك كثرة بالذات ، وهذه الأمور وجودها له ضروري بكونه أولاً في الوجود الواجب احتوائه على أشرف الكمالات ، وأشرف الموجودات . وجوهره جوهر الحياة ، وعينه عين الحياة ، والحياة متقدمة على سائر هذه الصفات . لذلك نستطيع أن نقول بأنه متوحد من جهة في كونه إبداعاً وشيئاً واحداً ، ومتكثر من جهة الموجود فيه من الصفات .

ويخلص من هذا التحليل الى اعتبار العقل الأول المحرك الأول لجميع المتحركات ، وانه لا يحتاج في فعله الى غير ذاته ، وأنه عقل في ذاته وعاقل لذاته ومعقول بذاته . وكذلك الناطق يحرك الكل الى عبادة الخالق ، ويفعل في الأنفس صور التوحيد . وهو مستغنياً بكماله في وضع شرائع العبادة وتأسيس قواعد التوحيد الذي هو ينبوع السعادة عن غير به يستعين ، فهو عاقل وعقل ومعقول .

ومن هذه المنطلقات العقلانية والتحليلات الماورائية في علم الحقائق يمكننا أن نستنتج بأن أهل الحق يعتقدون بأن العقل الأول أو الموجود الأول هو أول رسول من الصانع الى المصنوعين ، لأن منزلته في العالم الروحاني كمنزلة الرسول في العالم

الجسماني ، أوجده الله وجعله أصلاً لجميع الخلائق ، وأبرز فيه صورهم ، ومعرفة العقل الأول لا تتم إلاّ بعد معرفة الله ، لأن جوهرية العقل هي نفي الصفات والأضافات عند المُبْدِع عند حصول الابداع واثباته لمن أبدعه ، وتعريفه لمن دونه من التالي والحدود العلوية والسفلية بأن جوهريته التي هي النفي لم تكن لتعطيل الإلهية عن المُبْدِع ، بل تثبيته مجرداً عن صفات المبدعات والمخلوقات ، فلم يسبق هذا التعريف في العقل شيء بل هو أول رسالة يؤديها عن المُبْدِع ، الى الخلق ليعبدوه حق عبادته وينزهوه عن سمات بريته ولا يشركوا به من دونه في ربوبيته .

ولما كان العقل الأول أول حد من حدود الموجودات وأول خلق ظهر من أمر الباري فقد حصر المُبْدِع سبحانه وتعالى فيه صور المبدعات كلها كي لا يخرج عنه شيء منها .

وفي مفهوم أهل الحق أن معرفة السابق أو العقل الأول لا تتم إلاّ بعد معرفة المُبْدِع الفرد الذي أبدعه جوداً منه وإنعاماً ولطفاً وجعل سائر الحدود تستمد منه المادة النورانية ، والتأييد العقلي السرمدي المتصل به والممتزج بذاته لأنه جزء منه عبر عنه بالكلمة والأرادة والمشيئة . يقابله الناطق في عالم الدين الذي تستمد منه كافة الحدود الدينية التأييد والعلوم والمعارف الشرعية والوضعية الهادفة الى نفي الشبهات عن التوحيد .

ويرى أهل الحق أن العقل الأول الذي هو ـ السابق ـ يمد بالتأييد الروحاني ، وبالنور الرباني الذي اتحد بجوهريته ، كافة العقول الانبعاثية التي هي دونه ، ويخرج النفوس الخيرة العارفة من حد القوة الى حد الفعل ، كذلك يصرون على أن العقل الأول لم يسبقه في عالم الابداع شيء ، لأنه شيئية الأشياء كلها ، وعين العلم والعقل والعمل والرفعة والعزة ، ومجمع الحروف العلوية ، وهو أول طالع من الظلمة لظهور الأيسيات ، وبه نصاب الحياة الروحية الأبدية لأنه ينبوع كل نور روحاني وجسماني .

والناطق في عالم الدين مثلاً للعقل الأول في عالم الابداع ، كونه علة لوجود العقول الطبيعية بما أقامه من السنن والوضائع في عالم الدين ، وكذلك العقل الأول علة لوجود العقول المنبعثة في عالم القدس .

المفتاح الخامس
« الإنبــعاث »

لا بد لنا بعد أن أوردنا الآراء التوحيدية عند أهل الحق ، واستعرضنا نظرياتهم في الإبداع الروحاني الذي ظهر عنه العقل الأول والموجود الأول - السابق - التي تثبت بأن هذا الحد العظيم هو ذات الفعل الصادر الى الوجود عن المُبْدِع سبحانه وتعالى ، لا من أيس يجري منه مجرى المادة من ذوات الموجودات ، وتبين أن معرفة كيفية الابداع أيست العقول من أن يكون لها الى رفعه والوصول اليه سبيل ، بكونه مما لا تحويه ذواتها واحتياجها عند النهوض لتطلب ذلك الى خروجها من كونها عقولاً ، وفي خروج العقل من كونه عقلاً بطلان ذاته ، وقيام الدليل على أن كيفية الابداع لا ككيفية الانبعاث التي قد أحاطت العقول النيرة بها فأخبرت عنها ، إذ لو كانت مثلها لكان الابداع انبعاثاً ، والانبعاث ابداعاً ، فبطل أن تكون كهي .

أقول لا بد لنا بعد ما بيناه وأثبتناه من التحدث عن الإنبعاث الذي هو انفعال ما لا عن قصد أول ، وهو وجود يحصل عنه ذات جامعة لأمرين : بأحدهما تكون محيطة ، وبالآخر تكون محاطة ، فتشرق تلك الذات عند ملاحظتها ذاتها واغتباطها بها ، فيحصل من بين الأمرين خارجاً عنها أمر يثبت بثبوت الذات[1] .

ويرى أهل الحق ان الانبعاث هو سطوع نور عن ذات المُبْدَع الذي هو العقل الأول وذلك بإشراق ذاته عند احاطته بها وعقله إياها وملاحظتها لها في ذاته ، فرأى ما أحبه من ذاته في أنه أول في الوجود ، وأنه لا يتقدمه شيء ،

---

(١) راحة العقل للكرماني ص ٢٠٧ تحقيق مصطفى غالب .

وأنه علة بها يتعلق وجود الموجودات ، وأنه النهاية في السناء والنور والضياء ، وأنه محض الفعل الحاصل في الوجود بلا واسطة في الوجود بينه وبين المُبْدِع ، فسطع عنه نور لخلو ذاته التي سطع منها من العوائق ، ولتمام قدرتها عما يفارقها عند سطوعه ، فكان الموجود الثاني أو العقل الثاني أولاً في الانبعاث فعرف بالمنبعث الأول أو ـ التالي ـ فأقر هذا الحد بالسبق للعقل الأول ، وانتظم أولاً في العقول المنبعثة في عالم القدس وثانياً في الموجودات[1] .

ولما كان الموجود الأول ، أو العقل الأول ذو نسبتين : إحداهما أشرف من الأخرى ، وان الأشرف عقل قائم بالفعل ، والآخر عقل قائم بالقوة مزدوج ذاته ، وهو الهيولى والصورة اللتان هما مزدوجتان مثل ما جاء به الناطق الذي هو مزدوج كتاباً وشريعة . وكما أن الوصي أول الأئمة في عالم الشرع والدين ، فالمنبعث أول العقول المنبعثة في عالم القدس . وهو عقل قائم بالفعل مثل ما عنه وجد كالشعاع الموجود عن الشمس ، والمرآة التي هي من جنس العلة الفاعلة له ، التي هي الشمس ضياء ونوراً كاملاً .

وكمال المنبعث الأول ـ التالي ـ ليس ككمال العقل الأول ـ السابق ـ الذي يستغنى بعقله ذاته عن عقل ما سواه ، بكونه أولاً في الوجود وحقاً في الوجود ، بل كماله دون ذلك الكمال رتبة ، بكونه ثانياً في الوجود ، كالوصي الذي مرتبته دون مرتبة الناطق ، وهو عاقل لذاته ولذات ما عنه وجوده من المبدع الأول الذي هو العلة في وجوده . وذلك أنه لما كانت العلة في بقاء الباقي تعلقه بما يمده بقاءه من علته التي عنها كان وجوده ، ولولاها لما كان ، وكان المبدع الأول علة له في وجوده سابقة عليه ، تعلق المنبعث الأول به ليدوم وجوده ، وتعلقه به عقله إياه .

ويبدو من كتب أهل الحق العرفانية ان علماء وفلاسفة هذه الدعوة قد وجهوا إهتماماً خاصاً للانبعاث والمنبعث الأول فأثبتوا وجوده عن طريق التحليل ، ثم طابقوه مع عالم الصنعة النبوية ، ولنستمع الى الداعي أحمد حميد

(١) المصدر نفسه ص ٢١٣ . تحقيق مصطفى غالب .

الكرماني وهو يناقش هذه الأمور ويؤكد بأنه لا جسم ولا في جسم ، وان وجوده لا عن قصد أول[1] :

« . . . فالمنبعث الأول للمبادىء المنبعثة التي هي الحروف العلوية أول ، بكونه أول كل شيء محض وجد عن شيء محض ، وهو من حيث كونه عقلاً لا فرق بينه وبين الأول ، كما ان الوصي أول منصوص عليه من الحدود في الدور والدعوة الى التوحيد ، فهو من حيث كونه كاملاً لا فرق بينه وبين الناطق ولا يقع الفرقان إلاّ بالمرتبة في التقدم . ولا يجوز أن يكون جسماً لوجوده عن النسبة الأشرف التي توجب أن يكون هو في وجوده مثل ما وجد عنه عقلاً محضاً محيطة ذاته بذاته ، عاقلة ذاته لذاته ، والجسم ليس بعاقل ذاته ، ولا محيطة ذاته بذاته . ثم لكون العقول في ذواتها غير متغايرة ، وفي جواهرها غير متضادة ، والجسم في ذاته من أشياء متغايرة محتاج بعضها في وجوده الى وجود البعض ذات أقطار تدرك بالحواس ، ومايكون بهذه المثابة يخرج أن يكون عقلاً ، ثم لو كان جسماً لوجب ان يكون موجوداً هناك ما هو غيره ما يكون عقلاً محضاً بوجود العلة التي يلزم أن يوجد عنها ما يكون وجوده كوجوده ، وغير موجود غيره عقلاً محضاً منبعثاً أولاً .

ولا يجوز أن يكون في جسم لكون وجوده عن الكمال الذي يوجب أن يكون هو كاملاً غير ناقص وما يكون في الأجسام من قواها وأنفسها ناقص محتاج الى غير يكسبه التمامية فهو بريء من التعلق بالأجسام والمواد . ومنزلته من مراتب الاعداد منزلة الاثنين ، بكونه ثانياً في الوجود ، وكون وجوده عند الترتيب بعد الواحد المتقدم الرتبة في الوجود ، وكما ان الاثنين ذاته من واحد ، وقوامه بالواحد الذي تقدم عليه في الوجود ، فهو كذلك قوامه بما تقدم عليه في الوجود من العقل الأول ، وذاته موجودة بعقله إياها ، وبعقله ما تقدم عليه في الوجود جميعاً » .

---

(١) راحة العقل للكرماني ص ٢١٧ تحقيق مصطفى غالب .

وفي مفهوم الكرماني ان المنبعث الأول هو كالعقل الأول جامعاً للكمالين ، وذلك أن جميع ما يختص السابق به من الأمور العشرة التي بها هو ما هو ، من كونه حقاً ، وموجوداً أولاً ، وواحداً تاماً ، وكاملاً أزلياً ، وعاقلاً ، وعالماً ، وقادراً ، وحيا بالاضافات والذات واحدة ، فإن المنبعث منه يستحقه بالمعاني الموجودة فيه : فأما كونه حقاً فلكونه نهاية المنبعثات من طريق الابداع ، وكونه موجوداً أولاً فلكونه موجوداً أولاً من الانبعاث ، وكونه واحداً فلكونه عقلاً محضاً واحداً من نوع الانبعاث الأول ، وكونه تاماً فلوجوده عن التمام ، وكونه كاملاً فلوجوده عن الكمال ، وكونه ازلياً فلكونه متعلقاً بما يحفظ عليه وجوده ، وكونه عاقلاً فلعقله ذاته بذاته ، وكونه عالماً فلعلمه بذاته وذات ما تقدمه ، وكونه قادراً فلوجود الاحاطة منه بذاته ، وكونه حياً فلوجود الفعل منه ، فهو تام كامل ووجوده عن السابق عليه لا بقصد منه أول ، وذلك أن قصد الموجود الأول في ملاحظة ذاته بذاته وعقله اياها لا لأن يوجد عنه غير أول ، بل لأن يفعل بذاته ما يوجبه كماله لذاته عقلاً لها واحاطة بها واغتباطاً بحالها وتقديساً للذي عنه وجوده عن ان يكون كهو مع كونه ذروة الفضائل ، ونهاية أولى لها ، الذي كان عن فعله ذلك أولاً ما أوجب سطوع نور الانبعاث عنه ثانياً ، الذي هو تمامية الكمال وثمرته التابع وجودها لتلك الذات .

ويعمد الكرماني الى مطابقة وموازنة عالم الدين مع عالم الانبعاث فيقول : « يشهد بصحة ذلك من قوانين الصنعة الإلهية ما عليه أمر الأساس الذي هو الوصي في وجود مرتبته عن الناطق السابق عليه في الوجود وذلك أن قصد الناطق في قيامه بدعوته ، ووضع مشارع نبوته ومراسم عالم العبادة والدين ، لم يكن لأن يقيم أولاً وصياً له فيكون نصه عليه هو الغرض الأول في دعوته ، فيكون بكون قصده مقصوراً على ما دونه نقصاً في حاله ، بل لأن يفعل في أمره ما يوجبه كماله لذاته في استكمال ما به يستقر في ذروة الأزل اعتلاقاً بالسابقين عليه في الوجود عقلاً لها ، وعقلاً لذاته . . . »[1] .

---

(١) راحة العقل للكرماني صفحة ٢١٩ تحقيق مصطفى غالب .

نستنتج من هذا التحليل والموازنة والمطابقة مع عالم الصنعة النبوية أن أهل الحق يعتبرون مرتبة الناطق أو الرسول اسمى المراتب الدينية لأنه سابقها في الوجود والتسبيح والتوحيد ، ثم ينبعث منه الوصي أو الاساس لأنه وهو من جنس واحد ، ويتمتع بكافة الامتيازات التي يتمتع بها الناطق الذي يوازنه ويطابقه في عالم العقول العقل الأول الذي نال الأولية بقوة ابداع المبدع الذي جعله ينبوع كل نور روحاني وجسماني ، وبرز في أوليته انبعاث صورته القابلة منه ، فأشرق من نور كلمته عند نظره في معرفة ذاته ، وقام من جوهريته . انبعاثاً العقل الثاني أولاً في الانبعاث ، وعرف بالتالي .

وفي اعتقادهم ان السابق من جهة أوليته سابق على التالي من جهة انبعاثه ، ومرتبته تأتي في المرتبة الثانية بعد مرتبة السابق لأنها تتمة واستمراراً لها . كذلك في عالم الصنعة النبوية يخلف الاساس النبي ويحافظ على شريعته ويصون أحكامها ، ويطبق نصوصها بلا زيادة أو نقصان .

ويرى أهل الحق ان التالي مبعث الأنوار ومجمع العقول الانبعاثية ، وهو القائم بتدبير العوالم السفلية والعلوية ، وهو غاية درجات العقول في كمالها لأنه جامع للكمالين : الكمال الأول بأعتباره عقلاً ثانياً ، والكمال الثاني بإعتباره أولاً في الانبعاث .

ومن المطابقة والموازنة يتبين أن مرتبة النبي هي مرتبة العقل السابق في وقته ، ومرتبة امير المؤمنين ـ الامام علي بن أبي طالب (ع) ـ في الدين معه مرتبة الانبعاث الأول في عالمه . والنبي مثل الذكر في الدين ، وأمير المؤمنين معه مثل الأنثى القابلة منه . والنبي مثل السماء وأمير المؤمنين معه مثل الأرض . فلما انتقل (النبي (ص) صار أمير المؤمنين بعده قائماً في عالم الدين مقام العقل الأول ، وحجته مقام المنبعث الأول .

ويذهبون الى ان الانبعاث لم يقف عند هذا الحد بل يأتي دور المنبعث الثاني الأول القائم بالقوة الذي هو الهيولى الذي كان وجوده عن المبدع الأول لا عن قصد أول ، وأنه لا يشبه الأول ولا ما يجمعه وإياه حكم الانبعاث الأول ،

وأنه أصل لعالم الجسم ، وأنه يجري من الموجودات العقلانية مجرى الثلاثة من الأعداد ، ووجوده كوجود الثلاثة بوجود الواحد والاثنين من غير ما وقوع الثلاثة تحت القول . ومنزلة المنبعث الثاني من الموجودات كمنزلة الثلاثة من الاعداد ، بكونه ثالثاً في الوجود .

وفي رأيهم أن المنبعث الثاني الذي انتظم ثالثاً في العقول وثانياً في الانبعاث لاحظ بأن المنبعث الأول الذي تقدمه في الوجود أنه ليس له فضل عليه في الشرف والرتبة والسبق ، فتوهم أنه يساويه في الفضل والشرف ، فكان ذلك التوهم خطأ اكسبه تأخراً عن مرتبته وانحطاطاً عن منزلته فهبط الى مرتبة العاشر من العقول المنبعثة في عالم القدس .

ولم يقف الانبعاث إلاّ بعد ان وجد عن العقل الأول والمنبعث الأول عقول سبعة وجد كل منها عن الآخر صاعداً الى المنبعث الأول ، وأصبح كل منها ساطع ساري فيما وجد عن الأول من الهيولى والصورة التي منها وجود السماوات والأرض وحركاتها ، والطبائع ومواليدها ، وهي تجري من العقول البرية مجرى المادة تعمل فيها وتوجد منها الاجسام المصورة المحسوسة . وهم يعتقدون أن لا وجود للهيولى خارج النفس وجوداً مجرداً عن الصور ، بل وجودها كذلك في الذهن فقط ، ولا تدرك خارج النفس إلاّ مشغولة بالصور .

ويتبين بعد كل هذا أن الانبعاث توقف عند انتهائه الى العاشر من العقول ، فقام العاشر بعد أن أعلن توبته وشعر بتوهمه مقام الأول في تدبير أمر دار الجسم . وبموجب هذه النظرية العرفانية وجد في عالم العقل من العقول المؤثرة في ما دونها عشرة كان وجود كل منها عن أول لها ، ثلاثة منها كلية وسبعة تابعة لها .

ولقد رتبت ونظمت هذه العقول العشرة التي توصل أهل الحق الى ايجادها عن طريق الابداع والانبعاث ، بالتوازن والتطابق مع مراتب الموجودات ومراتب الدعوة على الشكل التالي :

الحدود العلوية : **الحدود السفلية**

١ ـ الموجود الأول = العقل الأول = السابق = الفلك الأعلى = الناطق = رتبة التنزيل

٢ ـ الموجود الثاني = العقل الثاني = المنبعث الأول = التالي = الفلك الثاني = الأساس = رتبة التأويل

٣ـ الموجود الثالث = العقل الثالث = المنبعث الثاني ـ الهيولى والصورة ـ فلك زحل = الامام = رتبة الأمر

٤ ـ الموجود الرابع = العقل الرابع = المنبعث الثالث = فلك المشتري = الباب = رتبة فصل الخطاب

٥ ـ الموجود الخامس = العقل الخامس = المنبعث الرابع = فلك المريخ = الحجة = رتبة الحكم في ما كان حقاً أو باطلاً

٦ ـ الموجود السادس = العقل السادس المنبعث الخامس = فلك الشمس = داعي البلاغ = رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد

٧ ـ الموجود السابع = العقل السابع = المنبعث السادس = فلك الزهرة = الداعي المطلق =: تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنة

٨ ـ الموجود الثامن = العقل الثامن = المنبعث السابع = فلك عطارد= الداعي المحدود= تعريف الحدود السفلية والعبادة الطاهرة

٩ ـ الموجود التاسع = العقل التاسع = المنبعث الثامن = فلك القمر = المأذون المطلق = اخذ العهد والميثاق

١٠ ـ الموجود العاشر = العقل العاشر= المنبعث التاسع = ما دون الفلك من الطبائع = المأذون المحدود أو المكاسر = جلب الأنفس المستجيبة .

والى جانب هذا الترتيب والتنظيم توجد نظرية الأصول الأربعة التي تعطي الأصلين العلويين قوة روحانية نورانية ذاتية لا تتوفر في غيرهما من الفروع التي تستمد نورها القدساني منها ، بينما نراهما لا يستمدان إلاّ من ذاتهما ، وهما السابق والتالي يقابلهما في عالم الصنعة النبوية الأصلين السفليين الناطق والاساس اللذين يحركان النفوس الى العبادة والتوحيد ، عن طريق العبادتين العلمية والعملية . ولهذين الأصلين أسماء أخرى كالعقل والنفس ، والقلم واللوح ، والعرش والكرسي ، سنتناولها بالبحث في ما يلي من حلقات .

المفتاح السادس
« الجد والفتح والخيال »

بعد أن حددنا معالم عالم العقول الانبعاثية والابداعية والأصلين العلويين والسفليين بالنسبة لمعتقدات أهل الحق التوحيدية نرى لزاماً علينا أن نستعرض آراء علماء وفلاسفة هذه الدعوة في الحدود الثلاثة الذي يأتي دورهم في الترتيب والتنظيم بعد الأصلين وهم : الجد ، والفتح ، والخيال ، وبذلك قال احد الدعاة :

غدا السابق السامي اليه وتاله   مع الجد والفتح والخيال الملاوم

ولقد أطلقوا على هذه الحدود الخمسة اسم الحدود العلوية الروحانية اللطيفة ، وذهبوا الى أن جميع الأنبياء لم يأخذوا التأييد ولا اتصل بهم الوحي إلاّ عن طريق هذه الحدود الروحانية الغير متجسمة ، وفسروا قوله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾ بأن القسم الأول من هذه الآية هو رتبة (الجد) الذي هو كلام الله وحياً ، وكلمة من وراء حجاب تعني رتبة (الفتح) وكلمة ويرسل رسولاً هي رتبة (الخيال) .

وفي اعتقاد أهل الحق ان السابق أفضى الى التالي بالمادة الأرادية والمشيئة المقضية ، فأفضى التالي بدوره الى الجد وهو (اسرافيل) بما يجري في العالم الروحاني ، فنقله اسرافيل بدوره الى الفتح الذي هو (ميكائيل) الذي أبلغه في دوره الى الخيال الذي هو (جبرائيل) الذي نقله الى الناطق الحي الذي يوازن ويماثل السابق كما يوازن التالي الاساس ، وكما يماثل الداعي الجد ،

والمأذون الفتح ،والمكاسر الخيال. ثم يفسرون قول النبي (ص) : « إنني آخذ الوحي عن جبرائيل ، وجبرائيل يأخذه عن ميكائيل ، وميكائيل يأخذه عن اسرافيل ، واسرافيل يأخذه عن اللوح ، واللوح يأخذه عن القلم » أنه يعني بذلك أنني آخذ الوحي عن الخيال الذي يأخذه عن الفتح عن الجد عن التالي عن السابق . فيكون قد أخذ عن خمسة حدود علوية اتصل عنهم خمسة حدود دينية : النطقاء عن السابق ، والأوصياء عن التالي ، والدعاة عن الجد ، والمأذونون عن الفتح ، والمكاسرون عن الخيال(١) .

ويرى دعاة أهل الحق ان الله سبحانه وتعالى المنزه عن الاسماء والصفات ، أقام العالمين العلوي والسفلي بعشرة حدود كاملة ، خمسة حدود روحانية ، وخمسة حدود جسمانية . فالحدود الجسمانية أو الدينية هم : النبي والاساس والحجة والباب والداعي يقابل كُلاً منهم : السابق والتالي والجد والفتح والخيال .

وفي التأويل الباطني لمعنى الآية القرآنية : ﴿ **وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾ يقول الداعي احمد حميد الدين الكرماني(٢) : « ما كان لبشر . يقول : ما كان لمن يصطفى بالبعث في دار الطبيعة ليعلم غيره من أبناء جنسه ودعوته إلى توحيد الله سبحانه رب العالمين وعبادته فمن يخرج الى الكون من البشر بواسطة الأمور المنصوبةعلى الأمر المقدر « أن يكلمه الله »الكلام وهو العقل يقول: ما كان لمن ينصب لذلك ويختار أن يكلمه الله ويجعله عقلاً كاملاً منبعثاً من طريق المخاطبة خطاب البشر بعضهم مع بعض تصريحاً بالجزئيات التي منها يرتقي الى معرفة الكليات نفياً أن يكون ذلك بقوله : ﴿ **إن هو إلا وحي** ﴾ هو ايجاب ما بين وجهه بعد النفي ، وهو الوحي الذي هو القسم الأول المعروف بالجد ، يقول : بل نعلمه بأن نضيء جوهره بنور القدس فتلمع في ذاته في حال يقظته

(١) المجالس المؤيدية للمؤيد في الدين الشيرازي جـ ٢ ورقة (٢١١) مخطوط في مكتبتي الخاصة

(٢) راحة العقل للكرماني ص ٥٦١ تحقيق مصطفى غالب .

منه صور هي معارف كلية شبه ما يرى في المنام ويتعلق بالأكوان والأحداث في ما سبق وجوده وانتظر كونه يحتاج فيه الى أمر ثانٍ به تنفتح جزئياتها ويظهر تفسيرها « أو » حرف تبديل « من وراء حجاب » كالأمثال المضروبة والأمور القائمة المنصوبة للأغراض المعلومة التي هي كالكتابة الدالة للعارف بها على ما يتضمنها من معانيها الناطقة له وان كانت ساكتة ، والمكلمة له وإن كانت صامتة « أو » حرف تبديل « يرسل رسولاً » وهو القسم الثالث المعروف بالخيال ، أو يعلمه من جهة الخيال الذي يتمثل له بشراً سوياً عن القوة التي واصلته من دار القدس الذي هو الملك ، إما قولاً بالسمع أو تشخيصاً برؤ ية العين .

فهذه الثلاثة الوجوه هي التي تجمع جميع وجوه التعليم الإلهي تارة بالأول ، وتارة بالثاني والثالث ، أو الأكثر ، أو بوجه منها بحسب قوته ، فأما القسم الأول الذي هو الوحي الذي يفيده معرفة الأصول ومثلناه بالشرر المعروف بالجد فهو الذي يحصل للمؤ يد في اليقظة والاغفاء فيدرك أولاً إما بأن يرى في ذاته شخصاً يخاطبه أو يسمع خطاباً لا من شخص مثل هتف هاتف، فيقف بذلك على ما في الأنفس ويطلع على الاعتقادات ، فيكون ذلك كلياً مثل ما يفرض من ايجاب الصلاة والزكاة جملة بقوله تعالى : ﴿ **أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ التي هي جملة غير مفسرة ، أو كما يرى في المنام الرائي حنطة قد حصلت له ، أو نقداً الذي يدل على حصول مال له ، أو امرأة جميلة ، فيكون الوقوف على وجه حصول ذلك المال وجهته وكميته ، وتلك المرأة وحالها في قدرها وجمالها واخلاقها بشيء آخر يتبع ذلك من معرفة لون النعل وحسنها وكونها ملبوسة أو جديدة ، وكذلك في المال من معرفة الوجه الذي عنه حصل له ذلك المال من صناعة أو من جهة غيره بالهدية ، ومقداره بأنه كان منصوباً معلوم القدر أو وفراً الذي كل شيء من ذلك على وجه فيتضح الأمر ، وفي هذا القسم لا يشارك المبعوث المؤ يد في زمانه غيره .

وأما القسم الثاني الذي هو الخطاب من وراء حجاب الذي هو الفتح فهو ما يكون من جهة قيام آثار الصنعة الإلهية في الموجودات ، مثل الخطاب

الإلهي بالأمثال ، . . . الذي يوقف منها على المعارف ويستفاد ، وكما يستفاد المعارف من جهة الأجسام العالية من آثار الصنعة ، فقد يستفاد من جهة المواليد ، مثل النبات الذي يدل على طبيعته طاهر خلقة الشجرة وثمرتها وهيأتها في لونها ورائحتها وفي كونها صلبة العود أو رخوة أو حارة أو رطبة أو باردة أو يابسة ، أو بالعكس أو حلوة أو مرة ، ويدل بخضرته على الماء الذي يشربه في قلته وكثرته ومن نضرته على جودة التربة التي هي فيها فيعرف منه ذلك .

ومثل البشر في خطابه الذي يدل بكلامه وافعاله على أمور من غير معرفة منه بها ، مثل من يريد أن يتذكر آية من القرآن فلا يذكرها ويرتج عليه ولا يتنبه لها ، فيسمع قارئاً يقرأ تلك الآية فيأخذها من غير معرفة القارىء أنه قرأها لهذا المتذكر . . . ومثل من كان مخاطباً نفسه في شيء أو متفكراً أو داعياً فيسمع من خطاب غيره ما يكون جواباً لما يفكر به إما بتعليم فبكونه أولاً فيعلم ما ينتهي اليه في ذلك المطلوب المفكر فيه . . . والمؤيد الذي قد أضاء له من دار القدس ، يحوي أمثال ذلك كله مما لا يعلمه غيره[1] .

وأما القسم الثالث الذي هو ارسال رسول يتمثل مثلاً بشراً سوياً ، ويعرف بالخيال هو الذي يكون شرحاً وبياناً كله ، فلا يشارك المؤيد في رؤية ذلك غيره ، وهو الروح الأمين المسمى بجبرائيل . وبالجملة فالمؤيد له من كل شيء يدركه بحسب حظه من المعارف الدينية وما يتعلق بها فلا يفوته شيء ولو حركة بعوضة فما فوقها ، وحاله في رؤية الأشياء وهو يقظان حال الأنفس النائمة المتفردة بذاتها الرائية في المنام ، ما يراه رجوعه الى ذاته فكراً فيما يريده ، وأضاءة من التحف به من نور دار القدس وقيام الصور متمثلة له مخاطبة ، فهي مجيء الوحي اليه ، فإنه في ذلك كله يخاطب الملائكة المقربين ويخاطبونه بكونه مثلهم في الذات كمالاً وانبعاثاً واضاءة ، واذا خاطب البالغ ذاته فكأنه قد خاطب الحد الأعلى . . . . » .

---

(١) راحة العقل للكرماني ص ٥٦٦ .

أما « الداعي أبو يعقوب السجستاني » فإنه يذهب في هذا المعتقد الى أن الجـد مهمته السهر على تنظيم احوال الأشخاص التركيبية من سعادة وشقاء ، وهو يعني « البخت » أي الحظ الذي قد يسوء في بعض الاشخاص عند ميلاده فيأتي « الجد » ويحسن أحواله ثم يرفع به الدرجات والمراتب الدنيوية ، وقد يبلغ حظه القمة فيصبح ملكاً من الملوك أو حاكماً من الحكام يتصرف بأحوال البلاد ، وتخضع لأرادته أرقاب العباد والعكس بالعكس اذا ساءت الحظوظ وتعطلت الأحوال . ثم يتساءل اذا كان تأثير الجد في الأشخاص البشرية على هذه الصورة فكيف يكون تأثير هذا الملاك الموكل بالسعود والنحوس والرخاء والشقاء في الأرواح النورانية ؟ .

ويجيب على سؤاله قائلاً : « . . . كانت حال الأنفس الروحانية مثلها سواء ، ويكون اتصال الجد بها من الاثنينية أي من الأصلان اللذان انشعبت منهما هذه الأسماء واتجهت نحوهما . فإذا ساعد الجد نفساً زكية صارت رباً لمن في عصره ، ومدبراً لهم يملكهم ولا يملكونه ، ويسوسهم ولا يسوسونه ، ويرشدهم الى رضوان ربهم ومعرفته ، ويصير جده مركباً له في الترقي الى ملكوت ربه ، وملقناً له[1] . ما يحتاج اليه في وضع ناموسه وتأليف تنزيله تلقيناً مبايناً عن الأصوات والحروف ، مسيراً له به تأليفهما بلسان قومه ليكون ذلك بياناً لهم ومبلغاً اليهم رسالات ربهم ، فقواه شديدة ، ومداه بعيد ، فاذا تفكر فيه المخصوص به وجده غير متجاوز عنه ، ولا يتعداه الى سواه ، ولا يعلم أنه معلقاً بشيء هو مادته وأصله ، فأضطره سبيله الى اضافة هذا الحد الى الله خالقه ، فكنى عنه بجبرائيل يعني ثقة الله الذي لا يتجاوزه ولا يتعداه » .

ويضيف الى ذلك قوله : « ولما كان اكثر المجدودين في باب دنياهم المحظوظين بخيراتها غير موفقين لحفظها وتدبير ما ورثوه عن آبائهم واكتسبوه ، والقليل منهم من اذا ساعده جده ساعده حسن التدبير وضبط السياسة في قنياته ، والمحمود منهم من يساعده حسن التدبير وضبط السياسة كذلك

---

(١) كتاب الافتخار للسجستاني ص ٢٦ تحقيق مصطفى غالب .

المجدود بالنطق والقنيات الروحانية إذا ألف ما خطر على قلبه من أنوار الملكوت مجملاً غير مفسر ولا مأول ، فإذا من الله عليه بالقوة الثانية الشريفة التي هي الفتح فأول عن المتشابهات ووضع كل شيء منها موضعه وانزله منزلته فقد بلغ من السعادة الروحانية المبلغ الذي يغبطه به الأولون والآخرون فمن الله تعالى ذكره عليه به حيث قال : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ فأسند أمر الفتح الى وزيره الذي أقامه بين ظهراني أمته . . . »[1] .

نلاحظ هنا أن السجستاني يرمز إلى أن النبي (ص) الذي اعتبره من المجدودين قد جاد على وزيره الذي هو أساس علم التأويل الامام علي بن أبي طالب (ع) ووصيه من بعده بمرتبة الفتح وخصه بها ليساعده في قيادة الأمة . . ويرى السجستاني أن الأساس بعد انتقال النبي وانتهاء مهمته التشريعية والتأليفية التنزيلية ، يصبح الأساس الذي هو الوصي وصاحب التأويل والفتح حاملاً للمرتبتين الروحيتين الجد والفتح كونه يوازن ويطابق السابق الذي وقع عليه الجد والتالي الذي وقع عليه الفتح . والجد والفتح قوتان روحانيتان لطيفتان .

ويضيف الى ذلك قائلاً : « كما ان ذا الجد يسند أمر تدبيره وكدخائيته الى منصوب يستوزره لنفسه في حفظ أملاكه فيكون أهيب وأجل لجاهه ومقداره فهو ميكائيل يعني فتح ما كان جده مجملاً غير مفسر . ولا تضاف مثل هذه القوة إلاّ إلى الله تعالى ذكره ، وتقدست عظمته . . . » . ثم يذهب الى ان هناك قوة ثالثة يحتاج اليها صاحب القوتين السابقتين ، أي قوة الجد وقوة الفتح ، لأن من نال السعادة بواسطة الجد عند مولده فملكته ما لم يخطر بباله ووفق لحفظه وتدبيره بالفتح الذي من به عليه الباري سبحانه وتعالى ربما حُرم القوة الثالثة التي بها سعادة آخرته ، فلم يوفق لما يحتاجه بعد وفاته من عقد وصية وصرف بعض ما ملكه جده في اعمال البر وسبيل الخير التي يعود نفعه على نفسه فيخرج عن ملكه الذي قد ورثه عدوه من حيث لا حمد له فيه ولا أجر .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٧ .

وفي اعتقاد السجستاني ان المسعود التام هو الذي تجتمع لديه هذه القوى الثلاثة ، فيقع عليه الجد عند الميلاد حيث يهبه العقل والسياسة عند البلاغ ، وتوقيف الوصية عند الممات . كذلك المجدود بالنطق اذا يسر الله له جمع تنزيله وشريعته ، ووفق لاقامة من يستوزره ويشركه في أمره ، ووضع الأمامة في من يصلح لها وتتصل في عقبه بعد وفاته ، تكمل له السعادة .

ولقد عرف القوة التي يضع بها الامامة بعده وبعد وزيره في من يصلح لها الخيال . يعني أنه تخايل ما يقع لأمته من بعده من الغلبة على أئمته وخلفائه ، وتخايل ما يورث الأئمة من صفوته ولطافته التي بها ستكون قوتهم ومقدرتهم على حفظ الدين وسياسة الأمة ، أما سراً وإما اعلاناً . وهذه القوة الموروثة من الاساسين أعني الخيال مادة تزيد الصفوة واللطافة حتى تنتهي الى قائم يقوم لقبول الجد والفتح من الرأس ، فيكون من ذلك سكون النفس وراحتها ووصول أجر ما عملت من الاستفادات العقلية اليها . ويقول : « فبهذا المعنى كانت دعوة أهل الحق الى الجد والفتح والخيال . . . كما كانت دعوة أهل الظاهر[1] . الى جبرائيل واسرافيل وميكائيل . . . » .

من هذه المعتقدات نستنتج ان أهل دعوة الحق يذهبون في تفسيراتهم الباطنية التأويلية لهذه الحدود مذهباً علمياً استقوه مما جاء في القرآن الكريم ومن اقوال النبي (ص) فأعطوا هؤلاء الملائكة اسماء تناسب القوى الروحانية التي وهبهم الباري سبحانه وتعالى إياها ، ونلاحظ ان هذه القوى الثلاثة التي كانت موزعة بين السابق والتالي والناطق والأساس قد أصبحت بعد وفاة الناطق مجتمعة في الإمام . وهي المعروفة بالحدود الخمسة الروحانية ـ السابق والتالي الجد والفتح والخيال ـ التي تمده بالقوةالروحانية القدسية التي يتمتع بها .

---

(١) كتاب الافتخار للسجستاني ص ٢٨ .

المفتاح السابع
« النفس الناطقة »

النفس الناطقة ، عند أهل الحق ، جوهرة روحانية حية بالذات علامة بالقوة ، فعالة بالطبع ، تظل بعد مفارقة الجسد ، إما ملتذة مسرورة فرحانة ، وإما مغتمة خاسرة . وهذه النفس ، بإعتقادهم ، جزء من النفس الكلية ، ولكنها غير منفصلة منها ولا هي هي بعينها .

ولقد اعطوا النفس صفات اختصت بها ، لمجردها كجوهرة روحانية سماوية نورانية حية بذاتها علامة بالقوة ، فعالة بالطبع ، قابلة للإفادة والتعليم ، فعالة في الاجسام ومستعملة لها ، ومتممة للأجسام ومفارقة لها ، وراجعة الى عنصرها ومعدنها وكليتها ، إما بربح وغبطة ومسرة ، أو بندامة وحزن وخسران ، كما ذكر الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ **كما بدأكم تعودون : فريقا هدى ، وفريق حق عليهم الضلالة**﴾ وقوله : ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا إنا كنا فاعلين**﴾ وقوله : ﴿ **أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وإنكم الينا لا تُرجعون**﴾ . . . ؟

وفي اعتقادهم ان النفوس من حيث النفسية ، جوهر واحد ، كما ان الأجسام من حيث الجسمية ، جوهر واحد ، وإنما تختلف النفوس بحسب اختلاف قواها ؛ واختلاف قواها بحسب اختلاف أفعالها ، ومعارفها وأخلاقها ، كما ان اختلاف الأجسام بحسب اختلاف اشكالها ، واختلاف اشكالها بحسب اختلاف أعراضها .

وبالأضافة الى هذا فقد أولى فلاسفة وعلماء أهل الحق النفس وما يتعلق بها من علوم ونظريات عقلانية عرفانية اهتماماً خاصاً فاق كل اهتمام ، واعتبروها من الحدود الروحانية السامية التي تدور عليها فلسفتهم في علم

الحقيقة وحدودهم الدينية في عالم الصنعة النبوية . لذلك لا نستغرب اذا وجدنا موضوع النفس يأخذ حيزاً كبيراً من تفكير رجالات الدعوة ، الذين أفردوا لها في مصنفاتهم الأبحاث الطوال ، ولا نغالي إذا قلنا بأنه لا يوجد أي كتاب من كتبهم إلا وكان موضوع النفس يحتل فيه مكان الصدارة .

ولعل جماعة اخوان الصفاء وخلان الوفاء الذين وضعوا الأسس العرفانية لهذه الدعوة أول من كتبوا وناقشوا وحللوا ماهية النفس واحوالها وافعالها ، وترقيها في العلوم والمعارف عن طريق الأفادة والتعليم . لذلك نرى لزاماً علينا أن نستعرض آراء هذه الجماعة بإعتبارها الأسس التي انطلق منها الدعاة والعلماء في تكوين نظرياتهم حول هذا الموضوع قالوا :

« وأعلم بأن نفس العالم نفس واحدة ، كما ان جسمه جسم واحد ، بجميع أفلاكه وكواكبه واركانه ومولداته ، ولكن لما كانت لنفس العالم أفعال كلية بقوى كلية ، وأفعال جنسية بقوى جنسية ، وأفعال نوعية بقوى نوعية ، وأفعال شخصية بقوى شخصية ، وهي حركتها من المشرق الى المغرب وبالعكس ، ومن الشمال الى الجنوب ، وبالعكس ، ومن فوق الى أسفل وبالعكس ، سميت هذه القوى بأفعالها نفوساً جنسية ونوعية وشخصية ، فتكثرت النفوس بحسب قواها المختلفة ، وتكثرت قواها بحسب أفعالها المفتنة ، كما تكثر جسم العالم بحسب اختلاف أشكاله ، وتكثرت أشكاله بحسب اختلاف أعراضه[1] .

فأفعال نفس العالم الكلية هي ادارتها ، وأفعالها الجنسية ما يختص بكل فلك وكل كوكب من الحركات الست العارضة ، وما يختص بالأركان الأربعة التي تحت فلك القمر من الحركات الطبيعية ، وأفعالها النوعية ما يختص بالكائنات المولدات التي هي الحيوان والنبات والمعادن ، وأفعالها الشخصية التي تظهر من أشخاص الحيوانات وما يجري على أيدي البشر من الصنائع . . . » .

---

(١) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ج ١ ص ٢٩٣ الطبعةاللبنانية .

ويعتبر اخوان الصفاء أن المُبْدع لما أبدع النفوس واخترعها ، وابرز المستكن والمستجن من الكائنات ، رتبها ونظمها كمراتب الأعداد المفردات ، كما أشار بقوله حكاية عن الملائكة قولهم : **﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ، وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون﴾** . وهم يرون ان اعداد النفوس كثيرة لا يحصيها إلاّ الذي أبدعها وصورها بأنواعها واشخاصها . أما مراتبها فهي على ثلاثة انواع :

«وأعلم يا أخي بأن مراتب النفوس ثلاثة أنواع ، فمنها مرتبة الأنفس الانسانية ، ومنها ما هي دونها ، فالتي هي دونها سبع مراتب ، والتي فوقها سبع أيضاً ، وجملتها خمس عشرة مرتبة . والمعلوم من هذه المراتب التي ذكرناها عند العلماء ، ويمكن لكل عاقل أن يعرفها ويحس بها ، خمس ، منها اثنتان فوق رتبة الانسانية وهي رتبة الملكية والقدسية ، ورتبة الملكية هي رتبة الحكمية ، ورتبة القدسية هي رتبة النبوة والناموسية ، واثنتان دونها وهي مرتبة النفس النباتية والحيوانية ، ويعلم صحة ما قلنا وحقيقة ما وصفنا ، التاظرون في علم النفس من الحكماء والفلاسفة وكثير من الأطباء .

وأما الرتبتان اللتان فوق رتبة الانسانية فهي مرتبة الحكمة وفوقها الناموسية ، وأما مرتبة الانسانية فهي التي ذكرها الله تعالى بقوله : **﴿ لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم﴾** . وأما التي فوق هذه فما أشار اليه بقوله : **﴿ ولما بلغ أشده واستوى - يعني الانسان - آتيناه حكماً وعلماً﴾** . وقال أيضاً : **﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾** . يعني الانسان ، أحيينا نفسه بنور الهداية ، وهذه مرتبة نفوس المؤمنين العارفين والعلماء الراسخين .

فأما التي فوقها فمرتبة النفوس النبوية الواضعين النواميس الإلهية ، واليها أشار بقوله جل ثناؤه : **﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾** . وهذه المرتبة تلي مرتبة القدسية الملكية . فقد تبين بما ذكرنا ، المراتب الخمس التي يمكن الانسان أن يعلمها ويحس بها . فأما المراتب التي

دون النباتية وفوق القدسية فبعيدة معرفتها على المرتاضين بالعلوم الإلهية ، فكيف على غيرهم ؟ » .

ويرى اخوان الصفاء وخلان الوفاءبعد أن تحدثوا عن مراتب النفوس الخمس ، والفائدة والحكمة من ربطها بالأجسام ، بأن الجسد كالدار ، وان النفس كالساكن في الدار ، وقد بنيت وأحكم بناؤها ، وقسمت بيوتها ، وملئت خزائنها وسقفت سطوحها ، وفتحت أبوابها ، وعلقت ستورها ، وأعد فيها كل ما يحتاج اليه صاحب المنزل في منزله . ثم يشبهون الجسد ، بالنسبة للنفس ، كدكان الصانع ؛ وأن جميع اعضاء الجسد للنفس بمنزلة أداة الصانع في دكانه ، وان النفس بكل عضو من اعضاء الجسد تظهر ضروباً من الأفعال وفنوناً من الأعمال ، كما أن الصانع بكل أداة يعمل ضروباً من الأعمال وفنوناً من الحركات .

ولم يقفوا في أمثالهم وتشبيهاتهم عند هذا الحد بل نراهم يشبهون الجسد بالنسبة للنفس بالمدينة التي تغص بآلاف السكان ، معتبرين حالات الجسد تشبه حالات المدينة ، وتصرفات النفس تشبه تصرفات أهل المدينة فيها[1] .

ويقولون : « . . . ثم اعلم ان في هذه النفس الساكنة في هذا الجسد قوى طبيعية وأخلاقاً غريزية منبثة في اعضاء هذا الجسد تشبه قبائل أهل تلك المدينة وشعوبها النازلين في المحال بتلك المدينة ؛ وإن لتلك القوى وتلك الأخلاق أفعالاً وحركات منبثة في اوعية هذا الجسد ، ومجاري مفاصله تشبه أفعال أهل تلك المدينة في منازلهم ، وحركاتهم في طرقاتها ، وأعمالهم في أسواقهم . فأما القوى الطبيعية ، والأخلاق الغريزية ، التي تشبه القبائل والشعوب فهي ثلاثة أجناس : فمنها قوى النفس النباتية ونزعاتها وشهواتها : فضائلها ورذائلها ، ومسكنها الكبد ، وأفعالها تجري مجرى الأوراد إلى سائر أطراف الجسد .

---

(١) رسائل اخوان الصفاء جـ ٢ ص ٣٨٤ .

(٢) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٨ .

ومنها قوى النفس الحيوانية وحركاتها وحواسها وفضائلها ورذائلها ؛ ومسكنها القلب ، وأفعالها تجري مجرى العروق الضوارب إلى سائر اطراف الجسد .

ومنها قوى النفس الناطقة وتمييزاتها ، ومعارفها ، وفضائلها ورذائلها ، ومسكنها الدماغ ، وأفعالها تجري مجرى الأعصاب إلى سائر أطراف الجسد .

ثم اعلم ان هذه النفوس الثلاث ليست متفرقات متباينات بعضها من بعض ، ولكنها كلها كالفروع من أصل واحد متصلات بذات واحدة كإتصال ثلاثة أغصان من شجرة واحدة ، تتفرع من كل غصن عدَّة قضبان ، ومن كل قضيب عدَّة أوراق وثمار »[1] .

وفي رأي جماعة اخوان الصفاء ان النفس واحدة بالذات ، وانما تقع عليها هذه الأسماء بحسب ما يظهر منها من الأفعال . وذلك إذا فعلت في الجسم الغذاء والنمو ، تسمى النفس النامية ؛ واذا فعلت في الجسم الحس والحركة تسمى النفس الحيوانية ؛ وإذا فعلت الفكر والتمييز ، فتسمى النفس الناطقة .

وعلى العموم يقولون بأن حالة الجسد مع النفس وانبثاث قواها في جميع اعضائه الباطنة والظاهرة ، واظهار أفعالها وفنون حركاتها في مجاري مفاصله ، وحواسها في مجاري ثقب رأسه في حال اليقظة ، تشبه مدينة عامرة مأنوسة لساكنها قد فتحت أبوابها وسلكت طرقاتها . . . ويخلصون من كل هذه الأمور الى القول بأن الانسان عالم صغير ، وان بنية هيكله تشبه مدينة فاضلة ، وان نفسه ملكاً في تلك المدينة .

وبعد كل هذه الشروحات والآراء والأمثلة يذهب اخوان الصفاء إلى ان النفس كانت في العالم الروحاني مقبلة على العقل الفعال تقبل منه الفيض وتستمد منه الفضائل ملتذة مستريحة . فلما امتلأت من الفضائل أرادت أن

---

(١) رسائل اخوان الصفاء جـ ٢ ص ٣٨٦ .

تتولى هي الفيض على ما هو دونها مرتبة ، فجعلت تفيض شيئاً من فضائلها على الهيولى . فلما رأى المبدع ذلك عده منها جناية ، فشاء أن يعاقبها عقاباً هو من جنس عملها : « أعلم أيها الأخ ان النفس الجزئية لما أهبطت من عالمها الروحاني ، وأسقطت من مرتبتها العالية للجناية ، وغرقت في بحر الهيولى ، وغاصت في قعر امواج الأجسام . . . وما ابتليت به من ظلمات هذه الأجساد من هموم المعاش ، وخوف الجوع ، وألم العطش وأوجاع الأمراض والأسقام ، وأذية الحر والبرد ، وفضيحة العري ، وأحزان النوائب ، فمن أجل هذه الشدائد والمصائب صارت النفس لا تذكر شيئاً مما كانت فيه من امر عالمها ومبدئها ومعادها » . (١)

ومن هذا المنطلق يتبين لنا بأن النفس الجزئية انفصلت عن كليتها نتيجة لخطيئة ارتكبتها في العالم الروحاني ، وبعد هبوطها ندمت على عملها واشتاقت إلى كليتها . ولكن هذه العودة لن تتسنى لها إلا إذا انتقلت من القوة الى الفعل بواسطة من يكون قائماً بالفعل بالذات وذلك عن طريق القيام بالعبادتين العملية والعلمية ، أي الظاهر والباطن . وللنفس وجود باقٍ بجوهر ذاتي بعد مفارقتها الجسم الأول لما كانت تنتزع بقوتها وفكرتها المميزة آثار الأولين فتشرق أنوارها دفعة واحدة بلا زمان .

وما دمنا في مجال الحديث عن النفس وهبوطها الى عالم الكون والفساد بعد ان ارتكبت الخطيئة التي كانت السبب المباشر في هبوطها لا بد لنا من معرفة آراء أهل الحق في هذا الهبوط وتلك الخطيئة ، لأن ما يذهبون اليه يخالف ما قالت به الفلاسفة وعلماء أهل الظاهر ، فلنستمع الى اخوان الصفاء وخلان الوفاء ماذا يقولون في رسالة الجامعة : « . . . . وإن النفس في عالم الكون والفساد ، كائنة في محل الأجساد ، وهي الأرواح الهابطة للزلة التي كانت منها ، والخطيئة التي جنتها ، فأهبطت وأبعدت من دار الكرامة ، فبقيت معذبة مربوطة بالطبيعة الحسية والتكليفات اللازمة لها في الشرائع الناموسية ، جزاء لها بما أسلفت . وما ذكره الحكماء من الهيولى والصورة إلاّ تنبيهاً للنفس

---

(١) رسائل اخوان الصفاء جـ ٤ ص ١٨٤ - ١٨٥ .

اللاهية ، والأرواح الساهية الغافلة عن آيات الله وتذكاراً لهم . . . »[1] .

وهذا الرأي حول الهبوط الروحاني يوافق ويطابق ما يذهب اليه علماء الدعوة الحقانية ، ولكنهم لا يوافقون اخوان الصفاء على ان الهبوط كان نتيجة خطيئة ارتكبتها النفس في العالم الروحاني لأنهم يعتبرون العالم الروحاني لا يحوي الخطيئة بمعناها بل يرون بأن الهبُوط كان سهواً أو غفلة ارتكبها المنبعث الثاني ، ولما شعر بما فعل أتاب وأناب متوسطاً العقول التي هي قبله ، فغفر الله ذنبه واعاده الى مرتبته ، ولنستمع الى رأي علماء الدعوة بهذه الناحية الفلسفية الهامة .

يقول الداعي المطلق علي بن الوليد : « . . . . فصارت مراتب عالم الابداع تسعة : العقل الأول ، والانبعاث الأول ، والسبعة العقول المجيبة للدعوة . ثم أن المنبعث الثاني لما سقط عن مرتبته بما كان من توهمه وسبقه العقول بأجابتها واعتراف كل مسبوق منهم بفضل سابقه ، لاذ المنبعث الثاني بآخر تلك العقول ـ وهو التاسع ـ مستخبراً له عن حالته وما الذي حطه عن رتبته . هو توهمه المساواة السابقة فتشفع به إلى من هو فوقه ، وشفع له من فوقه إلى من فوقه ، حتى انتهت الشفاعة الى العقل الثاني الـذي هو المنبعث الأول . فعلم ان المنبعث الثاني قد ندم على ما سبق منه ، وإن لم يتعمد ذلك ولا أصر . فتاب عليه من زلته وغفر له خطأه ، وأمده من فيض المادة الأزلية التي اتصلت به من سابقه ، التي أمد بها جميع تلك العقول عند إجابتها . فزالت به عن المنبعث الثاني تلك الظلمة الحادثة عن ذلك الوهم الفاسد وفارقته . . . . »[2] .

ولكن الفيلسوف الحقاني حجة العراقين احمد حميد الدين الكرماني يصور لنا الهبوط النفساني إلى عالم الكون والفساد بصورة فلسفية عقلانية أوضح وأدق

---

(١) رسالة الجامعة لأخوان الصفاء وخلان الوفاء جـ ١ ورقة ٨٣ . مخطوطة في مكتبة مصطفى غالب .

(٢) رسالة المبدأ والمعاد ورقة ١٣ مخطوطة

ا

فيقول : « لما كان المبدع الأول في ذاته عقلاً يتعلق وجوده بإبداع المتعالي إياه ، ومعقولاً لا يتعلق وجوده كذلك بذاته عن إحاطته بها ، كان بهذين الأمرين على نسبتين ، ولما كان على نسبتين ، وكان على تلك الحالة التي بفضل كمالها تنبعث منها الموجودات ، ولم تكن هناك نسبة ثالثة ، كان الموجود عنه إثنين أحدهما عن نسبة كونه عقلاً ، وهو أفضل الموجودين عقلاً قائماً بالفعل ، مثل النسبة الأشرف التي عنها وجد وهو الانبعاث الأول ، وثانيهما عن نسبة كونه معقولاً مؤثراً فيه ، عقلاً قائماً بالقوة حياً مؤثراً فيه ، مثل النسبة الأدون في الشرف وهو الانبعاث الثاني ، لكونه قابلاً للصور قائماً بالقبول ، كقبول اللوح من القلم صور التخطيط ، التي تعرف بالهيولى المقترن وجودها مع الصورة .

ووجود هذين عن المبدع الأول على ما هما عليه من كون احدهما نسيباً له من جهة قيامه بالفعل فاعلاً ، والآخر نسيباً له من جهة قيامه بالقوة مفعولاً به ، وكون احدهما اشرف من الآخر لازم عن تلك النسبتين لامتكافئتين ولا متساويتين من كل الوجوه ، بل احداهما اشرف من الأخرى .

وذلك هو السبب الموجب لها أنها لا تشبه الأول ولا المنبعث الأول . . . والمنبعث الثاني الذي هو الهيولى لا يشبه الأول ، ولا ما يجمعه ، وإياه حكم الانبعاث الأول . ووجوده عن المبدع الأول لا بقصد أول لأن الإبداع الذي هو المبدع الأول ما قصد في إحاطته بذاته أن يكون عنه الهيولى هذا المنبعث الثاني وغيرها ؛ إذ ذاك قصد دنيء لا يليق به ويصير به رذلاً ، وكان يكون قصده لمثل ذلك رذلاً لا شريفاً ، ومحال أن يكون ذلك المبدع الأول مع شرفه بقصد الرذل من الأمور ، بل قصده في الإحاطة بذاته القصد الأشرف الذي يتعلق بتقديس أن يكون مثلها . . . »[1] .

---

(١) راحة العقل ص   تحقيق مصطفى غالب .

الحلقة الثانية

« في المبدأ والمعاد ، والثواب والعقاب ، والبعث والقيامة ، والقضاء والقدر ، والأدوار والأكوار ، والجنة والنار ، والفترات والقرانات » .

المفتاح الأول
« في المبدأ والمعاد »

يستدل من مصنفات علماء وفلاسفة أهل الحق أنهم أولوا قضية المبدأ والمعاد جل اهتمامهم فعالجوها وبحثوها على ضوء الواقع والحقيقة وما ينسجم مع ما ورد في الكتب السماوية ، فكانت لهم نظريات فلسفية شيقة تعرضوا فيها لهبوط النفس من العالم العلوي نتيجة خطيئة ارتكبتها في العالم الروحاني ، أوجبت لها الهبوط والتكثف .

وأهل الحق يخالفون جميع الذين يذهبون الى أن أبتداء الجنس البشري كان على التناسل بواسطة آدم وحواء . فهم يرون بأن الولادة كانت من الأرض عن طريق التفاعل تحت تأثير الأفلاك . وهم يفرقون بين المبدأ الروحاني عن طريق الابداع والانبعاث ، والمبدأ البشري في عالم الكون والفساد عن طريق التفاعل مع الأرض بتأثير الأفلاك .

ولم يخرجوا في معالجتهم لهذا الموضوع من حيث الظاهر عما جاء في الكتب السماوية وبعض الاساطير ، ولكنهم من حيث الباطن أو العلم الحقاني يرون غير هذا الرأي ويذهبون غير هذا المذهب معتمدين في آرائهم ونظرياتهم على الابداع والانبعاث وتأثير العالم العلوي على العالم السفلي . لذلك نرى من الضرورة قبل أن نستعرض آراءهم في بدء الخليقة أن نتحدث عن نظرياتهم في الهبوط الروحاني الذي كان كما يؤكدون نتيجة خطيئة أو سهو وتعب .

ولنستمع الى الداعي المطلق ابراهيم بن الحسين الحامدي وهو يتحدث فلسفياً عن هبوط النفس من العالم الروحاني لتتعلق بالجسد ، قال :

« ومن أهل المقالة من يرى الابتداء خطيئة وقعت على بعض العالم الروحاني ، وان تلك الخطيئة اوجبت الهبوط والتكثف . ». وفرقة تنفي الخطيئة وتقول التكثف من سبب نقصان النفس عن مرتبة العقل ، وجاءوا في ذلك بمثل ما جاء به أهل الظاهر بأعتقادهم ان الله تعالى خلق آدم من طين على ما جاء في التنزيل لا مخلوق معه سواه وخلق زوجته من ضلعه ثم تزاوج وأولد ذكوراً وأناثاً وزاوج بينهم باختلاف البطون ، فأوقعوا على قدرة الله تعالى العجز والقصور في جميع الأمور ، بأعتقادهم أنه قدر على خلق واحد من البشر فما المانع الذي منعه أن لا يخلق ما قد أراده معه ، فكان اعتقادهم ذلك خداجاً شابوه بالجور والفساد ، فضلوا وأزلوا وأضلوا ببعدهم عن الطريق وميلهم عن أهل الحق والتحقيق ولقوله تعالى : ﴿ **فأسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون**﴾ و﴿**والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً**﴾ وقوله لرسوله الكريم : ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك**﴾ وقوله : ﴿ **نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين**﴾

فاذا كان الرسول الفاضل متعلماً وله معلم ، وبينه وبين خالقه وسائط ، فمن أي جهة يقع العذر لأهل العمي والجهل ؟ والتعليم والالتزام بالوسائط التي نصبها الرسول ودل عليها بقوله : إني تارك فيكم الثقلين ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، انه نبأني العليم الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين ، وأشار بأصبعيه المسبحتين . فأهل التأويل يمتازون عن أهل الظاهر بحقيقة ذلك بما أخذوه عن أهل بيت النبوة .

وكذلك أهل الحقائق ممتازون بمعرفة المبدأ الأول الروحاني عن أهل التأويل الذين ناسبوا أهل الظاهر في تأويل ما يعتقدون في المبدع الأول ووحدانيته ، وادخال العجز على قدرة الله سبحانه في أقرارهم بأنه أبدعه لا من شيء ، فما المانع الذي حجز قدرته من أن يوجد ما قد شاء إيجاده ،

فهذا بذلك أشبه ولا فرق بين العقول القاصرة ، والألباب الحاسرة ، لبعدهم عن المعلم الصادق ، وقلة وقوع بصائرهم على الحقائق ، فلم يتدبروا قول من يقول : الفعل القائم بالفعل ، وإن كل اسم واقع على مسمى ، فما هو إذاً الفعل الذي قام به ؟ . . . »[1] .

وبعد هذا التمهيد الذي اعتمد عليه الحامدي في مناقشته للهبوط الروحاني نراه يتلفت الى ما قاله الفيلسوف الحقاني أحمد حميد الدين الكرماني بأن العقل الأول ذا نسبتين : نسبة أشرف ، ونسبة أدون . فأما الأشراف فإضافته الى مبدعه ، وأما النسبة الأدون فنسبته الى ذاته . لذلك وجب أن يوجد عنه اثنان : أحدهما قائم بالفعل عن النسبة الأشرف ، وأحدهما قائم بالقوة عن النسبة الأدون[2] .

وذلك لأن العقل الأول الذي هو الموجود الأول والمبدع الأول كان وجوده عن المتعالي سبحانه ابداعاً ، وكان عقلاً بإبداع الله إياه ، ولما كان في كونه عقلاً ومعقولاً له ذاته ، لزمته بكونه عقلاً نسبة ، وبكونه معقولاً نسبة أخرى ، وكان من جهة كونه عقلاً أشرف من جهة كونه معقولاً ، وكان من جهة كونه عقلاً قائماً بالفعل عن النسبة الأخرى ، ومن جهة كونه معقولاً قائماً بالقوة عن النسبة الأدون ، إن الموجود عنه اثنان : وأن أحدهما أشرف من الآخر كشرف الوحي القائم بالفعل ، القيم بجميع ما جاء به على ما تركه .

ولما كان العقل الأول ذات الفعل الصادر عن المتعالي ، وكونه قائماً بالفعل ، لا قائماً بالقوة ، فيكون بين كونه قائماً بالقوة ، وبين قيامه بالفعل ، إحاطته منه بذاته التي يتعلق بها وجود كل عقل منبعث تصور مدة وزمان يلزم أن يكون وجود الكل بوجود الابداع معاً ، وإذا كان ذلك

---

(١) كنز الولد لابراهيم الحامدي تحقيق مصطفى غالب ص ٣٦ من منشورات المعهد الالماني في كوتنغن .

(٢) المصدر نفسه .

كذلك فوجودها بوجوده معاً ، لا بزمان .

وفي الحقيقة ان وجود العالم في رأي جماعة أهل الحق دفعة واحدة ، لأن الله تعالى قدر أمر خلقه لما بدا بالقوة في دفعة واحدة ، وبالفعل بالتدريج ، حتى تكون نهايته تامة كاملة ، وبلوغه الى الحال الأفضل والأمر الأكمل .

ولما شهد المبدع الأول أو الموجود الأول بإلهية مبدعه وسبحه وقدسه بخشوع وخضوع ، وإقرار بنية صادقة بكلام مسموع معقول صحيح ، ففطن له من جميع تلك الحدود العلوية المنبعثان ، فأستبقا كفرسي رهان ، فسبق أحدهما الثاني ، فسبح للسابق الأول ، وهو المبدع الأول ، وقدسه وعظمه وشرفه ؛ ثم سبح المنبعث الثاني المبدع الأول ، وقدسه اقتداء بالمنبعث الأول ، ولم يعترف بسبقه له ، وفضله عليه بفعله ، فكان ذلك سبب نقصانه ، وقيامه بالقوة دون الفعل ، وكان أول عالم الخلق الذين تخلفوا عن الاجابة وتكثفوا ، وجميع ذلك أسرع من لمح البصر .

وحول الخطيئة الروحانية والهبوط يقول الداعي علي بن الوليد في كتابه الذخيرة :[1] « . . . فلما رأى هذا المتأخر تأخر رتبته لاذ بمن هو آخر شبح في الرتبة السابعة فسأله ما موجب تأخره وقصوره وما سبب حصوره وفتوره فقال له : إن الذي كان يجب عليك أن تفعله وتعتمده في توحيد موجدك الذي كان يلزمك أن توحده هو تعلقك بسابقك الى الاعتراف بالمبدع الأول بالسبق الحائز له بواجب وتجعله قبلتك ومحرابك والذي تنال على يديه اصعادك وثوابك ولكنك انما ادعيت رتبة المساواة لمن سبقك والمكافأة والمنافسة لمن هو النفس منك حين بتوحيد سابقه على حقيقته فاه ولا خلاص لك إلاّ بعد أن يثوب عليك ولا فوز لك إلا بإسراء تحننه اليك فقال له ان الحجب الشريفة قد منعتني من الوصول إليه والأنوار اللطيفة حالت بيني وبين الطلب لما لديه فدلني على اللحوق برتبة المتقين وتصديق

(١) كتاب الذخيرة : علي بن الوليد ورقة ٥٧ مخطوط في مكتبة مصطفى غالب .

على ان الله يجزي المتصدقين ، فقال له : لا وصول لك اليه إلا من تلقائي ، ولا بلوغ لك الى التوسل الى كرمه إلا بتبلغي لتوسلك وإنهائي ، فقال له : رضيت بك رائداً وقنعت بشريف مقامك الى الخير قائلا ، فتوسل له ذلك الشبح الشريف الى من فوقه من الاشباح النيرة وسرى التوسل في الرتب السبع المتقاطرة حتى وصل الى المنبعث الأول ذي الشرف الاسن والجلال الأكمل فتاب عليه وقبل فيه توسل من توسل اليه وسرى العطف منه والرحمة والتأييد والعصمة على يد أول شبح من اول الرتبة التي تلي المنبعث الأول الى آخر شبح في الرتبة الآخرة السابعة وهو الذي لاذ به المتأخر وعليه في اعلانه بذنبه والمتوسل له عدل. فلما طرقه النور الباهر أشرقت ذاته وأنارت صورته وصارت شبحاً كأحد تلك الأشباح النيرة ومقاماً مماثلاً للمقامات المطهرة والمنورة . . . ولم يكن ما كان من العاشر من الخطأ والزلل والتحير والخطل بقصد ولا بعمد ولا مكابرة لمكابرة طالب بحمد لكنه امر جرى وحادث به طرى لأنه لو عمد أو قصد لهلك وأهلك وتورط وارتبك لكن ذلك قصور غير متعمد وفتور غير منافر ومجمد فلذلك انه عند ان عرف خطيئته رجع وسمع واطاع واتبع فزايلته الظلمة . . . » .

ولا بد لنا ما دمنا نتعرض لقضية المبدأ الروحاني من التطلع إلى رأي علماء دعوة أهل الحق في مجال الوجود الجسماني إلآتي عن طريق التفاعل بين الأرض والماء ، وتأثير الكواكب والأفلاك على الوجود الجسماني فنقول : إن آراء دعاة أهل الحق في هذه الناحية الهامة ، يختلف عما ورد من آراء أصحاب الأديان السماوية لأعتمادهم على التفاعل بين التراب والماء والكواكب لوجود مجموعة من الأجناس البشرية في الخدد والمغاوير التي تكونت من تلك التفاعلات ، لذلك نراهم على الأقل من الناحية الروحية ينكرون وجود الجنس البشري في عالم الكون والفساد من انسان واحد فقط هو المعروف لدى الناس جميعاً « آدم » الذي خلق من ضلعه زوجته « حواء » .

ولنستمع إلى الداعي علي بن الوليد ماذا يقوم في رسالته المبدأ

والمعاد : «[1] إن المدبر تعالى حرك الفلك ، فصعدت البخارات الحادثة من صفو المعدن والنبات والحيوان ، فصارت غيوماً ، ثم انهلت على وجه الأرض امطاراً صافية معتدلة ؛ وخددت الأرض خدداً غير عميقة ، وقد صفا ذلك الماء في عمقها ، ثم بخاراً على أشرف وألطف من الأول ، فأنهل مطراً كثيراً نظير منى الرجل . فوقع في تلك المغارات والخدد التي شبيهة بأرحام النساء ؛ فمازج الماء الكائن فيها المشاكل لماء المرأة ، فصار شيئاً واحداً .

ثم اسخنته حرارة الأرض ، فصعد هارباً من الحر ، فلحقه برد النسيم من خارج الخدد ، فهبط منه هارباً ، ثم لم يزل يهبط تارة ويصعد تارة ، وهو يقتصر ويتلطف ويتعقد ويتكون في مراتب الخلقة مدة تسعة أشهر بتدبير المدبر وتأثير قوى الكواكب والأفلاك فيه الى ان كملت له المدة . ثم فتح عينيه وحواسه ، واستنشق النسيم ، واتصلت به الحياة المحيية الحسية بوساطة النسيم . فتمدد تارة وقعد تارة ، وجعل يتمرغ ببدنه في ذلك الماء الذي تكون منه ، ويجتذبه بمسام بدنه وقد صار دهناً . ثم طلب الغذاء من فمه وقد كان أولاً يغتذي بسرته من صفو ذلك الدهن فجعل يمتص اصبعه الابهام ، فأجرى الله له فيها لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، فأغتذى به . فجعل ينام تارة ويقعد تارة الى ان كمل له سنة . ثم قام ، وهو يومئذٍ في كبر جثته كمثل ابن اربع سنين ، وذلك لكبر الأبوين اللذين هما السماء والأرض ، فمشى وتناول بما قرب منه من الغذاء من التين والعنب والفواكه التي قد كان قدمها له المدبر سبحانه . وكان هذا النشوء الحادث في جميع جزائر الأرض الاثنتا عشرة . وتكون من فضلات تلك المياه أناث ، وكان النشوء الأول كلهم ذكوراً . . . » .

هذا هو رأي دعاة أهل الحق في المبدأ والنشوء البشري ، وهم يخالفون أهل الظاهر الذين يرون أن آدم هو أصل النوع البشري وانه أي

(١) رسالة المبدأ والمعاد لعلي بن الوليد ورقة ١٨ ـ ١٩ مخطوطة في مكتبة مصطفى غالب الخاصة

آدم زوج أولاده البطن الأول بالبطن الثاني ، لأن ذلك إذا صح يكون النشوء سفاحاً . وهذا غير ممكن بالنسبة لقدرة المبدع سبحانه وتعالى ، فالولادة من الأرض بتفاعل التربة مع الكواكب والأفلاك . ، ومن ثم سارت الحياة على التناسل بين الرجال والنساء ، ولا تزال حتى الآن .

المعاد

من أشرف المعارف وأفضلها عند جماعة أهل الحق معرفة حقيقة الآخرة وأمر المعاد أي عودة النفس الانسانية اللطيفة الى النفس الكلية التي انبثقت منها وهبطت الى عالم الكون والفساد لتلبس لباسها الجسماني وتبقى فيه إلى ما شاء الله سبحانه وتعالى . فإذا عملت هذه النفس واصلحت شأنها عادت مكرمة معززة إلى النفس الكلية لتنعم بالمسرة والخيرات الأبدية .

لذلك أوجب علماء أهل الحق على من يود الغوص في علم المعاد أن يعرف حقيقة النفس والروح ، وماهيتهما وتصاريف أمرهما ، بإعتبار أن معرفة حقيقة المعاد يأتي بعد معرفة البعث والقيامة ، وبعد معرفة النفس والروح وحقيقة جوهرهما .

يرى جماعة اخوان الصفا ء وخلان الوفاء ان كل انسان لا يعرف نفسه ، ولا يعلم ذاته ، ولا يعلم ما الفرق بين النفس والجسد ، تكون همته كلها مصروفة الى اصلاح أمر الجسد ، ومرافق امر البدن ، من لذة العيش ، والتمتع بنعيم الدنيا ، وتمني الخلود فيها ، مع نسيان امر المعاد وحقيقة الآخرة .

ففي رسائلهم يقولون[1] . « . . . واذا عرف الانسان نفسه وحقيقة جوهرها ، صارت همته ، في اكثر الأحوال ، في أمر النفس . وفكرته

---

(١) رسائل اخوان الصفا : ج ٣ ص ٢٨٩ .

أكثرها في اصلاح شأنها، وكيفية حالها ، بعد الموت ، واليقين بأمر المعاد ، والاستعداد للرحلة من الدنيا ، والتزود للمعاد ، والمسارعة في الخيرات ، والتوبة وتجنب الشر والمنكر والمعاصي . . . ».

فإذا فعل ذلك ، يزول عنه خوف الموت ، وربما تمنى لقاء الله تعالى ، وهذه صفة أولياء الله تعالى وعباده الصالحين ، كما ذكر الله سبحانه واشار اليهم بقوله في كتابه على لسان نبيه محمد (ص) في توبيخه ، لليهود ، لما زعموا أنهم أولياء الله من دون الناس ، فقال لهم : ﴿**فتمنوا الموت ان كنتم صادقين**﴾ . بأنكم أولياء الله من دون الناس ، وأنما يتمنى أولياء الله الموت ، اذا تذكروا ما وعدهم الله ، وأعده لهم من التحية والسلام ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام ، وأعدلهم أجراً كريماً** » .

ولا شك بأن كل عاقل متنور عارف يعلم علماً يقيناً أن أجساد هؤلاء الأولياء ، قد بليت في التراب ، ولكن التحية والسلام لأرواحهم ونفوسهم الزكية ، كما اشار تعالى اليها في أماكن عديدة من كتابه الكريم حيث يقول : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فأدخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾ . وقال : ﴿ **ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاهاوقد خاب من دساها** ﴾ . وقال : ﴿ **يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون**﴾ . وقال أيضاً : ﴿ **ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي** ﴾ . وقال : ﴿ **الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾ .

ومن فحوى هذه الآيات الكريمة وغيرها مما ورد في القرآن يتبين للعاقل ان النفس غير الجسد ، لأن الجسد مذكر لا يخاطب بالتأنيث ، وكفى بهذا فرقاً وبياناً بين النفس والجسد . واذا فكرنا بأمر الجسد نجد أنه جسم مؤلف من اللحم ، والدم ، والعروق ، والعصب ، والعظام . وما

شاكلها ، وأصله نطفة ودم الطمث ، ثم اللبن والغذاء والمأكولات والمشروبات ، ثم ينتهي به الأمر إلى الموت ، وبعد مفارقة النفس إياه يبلى ويصير تراباً ، ثم يعاد خلقاً جديداً ، كما وعد الله تعالى بذلك .

وأما الروح ، فهي جوهرة سماوية ، نورانية ، حية ، علاقة فعالة بالطبع ، حساسة دراكة لا تموت ولا تغني ، بل تبقى مؤبدة ؛ اما ملتذة وأما مؤتلمة . فأنفس المؤمنين ، وعباد الله الصالحين ، يعرج بها بعد الموت الى ملكوت السموات . وفسحة الأفلاك ، وتخلى هناك ، فهي تسبح في فضاء من الروح ، وفسحة من النور ، وروح وراحة الى يوم القيامة ، فإذا انتشرت اجسادها ، ردت اليها ، لتحاسب وتجازى بالاحسان احساناً ، والسيئات غفراناً[1] .

وأما أنفس الكفار والفساق والاشرار فتبقى ، في عماها وجهالاتها ، معذبة متألمة ، خائفة وجلة ، إلى يوم القيامة . ثم ترد إلى أجسادها التي خرجت منها ، لتحاسب وتجازى بما عملت من سوء .

ويعتبر أهل الحق الموت ومفارقة النفس للجسد ولادة لهذه النفس . والموت بنظرهم ليس سوى ترك النفس استعمال الجسد لسببين : أحدهما طبيعي ، والآخر عرضي .

وبعد أن يستعرضوا الأمثلة على هذين السببين يحضون اخوانهم على الاجتهاد ، والتزود بما يسعد النفس ، قبل خراب البدن وانهدام البنية . وذلك عن طريق العقل الراجح ، والرأي الرصين ، والتمييز الصحيح بالمعارف الروحانية ، والتأله الرباني .

ذلك ما يساعد النفس على الانبعاث من نوم الغفلة ، ورقدة الجهالة ، فتحيا من موت الخطيئة ، وتنجو من نار جهنم وعذاب الهاوية . وتتقرب الى خالقها ومنشئها ومكملها ، وتصل الى دار الخلود ، لتقيم هناك

(١) رسائل اخوان الصفا ج ٢ ص ٢٩٠ .

متنعمة ملتذة مسرورة أبد الآبدين ودهر الداهرين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وحتى يعرف المؤمن أمر المعاد يجب عليه معرفة حقيقة البعث والقيامة ، وذلك حتى تيسر للانسان معرفة نفسه وحقيقة جوهرها . وذلك ان كل انسان لا يعرف نفسه ، ولا يميز بينها وبين الجسد ، تكون همته مصروفة الى امر الجسد واصلاح شأنه ، والتمني للخلود في الدنيا ، والتمتع بلذة شهواتها . فأما كل من كان يعرف نفسه على الحقيقة ، فإن اكثر همته تكون مصروفة الى حال النفس واصلاح شأنها ، والتفكر له في امر معادها ودار قرارها ، والاستعداد للرحلة من الدنيا والتزود للمعاد(١) .

وعلى العموم اننا نجد في المصنفات التي خلفها دعاة وعلماء دعوة أهل الحق الكثير من الآراء العقلانية التي عالجوا فيها قضية المعاد وروجوع النفس بعد الاكتساب الى النفس الكلية التي انبثقت منها قبل الهبوط الى عالم الكون والفساد .

ونلاحظ بأن الداعي الفيلسوف احمد حميد الدين الكرماني قد أفرد في كتابه راحة العقل المشرع الثالث عشر من السور السابع للتحدث عن النفس البشرية ، وما لها بعد انتقالها من الجزاء على اكتسابها ، فقال : « . . . لما كان من القضايا العقلية إن ما كان قائماً بالقوة يحصل له من جهة القائم بالفعل اكتساباً منه ما به يتم خروجه الى الفعل ما لم يكن له بحسب اكتسابه أشياء تكون تماماً له وكمالاً ، مثل النواة القائمة ، بالقوة نخلة التي يصير لها بعد الاكتساب من جهة القائم بأمرها بالفعل ما يكون به تمام قيامها نخلة بالفعل من قبول الأنوار الفاعلة التي هي لها كمال في الفعل ثماراً ، وقد كانت وقت كونها نواة غير قابلة هذا الفعل منها لامتناع الأنوار من الفعل فيها ، بل لامتناع ذاتها عن قبول تلك الأفعال التي بها يتم كونها نخلة مثمرة ، وكانت النفس قائمة بالقوة ، وثبت انه يحصل لها

(١) رسائل اخوان الصفا ج ٣ ص ٣١٠ .

بعد اكتسابها ما به يتم خروجها الى الفعل من جهة ما يصير اليه من القائم بالفعل ما لم يكن لها بحسب اكتسابها ، وكانت النفس مكتسبة من جهة القائمين بأمر الله تعالى ، وصائرة الى الدار الآخرة التي هي دار العقول القائمة بالفعل ، كان فيه الحكم بأنه يحصل للنفس بحسب اكتسابها في آخرتها ما نسميه جزاء ، ونؤيد ذلك تأكيداً بقولنا : انه لما كان كل موجود مفيضاً على ما يحيط به ويحصل فيه بمعنى من المعاني . . . ما يقتضيه ذاته في كماله حسب ماله يجري منه مجرى الكيفية ، على ما عليه امر الماء فيما يحيط به ويحصل فيه أو يجاوره من أفادته اياه رطوبة وبرودة بحسب قبوله ، وأمر الهواء والأفلاك فيما لها من الأفعال المشاهدة ، وكانت الدار الآخرة التي هي دار العقول والملكوت نهاية اليها مصير النفس ، وبها تعلقها ، ثبت ان تلك الدار تكسب إياها مما اشتملت عليه عند انقطاعها اليها بالكلية ما يكون للمحسنين ثواباً وللمسيئين خسراناً بحسب اكتسابهم »[1] .

من هذه الناحية الروحية النفسية ينطلق الكرماني في تحليله للنفس الانسانية التي تكون قبل اكتسابها العلوم والمعارف قائمة بالقوة ، ومتى تسنى لها من يكون قائم بالفعل تكتسب منه العبادة العملية والعلمية عن طريق الافادة والتعليم تترقى فتنتقل من حد القيام بالقوة الى حد القيام بالفعل ، ومتى فارقت جسدها صارت الى الدار الآخرة التي هي ، برأي الكرماني ، دار العقول القائمة بالفعل .

ويكون هذا الانتقال في حال انتباه النفس من غفلتها وهي في عالم الاجساد واقبالها على العلوم والمعارف الماورائية التي تؤهلها للعود الى الكل الذي انبثقت منه ، وهذا هو المعاد الحق .

أما الداعي الحسين بن علي بن محمد بن الوليد فإنه يجعل المعاد على نوعين : الأول يشرح فيه كيفية معاد النفوس المؤمنة الخيرة ، والثاني

(١) راحة العقل للكرماني ص ٥٦٠ تحقيق مصطفى غالب .

يتحدث فيه عن كيفية معاد المخالفين للحق . فيقول في الشق الأول الخاص في معاد المؤمنين العارفين : « . . . فكلما ازداد ذلك المستجيب في أعمال الخير من أقامة الأعمال الشرعية والمواظبة عليها وعلى استفادة العلوم من الحدود ، وعماد ذلك كله اخلاص النية في موالاة الموالي صلوات الله عليهم ، وصدق الطوية والاعتراف لكل حد بفضله في مرتبته الوحدانية ، وكلما جد في جميع ذلك ، كبرت تلك النقطة وازدادت اشراقاً وضياء ولنفسه تصفية وصقلاً ، فعلى قدر ما يكتسبه من الخيرات ، تكون صورته تلك ، لأنها اعماله الصالحات ، كما قال الله تعالى : ﴿ **من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً** ﴾ .

فإذا كانت وقت نقلته وهو في حال الاستقامة ، لم يتعدّ ما أمر به من الطاعة وأفعال الخير والعبادة ، صبغت تلك الصورة النورانية نفسه ، وشاعت فيها ، وصارت شيئاً واحداً »[1] .

ويمضي ابن الوليد في وصف كيفية تنقل النفس الصالحة وترقيها ، من حد الى حد ، فتجاوره وتصير شيئاً واحداً لنفس ذلك الحد ، وذلك حكمة من الله وعدلاً . وتستمر في تنقلها العرفاني حتى تصل إلى جوار باب القائم حيث تنتظر ورود بقية النفوس المؤمنة الوافدة من جزائر الأرض ، فتتكون منها هياكل نورانية على صورة الانسان ، ولكنها نور كلها .

وترتب تلك الصور النورانيةالشريفة التي ترد الى الباب الكريم ، على قدر ما يرى المدبر انها تستحق على قدر اكتسابها في الدنيا .

أما معاد المخالفين للحق فتحصل عندهم صور ظلمانية . فاذا مات المخالف تجردت له تلك الظلمة فأفزعته وارعبته واستوحش منها وارتاع بالترائي . ثم ان تلك الصورة الظلمانية تفارق نفسه . وتجول في الأفق

(١) رسالة المبدأ والمعاد : ورقة (٢٣ - ٢٤) مخطوطة .

تطلب الصعود والعودة الى الكل الذي انبثقت منه فلا يمكنها لأنها لم تكتسب في حياتها الدنيا إلا الأعمال السيئة والمخالفات الواضحة البينة .

وتطلب العودة الى ذلك الجسم الذي فارقته ، فلا يمكنها . فتجول في الأماكن الموحشة ما شاء المدبر . ثم تصعد بعد ذلك الى ذنب التنين ، وهي ظلمة تسمى الرأس ، والذنب خارجة من نطاق الفلك ، وأصلها من أخس تلك الظلمة الهابطة بالخطيئة من عالم الابداع . وهي كالمغناطيس تجذب الصور الشيطانية المخالفة الخبيثة لما بينهم من المناسبة ، فتقيم هناك ، ثم تصير في برزخ العذاب ، الأدنى ، ثم إلى العذاب الأكبر .

ويواصل ابن الوليد وصف تنقل هذه النفس المخالفة الخبيثة من برزخ الى برزخ تتعذب في النبات ، ثم المعادن المذمومة ، وينفي ابن الوليد التقمص والتناسخ لأنه جهل وضلال ونيل من قدرة المبدع سبحانه وتعالى ، ويخلص الى أن هذه النفوس الخبيثة تسلك بعد ذلك الطريق الى سجين ، فتخلد في العذاب الأكبر مدة الكور الأعظم .

وعلى ضوء هذه الآراء يمكننا أن نقول بأن معاد النفس العارفة المؤمنة المكتسبة يكون بقدر اكتسابها من المعارف الربانية ، والاخلاق الجميلة الملكية ، والآراء الصحيحة المنجية ، والأعمال الصالحة المرضية المربحة ، فكلما رأت النفس ما تصور في ذاتها من الفضائل فرحت وامتلأت سروراً وبهجة في ذاتها . أما اذا كانت النفس خبيثة سيئة الأعمال ، والآراء الفاسدة ، بقيت عمياء عن رؤية الحقائق التي تتصور صورة قبيحة في نفسها فكلما لاحظت هذه الصورة رأت ما يخيفها ويسوءها .

المفتاح الثاني
« في الثواب والعقاب »

الوعد بالثواب للمحسنين ،و والعقاب للمخالفين المسيئين ، من المسائل السرية والعلوم الغامضة التي اكثر فيها العلماء الجدل والنقاش ، وتحيرت في أمرهما عقول كثير من الناس ، فمنهم من يعتقد بأن الثواب والعقاب في الدنيا قبل الممات . ومنهم من يرى أنهما يكونان في الآخرة ، فلا يعرفونهما ولا يقرون بهما بأعتبارهما من الأمور الغيبية الغير معروفة للانسان العادي .

والمقرون بالثواب والعقاب في الآخرة أيضاً هم مختلفون في ماهيتهما وكيفيتهما ، ولما كان هذا الموضوع يتعلق بسلوكية الفرد الدنيوي والديني ، وبما يقدمه للمجتمع والدين من أعمال خيرة تكسبهما المنعة والقوة في الحياة الدنيا ، رأينا أن نستعرض أقوال وآراء دعاة أهل الحق في هذا الأمر السري الغامض علنا نستطيع رسم صورة بيانية واضحة للثواب والعقاب .

في رأي جماعة اخوان الصفا وخلان الوفا ان المقرين بالثواب والعقاب في الآخرة مختلفون في أبنيتهما على مذاهب شتى ، فمنهم من يعتقد ان الآخرة ودار الجزاء انما تكون بعد خراب السماء وفناء الخلق اجمعين ، ثم يعيدهم الله مرة ثانية خلقاً جديداً ، فيثيبهم ، ويجازيهم على ما كانوا يعملون في الدنيا من خير أو شر ، أو عرف أو نكر ، وهذا الاعتقاد جيد للعامة ولمن لا يعرف من الأمور العقلانية شيئاً ، ويرضى الدين تقليداً وإيماناً ، وأما الخاص ومن قد نظر في بعض العلوم الرياضية والطبيعية ، فإن هذا الاعتقاد لا يصلح لهم ! وذلك ان كثيراً من العقلاء الحكماء ينكرون خراب السموات ، ويأبون ذلك إباءً شديداً ، والجيد لهم إذن أن

يعتقدوا أمر الآخرة أن لها وجوداً متأخراً عن الكون في الدنيا ، كما كان في الدنيا موجوداً متأخراً عن الكون في الرحم ، وكما كانت أيام الشيخوخة متأخرة عن أيام الشباب ، وأيام العقل والتمييز والحكمة والكمال كانت متأخرة عن أحوال الجهل ، وهي احوال تطرأ على النفس بعد مفارقتها الجسد اذا هي انتبهت من نوم غفلتها في الدنيا ، واستيقظت في رقدة جهالتها قبل المات ، ونظرت الى الدنيا واعتبرت احوالها وتصاريف أمورها ، ليكون ذلك دلالة على معرفة الآخرة ، فإذا لم تفعل وماتت ميتة جاهلية بعمائها ، فتكون بعد بأمر الآخرة أعمى وأضل سبيلاً[1] .

ومما لا شك فيه بأن اكثر الذين كتبوا عن الثواب ذهبوا الى ان جزاء المحسنين يتفاضل في الآخرة بحسب درجاتهم في المعارف واجتهادهم في الأعمال الصالحة ، طالما ان الناس متفاوتون في الدرجات في أعمالهم . كل على شاكلته .

وعلى سبيل المثال نجد بأن أقوم أحوال العامة من الناس كثرة الصوم والصلاة والصدقة والقراءة والتسبيح ، وما شاكل هذه التكاليف المفروضة والمسنونة في الشرائع ، والتي تشغلهم وتقوم ما اعوج من أخلاقهم وسلوكهم الدنيوي ، وبذلك يتجنبوا الوقوع في الآفات .

أما أعمال الخواص من المحققين والعارفين ، فأفضلها اعتقادهم وتفكيرهم بتصاريف أمور المحسوسات والمعقولات ، وخاصة ما يتعلق بالدين والبحث عن ماهية الحكمة التي يعرفها بحقائقها ويرشد اليها ، فكلما تقدم في علومه زاد هداية ويقيناً ونوراً وتحققاً ، وازداد بذلك من المبدع الصانع قرباً وكرامة .

ومما لا شك فيه بأن العالم بما فيه كليات وجزئيات ، فإذا فكر الانسان في الكليات واحوالها وتصاريفها توصل الى معرفة حقيقتها وازداد إيماناً وتفانياً في عبادة المبدع المصور لتلك الكليات .

(١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٥٠٤ .

أما من يبحث عن الجزئيات وعللها ، فإنها تخفى عليه وتنغلق مناحيها ، وكلما ازداد تفكراً فيها ازداد تحيراً وشكوكاً ومن الله بعداً ، وكان قلبه من اجل ذلك في عذاب اليم .

والمثال على ذلك اذا تفكر الانسان في نفسه ، ونظر إلى بنية هيكله الجسماني ونفسه الروحانية ، وكيفية تركيب جسده ، وكيف كان أولاً في صلب أبيه ماء مهيناً ، ثم كيف صار نطفة في قرار مكين ، ثم صار مضغة . ثم كيف كسا العظام لحماً ، ثم كيف صار جنيناً بعد أطوار متعاقبة ، ثم كيف قبلت فتيلة جسده نور شعاع فيض روح القدس الإلهي . ثم كيف اخرج من الرحم الذي هو عالم كونه ، الى الدنيا التي هي عالم آخرته ، ثم كيف صار طفلاً حساساً ، ثم كيف تربى وهو طفل صبي جاهل ، ثم كيف نشأ وصار شاباً عالماً أو جاهلاً ، ثم كيف صار رجلاً عالماً فيلسوفاً حكيماً مدبراً متملكاً على ما ملك ، ثم كيف صار زاهداً عابداً ، ان طال عمره(١) .

فإذا فكر الانسان في هذه الحالات التي ينقل فيها من أدونها إلى أتمها ، ومن أفضلها إلى أكملها ، فيعلم بالضرورة ، ويشهد له عقله ، ان له صانعاً حكيماً هو الذي اخترعه وانشأه وأنماه ، فاذا تحقق عنده ما وصفنا من هذه الحالات ، جعل نفسه عند ذلك مقياساً على سائر ابناء جنسه ، فعلم علماً يقيناً أنه قد فعل بهم مثل ما فعل به ، وهكذا سائر الحيوانات . وكلما ازداد تفكراً في هذا المضمار ، ازداد بربه يقيناً ، وبأوصافه معرفة .

والطريق الآخر المؤدي الى الشكوك والحيرة وسوء الاعتقاد ، أن يكشف الانسان ، قبل معرفة نفسه ، عن الأمور الجزئية الخفية المشكلة على الحذاق من العلماء والفلاسفة . ومن هذه الأمور البحث عن الأنبياء ، وتيسير امور الأشرار ، والحكمة من خلق العقارب والحيات ؟ وما شاكل ذلك من المسائل التي لا يحصي عددها إلا الله ولا يعلم سواه عللها

---

(١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٥٠٦ .

وأسبابها ومسبباتها.

ولا يمكن للانسان معرفة علل هذه الأشياء ، إلَّا إذا غاص في أعماق العلوم الإلهية ، وفكر في الأمور الطبيعية ، ونظر في الأشياء المعقولة والمحسوسة . ومن لا يرتاض بهذه العلوم والمعارف لا يتمتع بصفاء النفس وصلاح الأخلاق ، ولا يمكنه ادراك الأمور المشكلة ، وحتما يعود خاسراً متفكراً .

ولذلك جعل فلاسفة أهل الحق الأمور المشكلة ثلاثة أنواع : منها ما هي امور جسمانية طبيعية محسوسة . ومنها ما هي امور روحانية معقولة . ومنها ما هي امور رياضية متوسطة بين الجسمانية والروحانية .

والأمور الجسمانية ايضاً ثلاثة أنواع : منها ما هي ظاهرة جلية . ومنها ما هي لطيفة دقيقة . ومنها ما هي بين ذلك . وكذلك الأمور الروحانية تنقسم إلى ثلاثة أقسام : فمنها ما هي قريبة من الأوهام . ومنها ما هي بعيدة لا يمكن للأفكار تصورها ، ولا للأوهام تخيلها . ومنها ما هي بين ذلك .

والناس يمكن حصرهم بثلاث طبقات : فمنهم العامة من النساء والصبيان والجهال ، ومنهم الخاصة من العلماء والحكماء البالغين فيها الراسخين ، ومنهم متوسطون بين ذلك . ولكل طائفة من هؤلاء علم هو أولى بهم وأليق : فالتي تصلح للخاصة لا تصلح للعامة ، والتي تصلح للعامة لا تصلح للخاصة ، ولكن الذي يصلح للخاص والعام وما بينهما من سائر الطبقات جميعاً من العلوم والمعارف والآداب ، هو علم الدين وآدابه ، وما يتعلق به من الأعمال .

ومن الطبيعي ان يكون رجال هذه الطبقات متفاوتوا الدرجات في علومهم ومعارفهم ، فمنهم اصحاب الآراء والمذاهب والاعتقادات التي تكون مؤلمة لنفوس معتقديها ، معذبة لقلوبهم ، بإعتبارها آراء فاسدة واعتقادات رديئة ، ومنها ما يكون متمسكاً بالآراء والاعتقادات التي تلتذ

بها النفوس ، وتفرح القلوب لأنها آراء صالحة واعتقادات جيدة توصل صاحبها الى معرفة توحيد الله سبحانه وتعالى الذي يهديه الى الصراط المستقيم ، وينجيه من العذاب الأليم .

أما أصحاب الاعتقادات الفاسدة والآراء الرديئة فهم شياطين الانس لتعلقهم بالآراء الفاسدة الظاهرة ، ومنهم من هم كشياطين الجن لاعتقاداتهم الرديئة الباطنة التي كتموها ولقنوها لتلامذتهم واخوانهم وشيعتهم الذين يسلكون منهاجهم .

فهؤلاء كلما مضت طائفة منهم وانقرضت وبليت أجسادها ، الحقت نفوسها بنفوس من مضى من رؤسائها ومعلميها في القرون الماضية ، ثم خلفتها اخرى على سننها ومنهاجها . وهكذا دأبهم الى يوم القيامة حيث العذاب الأليم .

وفي رأي جماعة أهل الحق أن آلام النفوس لمعتقدي الآراء الفاسدة ، وعذاب قلوبهم حكمة جليلة ، خصالاً عدة ، فمنها من تكون تلك الآلام والعذاب كفارة لذنوبهم ، وتمحيصاً لسيئاتهم ، وأخرى أن تكون رياضة لنفوسهم ، وترقية لها من الحالات الأدون إلى الأتم والأكمل ، لأن الدنيا دار رياضة وبلوى ومحنة وتجربة واعتبار ، والأخرى أن يتبين لهم فضل الله ونعمته ورحمته واحسانه ، اذ نجاهم منها ، وهداهم الى صراط مستقيم .

وعلى هذه الصورة يكون الثواب والعقاب ، فما على الانسان إلاَّ أن يعرف نفسه ويترك الاعتقادات الفاسدة والآراء الرديئة ، ويتوجه بكليته عن ايمان مكين ليعمل بموجب احكام الشريعة والوصايا النبوية واشارت الحكماء ، لتعلم العلم النافع المفيد الذي يهذب النفس ويخلصها من داء العناء والفساد .

ولا بد لنا قبل نهاية هذا المفتاح من القاء نظرة خاطفة على ما ذهب اليه الشيخ أبو يعقوب السجستاني وهو يتكلم عن الثواب الذي هو العلم

بنظره ، قال[1] :

« لما كان قصارى الثواب انما هي اللذة ، وكانت اللذة الحسية منقطعة زائلة ، وجب أن تكون التي ينالها المثاب أزلية غير فانية ، باقية غير منقطعة . وليست لذة بسيطة باقية على حالاتها غير لذة العلم . كان من هذا القول وجوب لذة العلم للمثاب في دار البقاء ، كما قال الله عز وجل : ﴿ اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا ﴾ .

وايضاً فإن اللذات الحسية ليس وجودها من موضع واحد ، بل في مواضع مختلفة . والمثل على ذلك ان اللذات المنالة بحاسة البصر بين ادراك الألوان والصور والأشكال ، اذا فسدت تلك الحاسة ، لا تدرك بحاسة الشم والسمع والذوق واللمس . وكذلك اللذات المدركة بحاسة السمع من أدراك الاصوات والالحان والتأليف والنغم ، إذا فسدت تلك الحاسة ، لا تدرك بحاسة البصر والشم والذوق واللمس . وهكذا اللذات المدركة بحاسة الشم من ادراك الروائح والطيب ، اذا فقدت تلك الحاسة ، لم تدرك بحاسة البصر والسمع والذوق واللمس على ما ذكرنا . ثم وجدت العلم اذا امتد في الوقوف على المعلومات لاصابة اللذات النسبية ، فسبيله في باب الدرك ، سبيل واحد فيلتذ به من جهة واحدة أنواعاً كثيرة لا يحصى عددها ، ولا يفقد منه شيء يكون يعتقد انه فقد لذة العلم . فإذاً الثواب في دار البقاء هو العلم لا الحس ولا الأشياء الحسية .

وايضاً فإن العلم لا يبيد ، بل يزيد وينمو عند كل استنباط ويتكثر ، والحس يفسد وينقص ويضمحل عند الاستعمال ويستحيل ، كالمأكولات والمشروبات اللذيذة تستحيل من جهتها وحالتها ، فتصير بحالة يتألم الانسان منها أن يمسها أو يتناولها . واللذة العلمية اذا استعملها ، اشهى وأطيب مما كان قبله . فإذاً الثواب هو العلم ، لا الحس » .

---

(١) كتاب الينابيع للسجستاني ص ١٣٥ تحقيق مصطفى غالب منشورات المكتب التجاري . بيروت .

ويقول الفيلسوف احمد حميد الدين الكرماني في ايجاب الجزاء[1] :

« ... قلنا أولاً في ايجاب الجزاء ، إنا قد أوردنا في كتاب المصابيح في ايجاب الجزاء ، وان داره غير الدنيا ، ما نزيده تأكيداً ، فنقول : لما كان من القضايا العقلية ان ما كان قائماً بالقوة يحصل له من جهة القائم بالفعل اكتساباً منه ما به يتم خروجه الى الفعل ما لم يكن له بحسب اكتسابه اشياء تكون تماماً له وكمالاً ... وكانت النفس قائمة بالقوة ، وثبت أنه يحصل لها بعد اكتسابها ما به يتم خروجها الى الفعل من جهة ما يصير اليه من القائم بالفعل ما لم يكن لها بحسب اكتسابها ، وكانت النفس مكتسبة من جهة القائمين بأمر الله تعالى ، وصائرة الى الدار الآخرة ، التي هي دار العقول القائمة بالفعل ، كان منه الحكم بأنه يحصل للنفس بحسب اكتسابها في آخرتها ، ما نسميه جزاء ، ونؤيد ذلك تأكيداً بقولنا : انه لما كان كل موجود مفيضاً على ما يحيط به ، ويحصل فيه بمعنى من المعاني على ما بيناه في كتاب « معالم الدين » ما يقتضيه ذاته في كماله حسب ما له مما يجري منه مجرى الكيفية ، على ما عليه أمر الماء فيما يحيط به ويحصل فيه أو يجاوره من افادته إياه رطوبة وبرودة بحسب قبوله ، وامر الهواء والأفلاك فيها لها من الأفعال المشاهدة ، وكانت الدار الآخرة ، التي هي دار العقول والملكوت ، بها اليها مصير النفس ، وبها تعلقها ، ثبت ان تلك الدار تكسب إياها مما اشتملت عليه عند انقطاعها اليها بالكلية ما يكون للمحسنين ثواباً وللمسيئين خسراناً بحسب اكتسابهم » .

ويعتقد الكرماني ، من وجهة نظره الفلسفية ، ان الأمر في النفس ووجودها واكتسابها ونقصانها وكمالها وثوابها ونعيمها وعقابها وجحيمها ، كالأمر في جسمها الذي هو الخلق الأول والنشأة الأولى ، مثلاً بمثل ، بكون النظام في وجود ما يحس وما يعقل شيئاً واحداً ، كما قال الله تعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة﴾ .

---

(١) راحة العقل : ص ٥٠٦ تحقيق مصطفى غالب .

ونلاحظ بأن علماء وفلاسفة دعوة أهل الحق يعمدون الى التأويل عندما يرغبون في اثبات نظرياتهم بأي موضوع من المواضيع العرفانية التي يبحثونها ويناقشون مضمونها ولنستمع الى الكرماني وهو يثبت رأيه في الثواب والعقاب عندما يدعمه بتأويل هذه الآية فيقول : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلاَّ كنفس واحدة** ﴾ أي ما خلقكم الأول في أجسامكم التي تدرك بالحس ، ولا بعثكم في انفسكم الذي هو الخلق الثاني الذي يدرك بالفعل إلاَّ كنفس واحدة الاسيان ومثلان كشيء واحد ، فخص اسم الفعل فيما كان جسماً محسوساً بالخلق ، وفيما كان نفساً وعقلاً غير محسوس بالبعث ، وكذلك يكون الأمر فيه على نظام واحد فأخبر عن كيفية البعث المعقول بالخلق الأول المحسوس ، فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث** ﴾ يقول : « ان كنتم لا تعلمون البعث الذي هو يا أيها النشأة الآخرة التي هي خلق الأرواح وأحياؤ ها بروح القدس الآخرة وانتم في شك منه لخلوكم مما يدلكم عليه ، فأعلموا ذلك من خلقنا اجسامكم . . . »

ونخلص من كل هذه الآراء إلى أن الثواب بنظر أهل الحق هو العلم لأن استكمال قيام العلم بالفعل ، بخروج النفس من حضانة التعليم من جهة المؤيدين بعد اكتسابها وصقلها ونقلها من القيام بالقوة إلى القيام بالفعل على أن تستفيد ما اكتسبته ممن هو قائم بالفعل تتوصل إلى الثواب الكامل بقدر اكتسابها فتعود الى عالم العقول إلى الكل الذي انبثقت منه مثابة وسعيدة بما وصلت اليه من علوم ومعارف .

أما النفس الغير مكتسبة إلاَّ الآراء الفاسدة فإنها تتعذب وتشقى في صورها الظلمانية وترتاع عند مفارقة الجسد وذلك عذابها وشقاؤ ها وتعاستها في عالمها الظلماني المخيف .

المفتاح الثالث
« البعث والقيامة »

البعث والقيامة من الأمور الهامة التي وعد الانسان بها بعد موته ، وبعد ان تغادر نفسه هذا الجسد الذي أمضى وإياه فترة من الوقت في عالم الكون والفساد .

لذا أوجب علماء أهل الحق على الانسان أن يعرف ماهية ذلك الجسد لاصلاح امره وامداده بما يتطلبه من مواد تكفل له الحياة الرغيدة في عالمه الفاني ، ومن المفروض على المرء أن يعلم ماهية النفس ليصلح أمرها ويقوم أعوجاجها ويعرف ماهيتها بإيمان تام ويقين ، فيستعد للرحلة بعد أن تغادر تلك النفس الجسد بعد الموت كونها خالدة باقية سرمدية لا تفنى . فيتزود بزاد من التقوى والاعمال الصالحات التي تكسبها السعادة . فيزول عنها الخوف بعد الموت ، وتستعد للبعث والقيامة .

فالنفوس المؤمنة العارفة لأمور دينها يعرج بها بعد الموت الى ملكوت السموات ، فتظل تحلق حتى تقوم القيامة ، حيث تعود أجسادها اليها لتحاسب ، وأما نفوس الأشرار فبعد موت أجسادها تظل خائفة وجلة الى يوم القيامة حيث ترد اليها أجسادها لتحاسب وتجازى بما اكتسبت من أعمال رديئة واعتقادات فاسدة .

أما اولئك الذين ينكرون أمر البعث والقيامة والنشر والحشر والوقوف بين يدي المبدع سبحانه وتعالى ، حيث الحساب ووضع الموازين لوزن الحسنات والسيئات ، والجواز على الضراط ، وما شاكل هذه الأمور المشار اليها في كتب الأنبياء ، لما في نفوسهم من شكوك ، وفي قلوبهم من حيرة

وزيغ . فلو عرفوا حقيقة انفسهم ، وحقيقة جوهرها ، وكيفية كونها مع الجسد ، ولِمَ ربطت به وقتاً ما ، ولِمَ تفارقه وقتاً آخر ؛ ومن أين كان مبدؤها ، وإلى اين يكون معادها ، بعد مفارقة جسدها . لما أنكروا الأمور العقلية العرفانية .

واذا تأمل الانسان العاقل وفكر في أمر الجسد ، يتبين له أنه جسم مكون من اللحم ، والدم ، والعروق ، والعصب والعظام ، وما شاكلها ، وتوضح له بأن أصل الجسد نطفة ودم الطمث ، ثم عرف كيف ينشأ هذا الجسم من تناول اللبن والغذاء ، والمأكولات والمشروبات ، ويتمتع بكافة اللذات المتوفرة له في عالم الكون والفساد ، ثم في نهاية المطاف يكون الموت ومفارقة الحياة ، حيث تفارق النفس الجسم الذي يعود الى ما تكون منه ويصير تراباً ، ثم يعاد خلقاً جديداً ، اذا شاء الله له ذلك كما وعد سبحانه وتعالى .

أما النفس هذه الجوهرة السماوية النورانية الحية العلامة الفعالة بالطبع ، الحساسة الدراكة التي لا تموت ولا تفنى ، بل تبقى مؤبدة ؛ أما ملتذة وأما معذبة نادمة على افعالها في عالم الكون والفساد .

ومما لا جدال فيه بأن أنفس المؤمنين العارفين الصالحين من أولياء الله يعرج بها بعد موت الجسد الى ملكوت السموات ، وفسحة الأفلاك ، فتترك هناك حيث تسبح في فضاء من الروح ، وفسحة من النور ، وروح وراحة الى يوم القيامة ، حيث تبعث الأجساد وهي رميم ، فترد اليها الأرواح لتحاسب ، وتجازى بالاحسان إحساناً وبالسيئات غفراناً .

وأما انفس الكفار والأشرار فتظل في عماها وجهالاتها ، معذبة متألمة ، مغتمة حزينة خائفة وجلة الى يوم القيامة ، ثم ترد الى أجسادها التي خرجت منها ، لتحاسب وتجازى بما عملت من سوء وشر .

ولا بد من الاشارة الى اولئك الذين ينكرون أمر البعث والقيامة والنشر والحشر والوقوف ، والحساب ووضع الموازين لوزن الحسنات

والسيئات ، والجواز على الصراط ، وما شاكل هذه الأمور المذكورة في كتب الأنبياء ، لما في نفوسهم من الشك والارتياب ، وفي قلوبهم من الحيرة والارتباك . فلو عرف هؤلاء حقيقة أنفسهم ، وحقيقة جوهرها ، وكيفية كونها مع الجسد ، ولما ربطت به وقتاً ما ، ولمَ تفارقه وقتاً آخر ؛ ومن اين كان مبدؤها ، والى أين يكون معادها ، بعد مفارقة جسدها . لما أنكروا هذه الأمور العقلية العرفانية .

وفي اعتقاد جماعة أهل الحق ان الناس في مشكلة الآخرة على قسمين : قسم مقربها ، والقسم الآخر ينكرها أشد الإنكار لاعتقادهم أن حكم الانسان بعد الممات كحكم النبات والحيوان . وذلك أنهم أي المنكرون لأمر الآخرة وجدوا ان النبات يتكون وينشأ ويبلغ الى غاية ما ، ثم يبلى ويضمحل ، ويتكون مثله آخر . وعلى هذه الصورة أمر الحيوان يتوالد ويتربى ، ثم يبلغ الى غاية ما ، ثم يموت ويهلك ويبلى ، ويتكون آخر مثله . فلما وجدوا حكم النبات والحيوان على ما ذكرنا ، جعلوا ذلك قياساً على حال الانسان فقالوا : نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر . فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وما هم بذلك من علم** ﴾ لأنهم لو سئلوا ما الدهر ؟ لعجزوا عما هو الدهر في البيان ، وما دروا ما الدهر على العيان .

أما المقرون بالآخرة فهم ايضاً طائفتان : احداهما الذين يقرون بها بالسنتهم من غير تصور منهم لها بقلوبهم ، ولا معرفة بحقيقتها بعقولهم ، فإقرارهم برأيهم إيمان وتسليم لقول الأنبياء ، وتقليد لهم فيما يقولون ويخبرونهم عنها . والطائفة الأخرى الذين هم مع اقرارهم بها وتصديقهم للأنبياء ، متصورون لها بقلوبهم ، عارفون حقيقتها بعقولهم ، ولقد مدح الله سبحانه وتعالى كلتا الطائفتين وأثنى عليهم بقوله : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ وفضل الله احداهما على الأخرى بقوله : ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾

ومعنى القيامة في مفهوم أهل الحق مشتق من قام يقوم قياماً ، والهاء

فيه للمبالغة ، وهي من قيامة النفس من وقوعها في بلائها . والبعث يعني انبعاثها وانتباهها من نوم غفلتها ، ورقدة جهالتها .

والعلم في رأي هذه الجماعة هو تصور الشيء على حقيقته وصحته ، أما الايمان فهو بإعتقادهم الاقرار بذلك الشيء والتصديق لقول المخبرين عنه من غير تصور له . فالأنبياء هم المخبرون عن الآخرة ، المتصورون لها بقلوبهم ، والعارفون حقيقتها بعقولهم . وينهج نهجهم بعد غيابهم أولياؤهم المكلفون بسد مسدهم والحفاظ على شريعتهم . والمؤمنون هم المقرون بالآخرة بالسنتهم ، المصدقون لما بشر به الأنبياء والأولياء ، في اخبارهم ، المنتظرون لكشفها لهم . وهؤلاء طائفتان : احداهما تنتظر كون الآخرة وحدوثها في الزمان المستقبل ، حينما تخرب السموات والأرض ، وهذه الطائفة لا تعلم من الأمور إلا المحسوسات . ، ولا من الجواهر إلا الجسمانيات ، ولا من احوالها إلا ما ظهر للعيان ، والطائفة الأخرى هم الذين يعرفون الأمور المعقولة ، والجواهر الروحانية ، والحالات النفسانية ، لذلك فهم يعتبرون الآخرة كشفاً وبياناً .

وعن طريق الكشف والمعرفة يتوصل المؤمن الى معرفة أمر الدنيا ، عن طريق معرفة الآخرة على الحقيقة ، لأنهما من جنس المضاف ، ومن خاصة جنس المضاف أن معرفة احد المضافين معرفة الآخر . لأن الدنيا باسمها تدل على اسم الأخرى ، بإعتبار اسمها مشتق من الدنو ، والآخرة مشتق من التأخر . فالدنيا هي أول ما نعلمه واحوالها أول ما نحس به ونشعر به بواسطة أجسادنا ، ومشاهدتنا عالمها ، وعرفان أبناء جنسها ، ووجداننا لذات معقولاتها ، لأن هذه تحصل لنفوسنا بعد مفارقتها أجسادها ، كما حصلت تلك لنا بعد ولادة أجسادنا ، لأن مفارقة النفس الجسد هي ولادة للنفس ، كما ان مفارقة الجنين للرحم ولادة للجسد .

ونلاحظ بأن علماء أهل الحق يعتبرون الموت ومفارقة النفس للجسد ولادة لهذه النفس . والموت في اعتقادهم ليس سوى ترك النفس استعمال

الجسد لسببين : احدهما طبيعي ، والآخر عرضي . لذلك ينبغي على المؤمن أن يجتهد في دنياه ، ويتزود بما يسعد نفسه ، قبل خراب البدن ، وانهدام البنية ، وذلك عن طريق العقل الراجح ، والرأي الرصين ، والتمييز الصحيح ، بالمعارف الروحانية ، والتأله الرباني .

ومتى سار الإنسان العارف على هذا الطريق الحقاني ساعد نفسه على الانبعاث من نوم الغفلة ، وجنبها رقدة الجهالة ، فتحيا من موت الخطيئة ، وتنجو من نار جهنم وعذاب الهاوية . وتتقرب الى خالقها ومبدعها ومكملها ، وتصل الى دار البقاء والخلود ، لتقيم هناك متنعمة ملتذة مسرورة أبد الآبدين ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

ومن المسائل الهامة بالنسبة لدعاة أهل الحق معرفة النفس وحقيقة جوهرها . لأنه متى توصل الانسان الى معرفة نفسه استطاع أن يدرك بسهولة وإيمان معرفة حقيقة البعث والقيامة ، وجوهر النفس ويميز بينها وبين الجسد ، فتنصرف همته الى حال النفس واصلاح شأنها ، والتفكر في أمر معادها ودار قرارها ، فيستعد خلال وجوده في الدنيا الى النقلة فيتزود بالعلوم النافعة متيقناً بلقاء المبدع وهو نظيف من ادران الدنيا وشهواتها . أما إذا غفل المرء عن معرفة نفسه ، ولم يميز بينها وبين الجسد ، وانصرف الى الاهتمام بجسده واصلاح شأنه ، وانغمس في ملاذ الدنيا وشهواتها ، متمنياً الخلود فيها فإنه يخاف دنو الساعة وقرب الأجل حيث الحساب والعقاب على ما جنته يداه .

ولقد عرفوا لفظ البعث فقالوا بأنه اسم مشترك في اللغة العربية ويحتمل ثلاثة معانٍ : فمنها قول القائل : بعثت يعني أرسلت ، كما قال الله تعالى : ﴿**فبعث الله النبيين**﴾ يعني ارسلهم . ومنها ما يكون معنى البعث هو بعث الأجساد الميتة من القبور ، ونشر الأبدان من التراب ، كما وعد الكفار والمنكرين بقولهم : ﴿**أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون . أو آباؤنا الأولون**﴾ قال الله تعالى : ﴿ **قل نعم**﴾ ،؛ ومنها بعث النفوس

الجاهلة من نوم الغفلة ، واحياؤها من موت الجهالة ، كما اشار الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ . وقوله : ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ وقوله لمحمد(ص) ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ .

ومن الناس من لا يوقن ببعث الأجساد ، ولا يتصوروه ، ويعتبرونه مستحيلاً ، فليس من الحكمة أن يخاطبوا ببعث النفوس ، لأن بعث الأجساد يمكن تصوره ، ويقرب فهمه وعلمه ، فأما من لا يقر به ولا يتصوره ، فهو لبعث النفوس أنكر ، وبه أجهل ، وعن تصوره أبعد . لأن بعث النفوس هو من علم الخواص ، لا يتصوره إلاّ المرتاضون بالعلوم الإلهية والمعارف الماورائية . وإنما وعد الكفار أن يبعث أجسادهم ، ليوافقهم على شكهم ، ويجازيهم بسوء أفعالهم . ووعد الباري سبحانه المؤمنين أن يحيي نفوسهم ، ويبعث أرواحهم ، ليجازيهم على حسناتهم ، ويثيبهم بأعمالهم .

ويتضح من كل هذا أن البعث يكون للنفوس عندما تنتبه من غفلتها لتتلقى العلوم والمعارف التي تهذبها وتنقيها من ادران عالم الكون والفساد ، لتتمكن من اللحاق بالنفس الكلية حيث السعادة والهناء والسرمدية .

أماالقيامة فهي على نوعين : القيامة الصغرى وهي عندما تفارق النفس الجسد بعد الموت عملاً بقول الرسول (ص) : « من مات فقد قامت قيامته » . والثاني القيامة الكبرى ، وذلك عندما تفارق كل النفوس الجزئية الموجودة في عالم الكون والفساد أجسادها ، وتعود النفس الكلية التي كانت تنبثق منها الانفس الجزئية الى مبدعها وخالقها ، فيبطل الوجود كله ما عدا الله سبحانه وتعالى .

واذا ما تطلعنا الى الناحية الفلسفية التأويلية لمفهوم البعث والقيامة وجدنا بأن النفس الانسانية تكون قبل اكتسابها العلوم والمعارف قائمة

بالقوة ، لم يتسن لها من يكون قائم بالفعل لتكتسب منه العبادة العملية والعلمية بالافادة والتعليم ، لتترقى من حد القيام بالقوة الى حد القيام بالفعل ، فإذا فارقت هذه النفس الجسد قبل الاكتساب والتعليم تكون معذبة ويكون عذابها وخسرانها بقدر أعمالها في عالم الكون والفساد . أما اذا انتبهت من نوم غفلتها وتيسر لها المعلم المفيد الذي يكسبها العلوم والمعارف ، فإنها عندما تفارق الجسد تصير الى دار العقول القائمة بالفعل ، فيكون ثوابها وخسرانها بقدر اكتسابها ومداه .

المفتاح الرابع
« القضاء والقدر »

منذ وجود الانسان الأول في هذا العالم المترامي الأطراف المليء بكافة الموجودات التي أوجدها الموجد سبحانه وتعالى ، لسعادة الانسان خليفته في الأرض ، ومنذ تفتحت مداركه على المصنوعات وما فيها من اسرار وغوامض ، وحركات أفلاك وابراج وكواكب ، ومشكلة القضاء و القدر بين مد وجزر ، واخذ ورد . لم يتوصل العقل البشري حتى عصرنا الحاضر الى ابراز صورة واضحة لهذه المشكلة الشائكة المعقدة .

والمتطلع الى معرفة حقيقة القضاء والقدر بأعتقادي كغريق ابتلعه اليم من جميع نواحيه فغشاه الظلام وسد عليه بصيص النور ، فلا يلمح بريق أمل في النجاة ، أو شعاعاً سرمدياً مشرقاً يتعلق بأهدابه ليخلص من الغرق وينجو من الموت .

لذلك لا أستغرب اذا وجدت علماء وفلاسفة أهل الحق يوّلون هذه المشكلة جل اهتمامهم فيخوضون غمار بحرها الزاخر العامر بالخفايا والاسرار ، منطلقين من الكتب المنزلة وآراء العلماء والفلاسفة الذين سبقوهم بأجيال ، محللين ومناقشين كل هذه الآراء الماورائية بأسلوب عرفاني قويم ، ولكنهم مع كل الجهود العلمية المنطقية التي بذلوها لا تزال أفكارهم موضع جدل لا حدَّ له ولا قرار ، تجعل الباحث يقف موقف المتردد تجاه الأفكار والمنطلقات التي عالجها هؤلاء العلماء ، لا يستطيع اعطاء رأيه الصريح فيها ، خاصة وقد كانت أفكارهم متضاربة متناقضة حول الفروع ، ولكنها كانت متفقة منسجمة على المنطلقات والأصول .

لهذا نرى من الضرورة بمكان استعراض بعض هذه الآراء واعطاء الرأي فيها في ضوء الحقيقة والواقع العلمي الصحيح. ولنستمع الى جماعة اخوان الصفا بأعتبارهم أول من بذر بذور علم الحقائق في المجتمعات الاسلامية، وقالوا ان من شروط الايمان وخصال المؤمنين، للدلالة على متانة إيمانهم، الرضاء بالقضاء والقدر، وتقبل ما يحدث للنفس الانسانية من المقادير برحابة صدر. لأن جريان المقادير بأعتقادهم من موجبات أحكام النجوم. والقضاء هو علم الله السابق بما توجبه احكام النجوم.

ويضيفون الى هذا الرأي قولهم: «ثم اعلم يا أخي انه لا يوجد أحد طيب النفس بما يجري عليه من المقادير المرة الصابرة إلاَّ العارفون بحرمة الناموس، ولا يعرف أحد حرمة الناموس كما يجب إلاَّ الأنبياء والمؤمنون... فمن علامة الرضا بالقضاء وبما تجري به المقادير أن ينقاد لحكم الناموس طيب النفس مثل انقياد سقراط حكيم اليونانيين، للقتل طيبة به نفسه.». ولم يكن سقراط الوحيد من ابناء البشرية الذين انقادوا للمقادير، بل هناك من سبقه في هذا المجال أمثال هابيل والمسيح ومحمد وغيرهم من الأولياء والصالحين الذين قبلوا بقضاء الله وبما جرت به مقاديره عن طيبة نفس وايمان عميق بأصحاب النواميس الإلهية فيما يأمرون به من الطاعات وينهون عنه من المعاصي والموبقات. ومن يقول بهذا الرأي، ويجعل طاعة اصحاب النواميس الإلهية، مدماك ايمانه، يرقى الى ذروة الأفعال الانسانية، التي هي اسمى رتبة يبلغها العقلاء العارفين المتحققين. وليس عليهم اذا تعرضوا في حياتهم الدنيا الى البلوى الشدة، والمصائب إلاَّ أن يتصرفوا بحكمة ويتذرعوا بالصبر، ويرضوا بقضاء الله، ويقبلوا حكمه الذي لا يرد، شاكرين، طالبين الرحمة والغفران، مستسلمين لأحكامه، واضعين نصب أعينهم قوله تعالى:
﴿ الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا ان لله وإنا اليه راجعون﴾.

ومن الطبيعي ان يكون الكافر قلق النفس، جزعاً من الشدائد، ساخطاً على المقادير، سيء الظن بالله سبحانه وتعالى آيساً من رحمته مجسداً

قوله سبحانه : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ﴾ .

يستدل مما تقدم بأن الايمان المكين يوجب على الفرد المؤمن الرضاء والقبول بالقضاء والقدر لأن جريان المقادير مرده الى احكام النجوم ، والقضاء الى علم الباري سبحانه وتعالى السابق بما توجبه احكام هذه النجوم . فالمطلع على الحقائق والعارف بالأمور العقلية يتقبل هذه الأمور برحابة صبر واعتقاد خالص ، حامداً الله ، وراجياً رحمته وغفرانه مستسلماً لأحكامه ، . اما الكافر الجاحد فإنه يسخط على المقادير ، ويقنط من رحمة الله فيبوء بالخسران الكبير .

ولا بد من الاشارةالى ان اكثر العارفين بالأمور العقلية من علماء أهل الحق قد بحثوا في أمر القضاء والقدر من الناحية العرفانية ، وذار بينهم نقاش كانت وجهات نظرهم مختلفة لم يتوصلوا الى أية نتيجة قاطعة تعطي الدليل الواضح على جوهر الموضوع ومنطلقاته العرفانية .

ولقد استعرض هذا الخلاف حجة العراقين الداعي احمد حميد الدين الكرماني في كتابه « الرياض » استعراضاً علمياً بين فيه مواضع الاختلاف والالتقاء بين هؤلاء العلماء مما يعطي الدليل الواضح على مدى حرية التفكير في ذلك العصر .

قال الكرماني وهو يناقش ما جاء في كتاب « الاصلاح » المنسوب للداعي الحقاني (أبو حاتم الرازي) كبير دعاة شمال غربي فارس حول القضاء : « قال صاحب الاصلاح : وأما القول ان القضاء على السابق ، والقدرة على التالي ، فهو خطأ لأن القدر قبل القضاء ، والسابق قبل التالي ، وليس يجوز أن القضاء الذي هو بعد القدر ، على الذي هو قبل التالي . والقدر والقضاء هو التفصيل ، ولا تفصيل إلا بعد التقدير ، والأول قبل الثاني لا بعده ، و الشواهد على ذلك من كتاب الله قوله : ﴿ قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾،ومعناه فصل وفرغ منه ، و قوله :

﴿ فاذا قضيت الصلاة﴾ أي فرغت منها، والقضاء بمنزلة الثوب الذي يقدره الخياط ، فهو قبل أن يفصله يقدره ، ويزيد وينقص ، ويوسع ويضيق ، واذا فصله فقد قضاه وفاته ، ويمكنه الزيادة والنقصان ، وذلك مثل القضاء والقدر ، ، محصول قوله : « ان القضاء لا يقال على السابق ، فإنه بعد القدر ، وان القدر لا يقال على التالي ، لأنه قبل القضاء ، فإن القدر هو التقدير ، والقضاء هو التفصيل ، وأنه ما دام الشيء في التقدير يمكن أن يزداد ، وينقص ، ويوسع ، فاذا فصل وقضي فلا يمكن الزيادة فيه ، ولا النقصان منه .

وقال صاحب كتاب « النصرة » الداعي (أبو يعقوب السجستاني) : ليس القضاء هو التفصيل ، لأنه ليس حال عين التفصيل في القضاء بأقل من حال المنفصل ، ولا عين المنفصل ثباته على هيئته بقضاء يوجب ذلك ، كما ان المنفصل أيضاً إنما ثبت بما قضي له ، وأما القدر فهو التقدير على ما ذكره ، لكنه لا يكون تقدير إلاّ بقضاء يوجب ذلك التقدير ، فأما الشواهد ، التي استشهد بها من كتاب الله تعالى ، بأن القضاء هو الفراغ ، فغير مدفوع وذلك لأن الحكماء قالوا : ان الله تعالى لما ابدع العقل فرغ من العالمين، لأنه مجموع صور العالمين، ولم يغرب من صور العالمين عن العقل شيء ، فهو الفراغ المحض ، إلاّ ان صاحب الاصلاح قد أساء بتشبيهه القضاء والقدر بالثوب الذي يقدره الخياط ، وحيث جعل تقديره مثل القدر ، وتفصيله مثل القضاء ، ولا يستقيم هذا التشبيه ، وكان الواجب عليه ان يجعل صورة الخياطة ، التي في نفس الخياط ، مثل القدر على ما مثله ، وهو أيضاً شيء روحاني ، لم يخرج بعد الى حد العقل ، فهذا معنى صورة الأصلين ، ثم التفصيل الذي يفصله بعد التقدير على الحدود الجسمانية التي ظهرت من الأول والثاني ، واذا كان الأمر على ما وصفنا ، فإن القضاء قبل القدر ، وكما ان الخياطة قبل التقدير ، وبتلك الخياطة تهيأ للخياطة التقدير كما يقدره ، فقد صح ان القضاء على السابق ، والقدر على التالي ، ومحصول قوله : ان القضاء متقدم على القدر ، وان لا

تقدير إلا بقضاء ، وان القضاء على السابق ، والقدر على التالي . . . . » .

وبعد هذا الاستعراض العلمي لرأي صاحب الاصلاح وصاحب النصرة التأويلي للقضاء والقدر ، يعطي حجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني رأيه في كلا القولين ، فيقول : « ان تأويل الداعيين للقضاء والقدر على ما أول كل واحد منهما عليه ، واحتج به ، مع كون معنى لفظة القضاء والقدر ، على ما بيناه ، تأويل محال ، على أي وجه كان القضاء والقدر عليه من السابق والتالي ،وذلك ان صاحب الاصلاح قد أوجب بقوله القدر هو التقدير ، والقضاء هو التفصيل ، وبالتشبيه الذي أورده في أمر الثوب ، وصورة الخياطة ، ان القدر هو ما كان قائماً بالقوة ، وممكناً ان يكون ، وان القضاء ، وهو ما كان قائماً بالفعل ، وقد خرج من باب الامكان الذي هو القوة ، الى الفعل ، واذا كان معنى القدر والقضاء ذلك ، فمن المحال ان يقال على السابق والتالي أصلاً ، بوجه من الوجوه ، فليس ولا واحد منهما قائماً بالقوة ، ولا كان بالقوة ، فخرج الى الفعل ، على ما أتينا عليه من الدلائل فيما تقدم .

وصاحب النصرة أوجب بقوله لا تقدير إلاَّ بقضاء ، يوجب ذلك التقدير ، وبتمثيله القضاء بصنعة الخياطة التي عنها يكون التقدير ، ان يكون القدر الذي جعله على التالي مع تسليمه ان معنى القدر على ما اثبته صاحب الاصلاح وجوده ، وجود قائم بالقوة ، ولا يجوز ان يقال ذلك على التالي ، بما ثبت فيها تقدم من كلامنا ، كونه قائماً بالفعل ، واذا جاز لم يكن القدر على التالي ، واذا لم يكن القدر على التالي ، كان القضاء على السابق أولى ، واحرى ان لا يكون ، اذا لم يكن قط بالقوة ، فخرج الى الفعل ، فيطابق ما يؤديه لفظه بالموجود عليه حال السابق ، وكان ايضاً محالاً ان يقال القضاء والقدر على السابق والتالي ، واذا كان محالاً قلنا أن قولهما صحيحان على الوجه الذي بينه ، لا على ما ذهبنا ، وذلك ان القضاء يشترك في معناه أشياء وتلك الأشياء كلها من عالم الجسم ، لا من عالم الابداع ، وكذلك القدر . . . » .

وفي نهاية المطاف يخرج الكرماني من هذا النقاش الى القول بأن القضاء يدل على الناطق الذي كان بالقوة ، فخرج الى الفعل بتأييد الله تعالى إياه ، وعلى القائمين مقامه ، كونهم انتهوا الى المنزلة الموازية للانبعاث الأول . والقدر يدل على ما جاء به النبي من التنزيل ، والشريعة والحكم ، والامثال التي في قوتها العلوم والمعارف التي تحتاج اليها النفس في خروجها الى البلوغ . والفعل . وكذلك يدل القدر على القائم الموعود المبشر به من لدن آدم وعلى دعوته القائم بحفظها ، وإقامتها الائمة والرسل بدعائهم في الستر ، ومد القوة بكونه مقدراً ان يخرج من التقدير الى الفعل ، والوجود ، وتكون دعوته قائمة من جهة حدود دور النبي في الستر الذي يجري مجرى القائم بالقوة ، لا بالظاهر الذي يجري مجرى القائم بالفعل ، ولذلك كان تأويل ليلة القدر كم أشارت الشيوخ في قولهم : كوني (قدر) .

المفتاح الخامس
« الأكوار والأدوار »

وجه علماء أهل الحق جل اهتمامهم للعلوم الفلكية والتحركات الكوكبية حول الأركان الأربعة التي هي عالم الكون والفساد ، وبحثوا في ماهية الأدوار والأكوار ، فخرجوا من أبحاثهم بمعلومات قيمة كان لها أكبر العون في معرفة الفلك وأشخاصه والأدوار الكثيرة التي لا يحصي عددها إلا الله سبحانه وتعالى ، وأكدوا بأن لهذه الأدوار كور ، وللكواكب في أدوارها واكوارها قِرانات ، وبينوا بما لا يقبل الشك أن في كل دور وكور وقران في عالم الكون والفساد حوادث لا يحصي عدد اجناسها إلا الله تعالى . وقد اتفق علماء دعوة أهل الحق على أن الأدوار على خمسة أنواع : أدوار الكواكب السيارة في أفلاك تداويرها . أدوار مراكز أفلاك التداوير في أفلاكها الحاملة . أدوار أفلاكها الحاملة في فلك البروج . أدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج ، أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان .

وأما الأكوار فأكدوا انها في استئنافاتها في أدوارها ، وعودتها إلى مواضعها مرة بعد اخرى . وأما القرانات فهي في اجتماعاتها في درج البروج ودقائقها ، وهي ستة أجناس ، ومائة وعشرون نوعاً ؛ فمنها واحد وعشرون قراناً خماسية ، وواحد وثلاثون قراناً سداسية ، وقران واحد سباعي ، فجملتها مائة وعشرون قراناً نوعية مضروبة في ثلاثمائة وستين درجة ، يكون جملتها ثلاثة وأربعين ألفاً ومائتي قران شخصية .

وفي اعتقادهم استناداً إلى ابحاثهم الدقيقة ان كل الحوادث التي تجري في عالم الكون والفساد هي تابعة لدوران الفلك ، وحادثة عن حركات كواكبه ومسيرها في البروج ، وقرانات بعضها مع بعض ،

واتصالاتها بإذن الله تعالى . فمن تلك الحوادث ما هو ظاهر جلي لكل إنسان ، ومنها ما هو باطن خفي يحتاج في معرفتها إلى تأمل وتفكر وإعتبار .

ولقد صنف جماعة اخوان الصفا وخلان الوفا رسالة خاصة حول الأكوار والأدوار واختلاف القرون والأعصار والزمان والدهور مؤكدين بأن الغرض من وضعها هو البيان عن كيفية إنشاء العالم ، ومبدأه ، وترتيبه وظهوره ،وغايته ، وكيفية فنائه ، وخرابه ، إذا انقطعت مواد بقائه عن مبقيه ، فيعدم في الحال ، ويضمحل بلا زمان ، وما أمر الساعة إلا كلمح بالبصر أو هو أقرب .

وحتى يكون القارىء فكرة صحيحة عن هذه المعارف وعللها وأسبابها والغرض منها في معرفة تأثيرات الأشخاص العالية في الأشخاص السفلية ، نتيجة الحركات السريعة القصيرة الزمان ، القريبة لاستئناف دوران الفلك المحيط بالكل حول الأركان الأربعة ، في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة ، وهي التي تكون الليل والنهار ، نستعرض بعض الآراء الحقانية التي عالجها مؤلف الرسالة الجامعة تاج رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا حيث يقول(١) : « . . فمن تلك الحركات السريعة القصيرة الزمان ، القريبة لاستئناف دوران الفلك ، المحيط بالكل ، حول الأركان الأربعة ، في كل أربع وعشرين ساعة ، دورة واحدة ، كقول الله سبحانه : ﴿ **و كل في فلك يسبحون**﴾ وهي التي تكون الليل والنهار ، فبالليل سكون الحيوان وبالنهار حركته ، وذلك أنه إذا طلعت الشمس ، مع دوران الفلك ، على جانب الأرض أضاء الهواء بنورها ، وأشرق وجه الأرض بضيائها ، وانتبهت أكثر الحيوانات من نومها ، وتحركت بعد سكونها ، وترنحت بعد عجمتها وهدوئها ، وانتشرت في طلب معاشها ، وتصرفت في مذاهبها ، وتفتحت أيضاً كذلك أكثر أكمام الزهر والنبات ،

---

(١) الرسالة الجامعة تحقيق مصطفى غالب منشورات صادر صفحة ٢٨٢ - ٢٨٣ .

وفاح نسيم روائحها ، وروحها وريحانها ، وذهب الناس في مطالبهم ، وانتشروا في مآربهم ، وسعوا في حوائجهم ، وصارت الدنيا كأنها حيوان واحد ، متحركة ، كاملة الأنوار مشرقة الأزهار ، كل ذلك بضياء الشمس المشرقة ، الصافية وروحانياتها ، اللطيفة السارية في الأشياء ، كسريان العافية في الأشياء النامية . فإذا غابت الشمس أظلم الهواء وأسود الجو ووجه الأرض من الظلمة ، واستوحشت اكثر الحيوانات ، ورجعت عن متصرفاتها إلى أوطانها وأماكنها ، وانصرف الناس عن أسواقهم إلى منازلهم ، وعن مواضع أعمالهم الى بيوتهم ، ووقع عليهم النوم والنعاس والكلل بعد الانتشار ، والنشاط في الأعمال ، والسكون بعد الحركة ، والهدوء بعد الجلبة ، وتكون الدنيا كأنها حيوان نائم أو ميت جامد ، من السكون والهدوء . . . » .

وعلى هذه الصورة يؤكد علماء أهل الحق بأن وجود الحيوان ودوامه بدوام الحركة الفلكية وما دامت هذه الحركة محفوظة في الفلك فإنها موجودة في الحيوان ، فإذا سكنت حركة الأفلاك ، بطل النظام والترتيب ، وحتى وقف الفلك عن الدوران فسد النظام ، وبطل عالم الكون والفساد ، لأن صورة هذه الكائنات عنها ، الحادثة في هذا العالم ، تكون موجودة في الهيولى .

وقد قيل إن ذلك كائن لا محالة ، إذا بلغت النفس الكلية إلى أقصى غرضها ، لأن الغرض هو غاية يسبق إليها الوهم ، ومن أجل البلوغ إليها يفعل الفاعل فعله ، وإذا بلغ إليها قطع الفعل .

ولا بد من التحدث عن ماهية ما يكون عن حركة القمر بإعتبارها من الحركات السريعة القصيرة الزمان ، القريبة الاستئناف ، وهذه الحركة تكون في كل شهر مرتين ، وهي حركة مركز تدوير القمر في الفلك الحامل ، في كل أربعة عشر يوماً مرة واحدة ، وفي النصف الثاني من الشهر يدور هذا المركز في الفلك الحامل مرة أخرى ، ويكون القمر مولياً

بوجهه الممتلىء من النور ، عن مركز الأرض ، نحو فلك عطارد ، ويدور القمر في الفلك الحامل مرة واحدة في هذه المدة .

ومن الطبيعي أن يتكلم أهل الحق عن معرفة ما يحدث من هذه الحركة في العالم فيقولون(١) : « والذي يحدث من هذه الحركة ، في هذه المدة ، في عالم الكون والفساد ، ما دون فلك القمر ، الذبول والهزال ، والنقصان في الأشياء النامية ، والنضج ، والجفاف ، واليبس في الأشياء البالغة إلى التمام من الحب والثمر ، ويتكون عن هذه الحركة في هذه المدة بعض الجواهر المعدنية ، كالملح ، والكمأة ، وأمثالها ، وفي هذه المدة يتكون ايضاً عن هذه الحركة ، بعض الحيوانات كالطيور ودود القز ، وزنابير النحل ، وأكثرها تتم خلقتها في أربعة عشر يوماً ، وتخرج بعدواحد وعشرين يوماً . فهذه المدة هي مقدار مسير القمر من يوم الحضانة إلى يوم الخروج من البرج الذي كان فيه إلى البرج التاسع ، الذي هو بيت النقلة والسفر ، فتنتقل هذه الحيوانات الكائنة من حال إلى حال في هذه المدة . وما دامت هذه الحركة محفوظة في الفلك ، تصورت هذه الكائنات وكانت موجودة في الهيولى في هذا العالم ، وإليها أشار الله عز وجل بقوله : **﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾** .

وفي مكان آخر يعطون فكرة واضحة عن مبلغ أعمار ما يحدث عن هذه الحركة من الحيوانات فيقولون(٢) : « اعلم يا اخي ايدك الله وإيانا بروح منه ، أن كل الكائنات عن هذه الحركة ، من الحيوانات والنبات ، فمنها ما هي طويلة البقاء ، ومنها ما هي قصيرة المدة . ، ولكن أطولها بقاء لا يتجاوز مائة وعشرين شهراً ، وقصيرة المدة ما دون ذلك . وعلة نهاية بقاء بنية أشخاص هذا النوع في الهيولى ، هذا المقدار من الزمان ، هو أن علة حدوثها حركة القمر في فلك البروج ، المقسوم بثلاثماية وستين درجة

---

(١) الرسالة الجامعة تحقيق مصطفى غالب منشورات صادر صفحة ٣٨٥ .
(٢) نفس المصدر صفحة ٣٨٦ .

وثماني وعشرين منزلة لدورة واحدة . وذلك أن القمر إذا كان في برج من الأبراج ، وفي منزلة من المنازل ، يوم حضانة الطير ، فإنه يوم يخرج الفروخ ، أو الفرخ يكون في منزل العشرين من ذلك المنزل ، في البرج التاسع من ذلك البرج ، وقد قطع مائتين واربعين درجة من الفلك ، وبقي له مائة وعشرون درجة إلى أن يعود إلى الدرجة التي كان فيها يوم ابتداء الحضانة ، فيستأنف العمر في الدنيا لكل درجة شهراً ، وهذا هو العمر الطبيعي للحيوان الحادث عن هذه الحركة ، وأما ما يهلك قبل هذه المدة ، ويعيش بعد جواز هذا المقدار ، فذلك لأسباب وعلل وأعراض يطول شرحها » . . .

ويأتي دور اعمار الصور الانسانية واللاحقة بها من الصور الحيوانية ، فيقولون : « وأما أمر الإنسان ، فذلك أنه إذا سقطت النطفة في الرحم من جنس البشر ، أو بعض الحيوانات ، التي تلد لتسعة اشهر ، أو أكثر ، أو أقل ، فهذا الجنس من الحيوان لاحق في جميع احواله بأحوال الإنسان ، مقارن له ، فلا بد له أن تكون الشمس ، تلك الساعة ، في درجة من برج من الفلك ، فإذا كان الشهر التاسع ، تكون الشمس قد قطعت بسيرها ثمانية أبراج ، وقد استوفت طبائع البروج المثلثات ، وبلغت إلى أول البرج التاسع ، بيت السفر والنقلة ، فيوجب ذلك انتقال المولود من مكان إلى مكان ، ومن حال إلى حال ، وتكون الشمس قد سارت في فلك البروج ، من يوم مسقط النطفة إلى ذلك اليوم ، مائتين وأربعين درجة ، وبقي لها مائة وعشرون درجة ، إلى أن تعود إلى الدرجة التي كانت فيها ، يوم مسقط النطفة . فجعل نهاية لبقاء اشخاص من هذا النوع ، وعمرها الطبيعي ، لكل درجة سنة ، وهي التي بقيت لها ، تسير فيها مائة وعشرين درجة ، إلى ان تعود إلى الدرجة التي كانت فيها يوم مسقط النطفة ، فإن زاد أو نقص فلأسباب وعلل . وعلى هذا القياس يعتبر حال كل مولود من أنواع الحيوان ، فيكون عن حركة شخص من الأشخاص الفلكية . فأعلم ذلك أيها الأخ ، وتفكر في هذه القدرة العجيبة ، والصنعة

القائمة بالحكمة الإلهية ، والعناية الربانية » .

وعن ما يحدث في العالم بحركة الشمس التي تعتبر من الحركات السريعة ، القصيرة الزمان يقولون[1] : « ومن الحركات السريعة ، القصيرة الزمان ، ما يكون في كل سنة مرة واحدة ، وهي حركة الشمس ، وحركة فلك تدوير الزهرة وعطارد في فلك البروج ، تارة في البروج الشمالية ، وتارة في الجنوبية ، وتارة في المستقيمة الطلوع ، وتارة في المعوجة ، وتارة في النارية ، وتارة في الترابية ، وتارة في الهوائية ، وتارة في المائية ، وتارة صاعدة ، وتارة هابطة ،وتارة في شرفها ، وتارة في هبوطها ، وتارة في بيوتها ، وتارة في وبالها ، وتارة في ذروتها ، وتارة في حضيضها ، وتارة مسرعة ، وتارة بطيئة ، وتارة عند رؤوس جو زهراتها ، وتارة عند أذنابها ، وتارة متيامنة بعضها من بعض ، وتارة متياسرة ، وتارة شرقية ، وتارة غربية ، وتارة متناظرة ، وتارة ساقطة ، وتارة خالية ، وتارة في الأوتاد ، وتارة فيما يليها ، وتارة زائلة عن الأوتاد ، وتارة في البروج المنقلبة ، وتارة في الثالثة ،وتارة في المتجسدة ، وما شاكل هذه الحالات » .

والذي يحدث عن هذه الحركة ، في هذه المدة ، في هذاالعالم ، عن احوال هذه الكواكب ، من الصور المختلفة ، و الحالات المتغايرة ، أشياء لا يحيط بمعرفتها وعلمها وكنهها إلا مبدعها وخالقها ومرتبها ومحركها . أما ما يحدث في العالم اذا نزلت الشمس إلى برج الحمل فيذهبون الى أن الشمس اذا نزلت أول دقيقة من برج الحمل ، استوى الليل والنهار في الأقاليم ، واعتدل الزمان ، وطاب الهواء ، وهب النسيم ، وذابت الثلوج ، وجرت الأودية ، ونبعت العيون ، وارتفعت الرطوبات إلى اعلى فروع الأشجار ، ونبت العشب ، وطال الزرع ، واخضر وجه الأرض ، ودرت الضروع ، وانتشر الحيوان في البلاد عن أوطانه وطلب العيش ، وطلب الناس البقاع الباردة فلا يزال ذلك حال الدنيا ، حتى تبلغ الشمس

(١) الرسالة الجامعة : صفحة ٣٨٨ .

آخر الجوزاء .

ولما كانت الشمس هي آية الله في السموات والأرض ، وبها صلاح العالم ، وهي الباعثة في العالم روح الحياة . ولما كان الإنسان عالماً صغيراً ، وجب عن طريق الحكمة أن يكون فيه مثال لما في العالم الكبير ، وكان القلب من الانسان بمنزلة الشمس في عالم الافلاك ، كونها متوسطة للأفلاك ، ومركزها القطب ، كذلك القلب مركزه وسط الجسم الإنساني . فكما أن نزول الشمس في بيت شرفها وسلامتها من الآفات ، أعني الكسوف ، والهبوط ، وما يعرف المنجمون ، تكون سلامة العالم وحسن حاله واعتدال نظامه واستقامة اقسامه فكذلك القلب إذا سلم من الآفات ، والعوارض المهلكات ، استقام أمر الجسد ، وتمت أوصاله ، وحسنت أحواله ، وانتظمت أعماله .

ولما كان في حال التغريد الإنسان وحده مركباً على مثال تركيب العالم الكبير ، وجب أن يكون بالجمع العالم كله إنساناً كبيراً ، واحداً أيضاً بالإطلاق . وإذا كان العالم كله ، أعني جميع الصور الإنسانية القابلة للأمر والنهي ، بمنزلة إنسان واحد ، فيجب ان يكون له وفيه اعضاء فاضلة شريفة : كالقلب ، والكبد ، وما يكون به الصلاح والحياة للجسد من الحواس الخفية ، ويكون له اعضاء ظاهرة يدرك بها الحواس المحسوسات المشاهدة : كالعينين ، والأذنين ، والأنف ، والفم ، واللسان ، ويكون له أيضاً صنائع جليلة يظهرها صناع حكماء ، ورؤساء علماء ، كاليدين ويكون فيه عباد وزهاد ، وصالحون ، يسعون الى بيوت الله ليقيموا الصلاة ، والحج والجهاد ، وخالص العبادة لله ، وكالرجلين ، إذا سعتا إلى بيوت العبادات ، ومواضع الصلاة .

فلما كان ذلك كذلك بالبرهان ، من وجود الرؤساء في عالم الأفلاك العالية ، والكواكب السامية ، مثل الشمس ، والقمر ، والكواكب الخمسة المتحركة ، والسبعة الثابتة ، وما به قوام أمر الأفلاك ، وانتظام عالم السموات ، وما يعرض لها وفيها من العوارض ، والأمور الخفية ، التي

بعضها يدركه البصر بدقة النظر ومنها ما يدركه بالقياس الصحيح ، والبرهان الصادق ، ومنها ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، ولا يصل إلى معرفة أفهام المخلوقين ، إلاّ من أطلعه الله عليه ، وأيده بالوحي ، مثل الأنبياء ، والمرسلين ، والأمناء الصادقين ، من المبلغين إلى العالم ما ألقته إليهم الملائكة المقربون ، فبالبرهان قد بان أن الرؤساء في عالم الأفلاك موجودون ، وما ينبعث منها من القوى الروحانية ، والأنفس السارية في الأركان ، والأمهات ، والمواليد ، كل بحسب ما جعلته فيه ، وأمدته به النفس الكلية ، بالمشيئة الإلهية ، والحكمة الربانية ، وأن هذه الأرواح المدبرة للعالم بما فيه ، الموكلة بإنشاء مواليده ، ونظام حركاته ، واعتدال أقسامه ، وصحة نسبته ، هي ملائكة الله عز وجل وجنوده ، لا يعلم عدتهم إلاّ هو .

وكذلك الجسد لا يتم أمره ، ولا يقوم حاله ، إلا بما فيه من الآلة المعدة ، والمهيأة لقبول آثار الحياة ، التي هي القلب ، والكبد ، والطحال ، والرئة ، وما فيه من الأعضاء التي بصلاحها صلاحه ، وبفسادها فساده . وهذا صحيح ، لا يشك في معرفته من له أدنى مسكة من العقل . فأما جملة العالم بأسره ، الحي الناطق ، والمشتملة الصورة الإنسانية ، هو ايضاً بالجمع إذا شمله دين واحد ، وعبادة واحدة ، وقد صار كله تحت أمر رسول واحد ، ودين واحد ، فلا بد أن يكون فيه وجود رؤساء يقومون بأمره ، ويدبرون حاله ، كالأنبياء أصحاب الشرائع ، الظاهرين بالأمر والنهي ، وإقامة الحدود ، ووضع الأحكام ، وهم أمثال الحواس الظاهرة ، مثل الأذنين ، والعينين ، والأنف ، والفم ، إذ كانوا ينطقون بالحكمة ، ويدركون حقائق الأشياء ، بدقة النظر الصادق ، ويستمعون من الملأ الأعلى بالآذان الواعية ، ويتنسمون روائح الحكمة بالمشام السالمة ، فهم يستنشقون بها ، من الأرواح الطاهرة ، روائح الملكوت الأعلى .

وأما الرؤساء الذين هم أمثال القلب ، والكبد ، وما ضمه البدن ،

وستره الجوف وضمه الصدر ، فهم المستخلفون في شرائع الأنبياء ، إذا ذهبت الأنبياء ، تركوهم لهداية الأمة، واقاموهم مقام الائمة ، فهم توابيت الحكمة المستورة الذين عندهم خفيات مرامي الأنبياء ، وأسرار ما نطقت به الحكماء ، فهم رؤساء ظاهرين بأجسادهم الظاهرة ، باطنون بعلومهم الفاخرة .

ومن تحركات الأفلاك ودوران الكواكب عند اعتدال المزاجات يستوي نظام العالم ، وتنتشر السعادات ، كذلك الإنسان ، إذا اعتدل مزاج قلبه ، وصفا لبه ، وبرىء من الأكوار ، أخصب بدنه ، ونما ، وفرحت نفسه ، وانبسطت في حفظ العلوم ، وإدراك الحقائق من الخفيات .

ومن مقارنة دوران الأفلاك في سعودها ونحوسها ، يمكننا أن نطابق حال الإنسان في سعادته وضعفه وانهياره ، وسكون حركته مثلاً بمثل ، لأن أمور الدنيا مبنية على امور الدين و مطابقة لدوران الأفلاك وان جميع ما في عالم الدين مثالات وعلامات ودلالات تنطق بتوحيد الله وقدرته وسلطانه .

ومن الثابت علمياً ومنطقياً أن للأفلاك والكواكب في دورانها وتنقلها وحركاتها وقراناتها الكائنة ، أحكام ودلالات ، وعلامات وحسابات دقيقة ، مرتبطة بما يجري في عالم الطبيعة وعالم الدين ارتباط العلة بمعلولها ، على النسبة الفاضلة بموجب الحكمة ، ومقتضى العدل ، حيث اوجد الله سبحانه وتعالى الروحاني والجسماني ، وربط بعضهم ببعض وأحوج بعضهم إلى بعض ، وخلق الأرواح اللطيفة وقرنها بالهياكل الكثيفة ، لما له في ذلك من المشيئة ، وكان من ذلك الذي هو بداية الخلقة ، وأول الفطرة ، الإبداع الأول التام ، المعطي صورة التمام والكمال ، مجموعة فيه الأشياء بالقوة ، وبه تتم إذا صارت في حد الفعل ، يعطيها التمام والكمال . وهو التام الكامل بأمر مبدعه ، وهو الروح القدس ، ثم كانت النفس ، فكانت بالنسبة إلى العقل الأول ، دونه في الرتبة ، والمنزلة ، في القرب من الله ،

فكان العقل واسطة بين الله وبين النفس ، وصار العقل روحاً لها ،وصارت له بمنزلة الجسد ، وارتبطت به ارتباط العلة بمعلولها ، وقبلت منه آثاره ، واتحدت بها أنواره ممدة لها ، وكانت الهيولى الأولى منبعثة من النفس ، وكانت دون النفس وجسماً لها ، وكانت الهيولى أبسط من الطبيعة وألطف ، لقرب نسبتها من النفس ، وهي أصل تراكيب الأفلاك العالية ، والسموات السامية ، وما فيها من الملأ الأعلى ، ولذلك قيل أن الفلك ، بما فيه ، طبيعة خامسة ، وكانت الطبيعة التي هي سبب مواليد الكائنات ، وأصل تراكيب أجساد الحيوان والنبات ، أشد كثافة ، وكانت الهيولى الأولى روحاً لها ، ونفساً تمدها بقوى روحانياتها ، السارية فيها ، المرقية لها من حال النقص إلى حال التمام والكمال ، بمواد النفس الكلية ، وإتصالها بها على الدوام بتأييد العقل ، فإرتبطت الأشياء بعضها ببعض ، وصار الأول للثاني كالنفس ، لسبقه إياه بقرب النسبة من الخالق ، والثاني كالجسم له لتأخره عنه ، فلذلك قيل بهذا البرهان إن جوهر النفس متقدم الوجود على جوهر الجسم وإنما وجبت لها التقدمة بقرب النسبة من الله والعقل ، وبعد الجسم وجب لها الفضل وإذا اعتبرنا حال فضلها على الجسم ، وجدناها معطية للجسم صورة التمام ، وبكونها معه يلزمه اسم الحياة ، والحركة ، والانبعاث ، بظهور الفعل ، وبعدمها يلزمه اسم الموت والنقص ،والكون في المحل الناقص ، . ولما كانت هذه الموجودات عن الباري ، مرتبة على هذا الترتيب ، موزونة بميزان العدل والحق ، كان الأمر الذي يعمها كلها ، الذي من اجله وجدت ، وبه كانت ، وكان الغرض الأقصى ، والمنزلة العليا ، هو عبادة الله ، والإقرار بتوحيده وتنزيهه عن جميع ما في مبدعاته ، وصفات مخلوقاته .

ولا وصول إلى معرفة الله وعبادته ، وطاعته ، ، إلاّ بالدين ، الذي قام بأمره ونهيه أشخاصاً إنسانية ، وصوراً آدمية ، وكانوا يأتون الواحد بعد الواحد ، في زمان بعد زمان ، مثالاً لحركات الكواكب والأفلاك في أدوارها وأكوارها ، فكان أولهم آدم ، وكان مثله مثل العقل ، إذ كان أول البداية

الجسمانية ، والخلقة التركيبية الإنسانية ، وأول من نطق بأوامر الناموس ، وأقام الشريعة ، واتحدت به انوار العقل ، ولطائف النفس ، وتأييد المبدع . ولذلك وجب أن تكون صورته صورة كل من أتى من ولده وجاء من بعده من نسله ، وكانوا مجموعين فيه بالقوة ، ولذلك دعي بأسمه كل من جاء من بعده به ، ونسب اليه ، وانتسب إليه بالولادة الجسمانية ، والشريعة الناموسية ، وكانت له درجة السبق والقرب من أمر الله ، ولذلك قال إنه خلقه بيده ، وأسجد له ملاكئته ، وأسكنه جنته . ولما كان آدم أولاً بالقوة ، وانه البداية بعد دور الكشف الأول ، وأول الدور الثاني المخالف حكمه لحكم الأول ، إذ كان هو النشأة الثانية عند أوان زوال دور الستر ، وقدوم اشراط العرض الثاني ، كان العقل المؤيد له بالقوة ، هو قوة متحدة بالنفس ، والنفس قابلة لها قبولاً يبعثها به إلى حد تنزه به عن التركيب والتأليف ، وجمع الكثيف باللطيف ، ويأتي ذلك لميلها إلى الطبيعة وحبها للشهوات الجسمانية ، واللذات الموجودة في المكان والزمان الموجب لها ما هي عليه ، ولذلك اشتاقت نفس آدم إلى ما اشتقات إليه من حب الرياسة ، والاطلاع على ما نهي عنه .

ولذلك وجب أن يكون آدم ذا شريعة ضيقة العلم ، حرجة التكليف ، قليلة الخيرات ، عقوبة لآدم لما كان منه من الخطيئة ، وخروجه من الجنة ، ومقارنته بعدوه ، وهبوطهما جميعاً معاً ، وما كان بينهما من العداوة والبغضاء .

ولما كانت حكمة المبدع اقتضت ان يكون دور الستر قليل الفوائد ، إذ كانت أموره جارية على العداوة والخلاف والمنازعة ، وكان الأمر على ذلك مدة دور آدم ، إلى أن أعقبه الشخص الثاني ، وزادت القوة ، وظهرت إلى حد الفعل ، وعطف الأول على الثاني ، عطفة الأمر ، فأشرقت النفس ، وامتدت القوى ، فأنبعثت الملائكة بالوحي من السماء ، فأتصلت بالشخص الفاضل نوح ، وقام بالأمر والنهي الجديد الثاني ، وجاء وقت القران المائي .

ودام أمر نوح ، الذي قام بأمر الباري المدة المقدرة له ، ودار الدور الثالث ، وزادت القوة ، وظهرت إلى حد الفعل ، وعطف الأول على الثاني فكان الأمر الثالث المتصل بإبراهيم ، الذي أذن في الناس بالحج ،وصار أصل النبوة ، ومقر الكلمة الباقية في عقبه ، وجعل الله النبوة والامامة في بيته ، ثم مضى دوره . ودار الدور الرابع واتصل الأمر من الأول بالثاني ، وأمده بالأمر ، فنطق بالقول ، فوصل إلى الحد المتحد بدرجة الأنبياء ، فهبط الروح الأمين بالوحي ، واستخلص الشخص الطاهر ، فقام في البقعة المباركة عند جانب الطور الايمن ، في الوادي المقدس ، موسى ثم كانت الدورة الخامسة فبعث عيسى المسيح مؤيداً بروح القدس ، ثم دارت الدورة السادسة فكان محمد الذي لا يزال أمره متصلاً بعضه ببعض ، حتى تدور الدورة السابعة ويستأنف دور الآخرة ، وتجتمع الستة مع السابع في درجة واحدة ، كأجتماع الكواكب الستة مع الكوكب السابع في أول درجة من برج الحمل ، حيث تظهر أحوال القيامة ، وتتغير امور الدنيا ، ويأتي الله باليوم الجديد .

وفي اعتقاد علماء دعوة اهل الحق ان القيامة كائنة اذا استولت الكواكب النارية ، كما كان حدوث طوفان الماء في زمان نوح بأستيلاء الكواكب المائية ، ولما كان انتظام أمر الأفلاك وعالم السموات ، وما فيها من الملائكة ، وما يحدث من الأمر فيهم ، وما يكون منهم من العبادة بحركة هذه الكواكب السبعة في البروج الاثني عشر ، كذلك كان أمر العالم السفلي ، والخلق البشري ، وما يكون منهم من العبادات بمجيء الرؤساء السبعة ، ومن صحبهم ، وخلفهم من بعدهم من أهل بيوتاتهم ، الذين ورثوا حكمهم ، وفازوا بنعمهم . وبذلك البرهان الجلي على أن امور الدين موافقة لأمور الخلق ، وأن صاحب الدور السابع خاتم الأدوار الذي به يتم الخلق ، فيفتح أولاً في دار الطبيعة باب الجزاء ، وفي الآخرة ثانياً ، وهو النفخ الأول .

ويمكننا أن نستنتج في ضوء هذه الآراء الحقانية أن الكور يعني عالم الكشف ، والاظهار ، وهو عهد ما قبل دور آدم الناطق الأول ، والكور يستأنف حيث ظهور الناطق السابع القائم المنتظر ، أما الدور فهو المدة التي تكون بين كل ناطق وناطق مثل ما بين آدم ونوح ، ونوح وابراهيم ، وإبراهيم وموسى ، وموسى وعيسى ، وعيسى ومحمد ، وما بين محمد ووقت ظهور القائم المنتظر الناطق السابع ، وتدعى هذه الأدوار بالأدوار الصغيرة ، أما الدور الكبير فهو الذي يبتدىء من آدم وينتهي بظهور القائم المنتظر .

ولقد جعل أهل الحق لكل دور من الأدوار المذكورة رسول ناطق وأساس أو إمام مقيم له ، مع سبعة أئمة يكون سابعهم متم الدور ويتمتع بقوة تعادل قوة الأئمة السبعة في دوره ، ويمكن زيادة عدد الأئمة عن سبعة في ظروف اخرى، وفترات استثنائية ، وهذه الزيادة تحصل في عدد الائمة المستودعين لا في عدد الائمة المستقرين . أما الأدوار فقد جعلوها على نوعين : صغيرة وكبيرة ، فالدور الصغير هو الفترة التي تقع بين كل ناطق وناطق ويقوم فيها سبعة أئمة . أما الدور الكبير فيبتدىء من بدء الخليقة ، أي منذ وجود آدم إلى قيام القائم المنتظر الذي يسمى دوره بالدور السابع ، فيكون بنفس الوقت متماً لعدد النطقاء ، الستة بإعتباره السابع الذي ينهي الدور الكبير ، ويكون أساساً لدور جديد .

المفتاح السادس

« الجنة والنار »

إن كافة المذاهب والأديان السماوية التي عرفها البشر منذ وجود الإنسان الأول أوجدت في صميم معتقداتها الجنة التي خصصت للمؤمنين والتي وصفهاالباري سبحانه وتعالى في كتبه وذكرها الرسل والأنبياء في تعاليمهم وارشاداتهم وتشريعاتهم على انها المكان المناسب الذي أعد للصالحين المؤمنين ليظلوا خالدين فيها إلى أبد الآبدين .

أما النار فقد وصفها الباري سبحانه وتعالى بأنها وجدت وأُعدت لتعذيب الكفار والعصاة والمخالفين في خندق من النار على قدر ما ارتكبوه من مخالفات ، وفسق وفجور ، وما اعتقدوه من آراء فاسدة ، وتمرد على التعاليم السماوية القدسية .

ولقد أولى جماعة أهل الحق هذه الناحية العقائدية الهامة جل اهتمامهم فعالجوها على ضوء العلم ، والمنطق والمعرفة ، معتمدين فيما ذهبوا إليه على ما ورد في الكتب السماوية المقدسة ، وعلى ما شرعه الأنبياء والرسل ، وقالت به الفلاسفة والعلماء .

ويذهب جماعة أهل الحق إلى أن من يعتقد بأن الله الرحيم الرؤوف الحنان يعذب الكفار والعصاة ، في خندق من النار غيظاً عليهم ، وحنقاً ، وكلما احترقت أجسادهم وصارت فحماً ورماداً ، عادت فيها الرطوبة والدم لتحرق من جديد . فهذا الاعتقاد يؤلم النفس ، ويجعل الانسان يسيء الظن برحمة الله وحنانه ، وعفوه، وغفرانه . فليس في رأيهم واعتقادهم هنالك على رأسهم ابليس ،خلقهم الله ليسلطهم على عباده ، يناصبونهم

العداء والبغضاء ، ويفعلون ما يريدون ، وإنما هو الإنسان ، اذا بلغ أشده ، وعقل الأمور ، وفهم وصايا الله ،ووعده ، فأهمل أمر الدين ولم يتعظ ، وانصرف إلى شهواته وملذاته ، وساءت سيرته وأعماله ، كانت نفسه شيطانية بالقوة . فإذا فارقت جسدها عند الموت ، صارت شيطانة بالفعل ،. وذلك انها سلبت بموتها الحواس الخمس التي كانت تتناول بها ملذاتها الجسمانية ، فصارت ممنوعة عنها ، بعد ما اعتادتها في الماضي من عمرها ، فلا هي تستطيع الرجوع اليها ولا هي تبلغ النعيم لتستغني عنها ، فيكون عذابها في شوقها الى شهواتها الجرمانية ، وتبقى هائمة في الجو دون فلك القمر ، وتطرح بها أمواج الطبيعة في بحر الهيولى الى كل فج عميق ،وهي مشتعلة بنيران شهواتها ، وتكون معذبة بذاتها من وزر سيئاتها وسوء عاداتها الى يوم القيامة الكبرى . فهذه هي جهنم الكفار والأشرار والفساق .

وبعد أن رسموا هذه الصورة للنار كما يفهمونها نراهم يعتقدون بأن صفات الجنة التي وعد الله سبحانه وتعالى فيها عباده الصالحين المؤمنين ليست كما يصورها العامة ، بأن الأجساد تكون فيها لحمية ، والأجسام طبيعية مثل أجساد أبناء الدنيا ، قابلة للتغير والاستحالة ، متعرضة للآفات . وما شاكل الأوصاف المذكورة في بعض الكتب المنزلة التي لا تليق بالأجساد اللحمية والأجسام الطبيعية .

وليست الجنة بأعتقادهم مثل من يعتقد أنه يباشر فيها مع الأبكار ويلتذ منها ويزيل البكارة ، ثم تعود البكارة . ومثل من يرى أنه يشرب الشراب في الجنة ويكون الرب ساقيه ، ومثل من يظن أنه يتمنى في الجنة الطيور المشوية الحاصلة عنده ، فيحصل عليها بعد تمنيه في الحال ، ثم يأكل منها حتى يشبع ، ثم بعد ذلك تطير الطيور كما تطير في حال الدنيا . ومثل من يعتقد أن الانسان إذا مات بطلت نفسه ووجودها . ومثل من لا يرجو الجنة إلاَّ بعد خراب السموات وطيها كطي السجل للكتب . ومثل من يعتقد ان الكواكب تتناثر وتتساقط في القيامة . ومثل من يرى أن

أعمال الانسان تجعل في كفتين من كفتي الميزان . ومثل من يعتقد سؤال منكر ونكير في القبر من جسد الميت . ومثل من يرى أن في الجحيم تنانين وثعابين وأفاعي يأكلون الكفار والفساق ، ويصيرون أحياء بعد ذلك ، وما شاكل هذه من الاعتقادات المؤلمة لنفوس معتقديها . مع أن جميع ما نطق به الأنبياء من صفة الجنة ونعيم أهلها ، وعذاب النار والعقاب واحوال القيامة كلها حق وصدق لا مرية فيها ، ولكن ليس الأمر كما يعتقد هؤلاء بل أمر وراء ذلك لا يعلمه إلاَّ الله والراسخون في العلم .

فالجنة التي وعد الله عباده فيها لن يدخلوها بأجسادهم اللحمية الطبيعية المعرضة للفساد والتلف بعد الموت ، فإذا أصاب الأجساد البشرية الموت ، وفارقت النفوس أجسادها كانت ملائكة بالفعل ، وهذا يعني الجنة لأصحاب النفوس المؤمنة الخيرة التي تكون في عالم الكون والفساد ملائكة بالقوة ، أما النفس الشريرة فهي شياطين بالقوة ، فإذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل . وهذه النفوس الشيطانية بالفعل هي التي توسوس للنفوس الشيطانية بالقوة ، لتخرجها إلى الفعل لقوله تعالى : ﴿ **شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾ وهذه هي النفوس المتجسدة الشريرة التي آنست بالأجساد ، وشياطين الجن هي النفوس المفارقة للأجسام المحتجبة عن الأبصار .

ويرى علماء أهل الحق ان هناك ثماني جنات ، كما وصفها القرآن : وهي : جنة الفردوس ، وجنة النعيم ، وجنة الخلد ، وجنة المأوى ، ودار السلام ، ودار المتقين ، ودار المقامة ، ودار القرار ، ومن خلفها كلها عرش الرحمن . ويعتقدون بأن الشياطين هم سكان النيران ، وهي على سبع طبقات : جهنم ، الجحيم ، سقر ، لظى ، حطمه ، سعير ، هاوية .

ويعتبرون الرتبة الإنسانية هي آخر طبقة من جهنم ، وهي أول درجات أبواب الجنان ، فمتى خرج الانسان من عالم الكون والفساد طلب الصعود الى عالم الأفلاك وفسحة السموات ، والدخول في زمر الملائكة

الذين هم سكان الجنان ، وعاش عيشة السعداء ، وآمن من الموت إلاّ الموتة الأولى . وان انحرف وطلب الأمور الدنيوية،رد إلى أسفل سافلين ، وظلت نفسه في البرزخ الى يوم يبعثون .

ولا بد لنا ونحن نتحدث عن رأي أهل الحق في الجنة والنار من الاشارة إلى ما قاله الداعي الحقاني الفيلسوف (أبو يعقوب السجستاني) في كتابه الينابيع[1] حول معنى الجنةوالنار : « الجنة والنار لفظتان تقتضيان معنيين : احدهما لأهل الثواب ، والآخر لأهل العقاب . واذا نظرنا في كل واحد من هاتين اللفتظين فيها يقتضيه في المعنى . وجدنا أن الجنات تقع على اسم البستان الذي هو مزين بالأشجار المثمرة والرياحين الطيبة ، والمياه الجارية ، لكي يكون للحس فيها سكون وراحة ودعة . كذلك العلوم والفوائد العقلية والنفسية إنما هو بستان التمييز ، قد زين بالنطقاء ، والأسس والأئمـة ، واللواحـق ، وبعـلومهـم الجـاريـة من قـبلهـم وبحكمهم الطيبة الشهية ، التي تكون للصور الخفية فيها سلوة وسرور ، وراحة وأنس ودعة ، غير أن علومهم الجارية ههنا انما هي علوم مشوبة بألفاظ وعبارات ، لا ينبىء عن هويتها إلا الوقت المقدر لها . فإذا بلغت غاياتها واستقرت في هويتها ورمت بثقلها ، استقرت بأحسن هيئة ، وأشرف رتبة . . .

وأما النار فإنها مستعملة في صلاح المعيشة وطبخ الأشياء النية ، غير انها تفسد الصور الطبيعية وتجعلها مجهولة بحيث لا توقف على صورة ذي صورة . كذلك الشرائع الناموسية المعراة من العلوم ، مستعملة لاصلاح العالم الطبيعي وقوام الخلق بها ؛ غير ان الاصطلاء بها والاستعمال لها يفسد الصورة اللطيفة ، ويوقع الشبهة والالتباس ، واذا برزت بهويتها ، تراها في غاية الايلام للانفس المتعلقة بها ، ومثلها كالسموم القاتلة التي

---

(١) كتاب الينابيع للسجستاني تحقيق مصطفى غالب منشورات المكتب التجاري صفحة ١٢٨ .

وجدت لصلاح الخلق في بعض الأوقات، فإذا داوم عليها الانسان أفسدت حياته وقطعت عنه لذات العالم الحسي . . . » .

وخلاصة رأي السجستاني أن الجنة في اعتقاده هي المعرفة بجوهر الشريعة والدين عن طريق العلم وسبر اعماق الحقائق الكامنة خلف كل ما جاء به الرسل والأنبياء ، وما ورد في الكتب السماوية . فالنفس التي تعرف جوهر الحقائق لا تمل من تلقي العلوم لأنها غذاء لروحها ، فهي جنتها اليانعة التي تمور بالثمار والفواكه الحلوة اللذيذة .

ويرى أن النار تفسد الصور الطبيعية ، وتجعلها مجهولة غير معلومة الصورة ، مثل الشرائع الناموسية الظاهرة المجردة من العلوم ، والمتعلقة بإصلاح العالم الطبيعي ، فالأعتماد عليها وحدها يفسد الصورة اللطيفة ، ويوقع الشبهة والإلتباس ، واذا ظهرت على حقيقتها فهي تؤلم النفس وتحرقها .

أما الفيلسوف الحقاني احمد حميد الدين الكرماني فإنه يبحث ماهية الجنة والنار عن طريق الفلسفة العرفانية الماورائية معتمداً على الابداع والانبعاث والعقول ، فيحلل بدقة وسلاسة ، ويناقش بعمق ومعرفة ، ماهية الجنة والنار ، وهل هي واقعة على الأجساد اللحمية أم أنها واقعة على النفس الانسانية بعد مغادرتها الجسد الذي عاشت فيه أبان وجودها في عالم الكون والفساد .

ففي اعتقاد الكرماني ان ما يكون وجوده في الآخرة فهو من جهة العقول الابداعية ، والانبعاثية ، بما يسري من روح القدس في الأنفس الحاصلة من حضانة التعليم بظهور النفس الزكية صاحب الدور السابع في العالم الطبيعي واستكمال الأسباب ، أسباب السعادات ، له طبيعياً وملكوتياً قياماً بحكم العلم بكل صورة بما لها وعليها ، بحسب ما جرى به الحكم من جهة الله في دار حكمته مثلاً بمثل ، فيسعد السعيد ويشقى الشقي .

أما الصفات والصور التي صورت بها الجنة والنار في القرآن على انها من الأمور المحسوسة المعلومة المدركة بالآلات المتهيأة لتقرب على افهام العامة معرفة هذه الصفات فيرغبوا فيها عن شوق ورغبة ، ويحذروا من النار والعذاب والآلام ، ليست من الأمور المحسوسة لأن تلك الأمور الموصوفة تقريب على الأنفس وتعليم لها لتتقوى بمعرفة الأمثلة على ايجاب الأمثال لها ، على نظام واحد فيحصل لها بذلك نور حياة يستكمل عند المفارقة وهو غاية الاستطاعة في الابانة ، بل الأمر فيما يكون عذاباً للأنفس أعظم مما يوازيه عذاب في الدنيا أو يقابله ألم من الآلام ، وفيما يكون ثواباً أعظم مما يوازيه نعيم في الدنيا[1] .

ويخلص من تحليله الى القول بأن الجنة موصوفة بالسرمد والأبد ووجود الملاذ فيها أجمع ، وأنها لا تستحيل ولا تتغير ، ولا يطرأ عليها حال ولا تتبدل ، والذي بهذه الصفة هو النهاية الأولة من الموجودات عن المتعالي سبحانه ابداعاً خارج الصفحة العليا من السموات المعرب عنها بسدرة المنتهى الذي هو المبدع الأول الذي هو المحرك الأول الموصوف بالأزل وعلة العلل والمنبعث الأول ، وجميع الملائكة المقربين الانبعاثية ، واليه يتحرك كل متحرك ويشتاق اليه كل موجود متأله ، وأسماؤها كثيرة بحسب مراتبها حول العرش ، وأنها دار القدس ، إلا أن جنة المأوى هي مأوى المثابين من العقول المنبعثة من دار الطبيعة والأنفس العاقلة المتخيلة ومجمعهم ، وفيها المتقون الذين تعمقوا في العلم التوحيدي العرفاني الذي تأزلت فيه العقول الابداعية ، وتسرمدت وتأحدت ، فمثلها مثل أمر الجنة التي وعد بها سبحانه وتعالى .

أما النار التي يعتبرها الكرماني مغيرة للأمور الطبيعية ، تفرق وتنقض المباني ، فقد جعلت مصيراً للأنفس الخبيثة التي تخالف أمر الله ، وتكذبه وتترك العبادتين العلمية والعملية وتخل بهما أو بواحدة منهما .

---

(١) راحة العقل للكرماني تحقيق مصطفى غالب منشورات دار الاندلس صفحة٥١٩ .

المفتاح السابع
« الفترات والقرانات »

تعتبر معرفة الفترات والقرانات من العلوم الماورائية الإلهية المتعلقة بدوران الأفلاك والكواكب وتأثير هذا الدوران والتحرك على العالم العلوي والسفلي وعلى الموجودات في عالم الكون والفساد ، وفي عالم الدين الذي يوافق ويطابق العوالم كلها التي أوجدها الله سبحانه وتعالى ورتبها ونظمها وجعلها مماثلة لجسم الإنسان البشري الذي ظهرت جثته كما يقول أهل الحق والطالع العذراء بقوة تأثير الأصلين الذين هما كما ذكرنا في المفاتيح السابقة العقل الأول والعقل الثاني ، أو الموجود الأول والموجود الثاني ، أو المبدع الأول والمنبعث الأول ، يعني السابق والتالي ، الذين كانا سبباً لوجود آدم الروحاني وزوجه في الروحانيين ، وسبب وجود الطين . فخلق من ذلك جميع الموجودات في الأرضين والسموات .

ولقد جعل فلاسفة أهل الحق في كتبهم وأبحاثهم وعقائدهم البشر نتيجة الفلك ، ثم كان من بعد ذلك الازدواج ، والتناسل ، من الذكر والانثى ، من كل زوج ليبقى الجنس إلى الوقت المعلوم ، الذي في مثله يكون فتور الأفلاك ، وسكون الجنس باجتماع الكواكب في الحمد ، وهلاك سائر الحيوان .

وضربوا لذلك مثلاً بسير الشمس وإصلاحها ، وإفسادها عند معادها في رؤوس البروج المنقلبة . لأنها في رأس الحمل اظهرت الأشجار ثمارها ، وفي رأس السرطان يتم نضوجها ، وفي رأس الميزان يبدو تغيرها واندثارها ، وفي الجدي فسادها وحصادها ، ثم يبدو صلاحها .

وكذلك ، إذا عادت الكواكب بعد افتراقها من اجتماعها ، وحلت بيوت شرفها ينشأ العالم نشوءاً جديداً ، كما ترجع الصور التي لها في الفلك صوراً روحانية ، وتبقى على ما كان في الدور الماضي . وهو من ستة وثلاثين ألف سنة إلى ان يكمل عشر دورات للكواكب الثابتة في ستة وثلاثين ألف سنة فيتم ثلاثمائة ألف سنة وستين ألف سنة ، وافياً بلا نقصان .

وقد ذكر جماعة أهل الحق ان الجن خلقوا من قبل هذه الجثة ، من الحرارة واليبوسة ، التي هي النار . وأسكنوا الأرض ، فأقاموا ثلاثمائة ألف سنة وستين ألف سنة ، ثم كان الإنسان والحيوان . ، فالإنسان من الأرض ، والطبائع ، و سينقرض ذلك بعد تمام الكور ، ويبدو خلق جديد في كور جديد .

وجعل فلاسفة أهل الحق الكواكب المدبرات لعالم الكون والفساد ، سبعة أملاك بتجاسدها حدوث القرانات ، وعندما تجتمع جميعها في الحمل يكون الكور الأعظم ، الذي هو ثلاثمائة ألف سنة ، وستون ألف سنة . ثم يكون القران الاكبر ، وهو خمسون ألف سنة دور الكشف ، ثم القران الأصغر ، وهو سبعة آلاف سنة ، دور الستر ، من قيام آدم والنطقاء من بعده إلى القائم المنتظر الناطق السابع ، فكل دور ناطق تسعماية ، ويتلو هذه القرانات الثلاثة القران المتردد، وهو بإقتران الكوكبين العلويين بحكم المثلثات . وذلك مائتان وأربعون سنة . وقران زحل والمريخ في برج لثلاثين سنة . وقران زحل والمشتري في كل عشرين سنة كرة واحدة . ثم قران اصغر هو اجتماع النيرين قبل دخول الشمس أول دقيقة في الحمل لكل سنة شمسية ، ودونه قران وهو مجاسدتهما في كل شهر عربي كرة .

ويرى بعض علماء دعوة أهل الحق أن مدة الدور خمسون ألف سنة ، وأن دور القائم المنتظر مع ولده خمسين ألف سنة دور كشف ، ودور الستر

بأعتقادهم سبعة آلاف سنة يحصل بين الدورين فترة مقدارها ثلاثة آلاف سنة ومن يتوفاه الله من الأئمة في هذه الفترة كان في افق العاشر .

ولقد أوجب أهل الحق استناداً على منطلقاتهم الفلسفية في الماورائيات أن يكون لكل كوكب من السبعة الأفلاك خمسون ألف سنة ، من جملة الكور الأعظم ، والابتداء منها لزحل ؛ وكل كوكب منها يرافده ألف سنة إلى أن يفي العدد سبعة آلاف إلى القمر فيبدأ العدد في سبعة اخرى كذلك إلى القمر . وعلى ذلك إلى أن يفيء دورة خمسين ألف سنة .

وكذلك للمشتري خمسين ، وللمريخ خمسين ، وعلى ذلك إلى خمسين للقمر فيوفي الكور. وابتداء دور زحل يجري التبديل والتحويل ، فيعود البر بحراً ، والبحر براً ، ويستحيل ما على وجه الأرض من المواليد .

ويبين علماء أهل الحق كيفية حدوث التحويل والتبديل فيقولون : لما كان الدور الأول الخمسين لزحل ، وكان على ما ذكرنا الحد من السبعة الأولة بألف منها ، وذلك سبب استحجار الأرض من جميع نواحيها على ما قدمنا ذكره وصلابتها .

فقد عمدت العناية الإلهية بقصد العقول الإبداعية ، إلى تأييد العاشر ومرافدته على ترتيب الفلك ،و جعلت زحل أعلى الكواكب ، إذ كان على وجه الأرض ومن فوقها عكساً لإثبات ما يراد إثباته ، وهو من تحت الأرض من أسفل الكواكب ، بعكس مايراد عكسه ، وذلك لبرودته ويبسه وبخسه ، وهو متولي كرة الأرض لأنها من جنسه ، فأحدث زحل في ألفه الذي اتحد به البرد المفرط ، واليبس والثلج المتراكم المفني ، وتكاثف البخار والدخان ، ونشأت الغيوم والضباب .

وأظلم الجو ، وصار الفعل فعل الزمهرير ، ونبعت المياه من الأرض ، وغزرت الأمطار ، وجرت الأنهار ، وغمر الطوفان الأرض على وجهها البسيط الأعلى ، وتلاطمت الأمواج ، وتدفقت إلى كل جانب ، فتقلقلت الجبال وتصدعت ، وتحللت واستتربت ، وتصدع وجه الأرض

وتشقق ، وخشن الشيء بعد الشيء ، فتمعدنت واستتربت وجهها لأنه كان في حال انعقادها ، فعمدت العناية الإلهية إلى جعلها من جميع نواحيها صلدة متحجرة ، متمعدنة بالأكلاس والرمل . فقبلت فعل ما يراد بها من التصدع ، والتشقق ، والتمعدن ؛ حتى اكتسى وجهها تراباً ، وصارت أودية وسهولاً ، وجبالاً وحزوناً .

وكان ذلك سبب اقتران الكواكب جميعاً في برج الحمل الذي هو أول البروج المنقلبة ، وشرف الشمس . وأول البروج وخروجها منه إلى بيوت أشرافها ، فكانت الشمس حينئذٍ في تسع عشرة درجة من الحمل ، والقمر في ثلاث درجات من الثور ، وصار هذان البرجان بشرف النيرين ، لكونهما في خط الاعتدال ، وكان زحل في إحدى وعشرين درجة من الميزان . والمشتري في خمس عشرة درجة من السرطان ، وهو ، أعني السرطان ، طالع العالم بأسره ، وهو بيت القمر ، والمريخ في ثماني وعشرين درجة من الجدي ، والزهرة في سبع وعشرين درجة من الحوت ، وعطارد في خمس عشرة درجة من السنبلة التي هي العذراء . فلما كان ذلك كذلك، واتحد زحل بالألف الأولة ، وحدث ما ذكرناه إلى وفاء الألف الذي أفسد ما على وجه الأرض من الأحجار .

ويواصل علماء أهل الحق سرد كيفية تنقل الأفلاك ودورانها وقراناتها وفتراتها بدقة في الألف الثاني الذي يرافد فيه المشتري لزحل ، وما ينتج عن هذا الترافد على وجه الأرض وكذلك في الألف الثالث الذي يرافد فيه المريخ زحل ، ثم الألف الرابع حيث ترافد الشمس لزحل ، وبعدها الألف الخامس الذي يرافد الزهرة زحل ، ويكون ابتداء الألف السادس ، المرافد عطارد لزحل ، وهو سادس الأفلاك الذي جمع قوى الجميع .

وحسب رأيهم كان فعل زحل كالسلالة في الخلقة ، وفعل المشتري كالنطفة ، وفعل المريخ كالعلقة ، وفعل الشمس كالمضغة ، وفعل الزهرة كالعظام ، وفعل عطارد كاللحم الذي هو التمام .

ومن الطبيعي بعد هذا الشرح عن قرانات الكواكب ودورانها يذهب فلاسفة أهل الحق الى تطبيق نظرية المثل والممثول على عالم الدين الذي كما أسلفنا يتألف من النطقاء الستة وأدوارهم وما في هذه الأدوار من أئمة مستقرين ومستودعين وحدود علوية وسفلية وحجج ودعاة . فيقابلون كل ناطق ودوره مع تنقلات الأفلاك المماثلة له حتى يصلوا في مطابقاتهم ومقارناتهم إلى الدور السادس الذي يسمونه دور الناطق السادس أي دور النبي محمد (ص) الذي يكون أساساً لدور الناطق السابع القائم المنتظر خاتم الأدوار الصغيرة ، وموفي الكور الكبير الأعظم الذي يكون بداية لكور جديد وأدوار جديدة .

أما الفترات في عالم الدين فتكون عندما يصيب الأئمة والدعاة الفتور عن تزويد الأتباع بالارشاد والتعليم والتأييد فيحتجبوا عن الانظار ويدخلوا في دور الستر والتقية .

ويمكننا على ضوء ما ذكرناه آنفاً أن نشير الى ان الفترة في عالم الدين هي المدة بين الناطق والناطق ، وربما كانت هذه الفترة اكثر من الف وخمسائة عام ، فالمفروض حسب الاعتقاد الحقاني ان تقسم مدة الفترة على الأئمة السبعة أصحاب الدور ، أي دور الناطق الذي وجدوا فيه ، فإذا اعطينا كل واحد من هؤلاء الأئمة السبعة مائة عام كان المجموع سبعمائة عام أي أقل من المدة المطلوبة ، ولما كان من المستحيل زيادة عدد أئمة الدور عن سبعة ، لذا اجاز علماء أهل الحق استناداً على دوران الافلاك وفتراتها وقراناتها وقوع الفترة في عالم الدين ، وهي مشتقة من الفتور ، أو الملل ، والاعياء ، حيث تلحق بالنفوس الجزئية الاعياء في العالم الجسماني فتعجز عن قبول التأييد خلال الفترة ويتولى أمرها أئمة الاستيداع حتى تزول فترة الاعياء ؛ وتظهر النفوس الزكية القابلة لرشف رحيق العلوم والتأييد .

الحلقة الثالثــة

« النبوة ، الإمامة ، الباب ، داعي الدعاة ، الداعي المطلق ، المأذون ، المكاسر »

المفتاح الأول
« النبوة »

اهتم جماعة أهل الحق اهتماماً كبيراً في عالم الدين فوجهوا اكثر أبحاثهم وعلومهم الباطنية والظاهرية الى النبوة وشرائطها ، وخصالها ، بإعتبارها أعلى درجة ، وارفع مرتبة ، ينتهي إليها حال البشر مما يلي رتبة الملائكة ، ولذلك ذهبوا في اعتقادهم إلى أن الأنبياء هم أطباء النفوس الذين ينقلونها بعلومهم وتشريعاتهم ومناهجهم إلى الكمال المطلق حيث ينالون السعادة في الدنيا والآخرة .

وأفرد جماعة اخوان الصفا وخلان الوفا الرسالة السابعة والأربعون من رسائلهم للبحث في ماهية الناموس الإلهي والنبوة ، وقالوا بلزوم توفر ست وأربعين خصلة من فضائل البشر ، فإذا اجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر ، في دور من أدوار القرانات ، في وقت من الزمان ، فإن ذلك الشخص يكون المبعوث ، وصاحب الدور ، والامام للناس ما دام حياً ، يؤدي الأمانة ، ويبلغ الرسالة ، وينصح الأمة ، ويدون التنزيل ، ويلوح بالتأويل ، ويحكم الشريعة ، ويوضح المنهاج ، ويقيم السنة ، ويؤلف شمل الأمة .

واذا ازفت ساعة وفاته ، وآن أوان نقلته ، بقيت تلك الخصال في أمته ، وراثة منه ، فإن اجتمعت في واحد من أمته فهو الذي يصلح أن يكون خليفته بعد وفاته ، فإن لم يتفق أن تجتمع تلك الخصال في واحد ، لكن تكون متفرقة في جماعتهم ، اجتمعت تلك الجماعة على رأي واحد ، وأئتلفت قلوبهم على محبة بعضهم بعضاً ، وتعاضدت على نصرة الدين ، وحفظ الشريعة ، وإقامة السنة ، وحمل الأمة على منهاج الدين ، دامت لهم

الدولة في دنياهم ، ووجبت العقبى لهم في اخراهم . وان تفرقت تلك الأمة بعد وفاة نبيها ، واختلفت في منهاج الدين ، تشتت شمل ألفتهم ، وفسد عليهم أمر آخرتهم ، وزالت عنهم دولتهم .

والرياسة عند اخوان الصفا نوعان : جسماني . وروحاني . فالرياسة الجسمانية في نظرهم مثل رياسة الملوك والجبابرة الذين ليس لهم سلطان إلا على الأجسام والأجساد بالقهر والغلبة والجور والظلم ، ويستعبدون الناس ، ويستخدمونهم قهراً في أصلاح أمور الدنيا وشهواتها ، والغرور بلذاتها وأمانيها .

وأما الرياسة الروحانية فهي برأيهم مثل رياسة أصحاب الشرائع من الأنبياء الذين يملكون النفوس والأرواح بالعدل والاحسان ، ويستخدمونها في الملك والشرائع ، لحفظ الشرائع ، وإقامة السنن والتعبد بالاخلاص ، والتأله برقة القلوب ، واليقين بنيل الثواب ، والفوز ، والنجاة والسعادة في المعاد .

وفي اعتقاد جماعة أهل الحق أنه ليس من علم ولا عمل ولا صناعة ، ولا تدبير ، ولا سياسة ، مما يتعاطاه البشر ، أعلى منزلة ولا أسنى درجة ، ولا في الآخرة أكثر ثواباً ، ولا بأفعال الملائكة أشد تشبهاً ، ولا إلى الله أشد قرباً ، ولا لرضاه أبلغ طلباً ، من وضع الشرائع الإلهية والساهرين على حفظها من التغيير والتبديل الذين يبينوا الحلال والحرام ، ويفصلوا الأحكام للخاص والعام .

والشريعة الإلهية بالنسبة لأهل الحق هي جبلة روحانية تبدو من نفس جزئية في جسد بشري بقوة عقلية تفيض عليها من النفس الكلية ، بإذن الله تعالى ، في دور من الأدوار والقرانات ، وفي وقت من الأوقات ، لتجذب بها النفوس الجزئية ، وتخلصها من أجساد بشرية متفرقة ، ليفصل بينها يوم القيامة ، معتمداً على ما ورد في التوراة والانجيل والقرآن وصحف الأنبياء .

وحتى تكون فضيلة واضع الشريعة تامة كاملة ، أوجبوا له اثنتا عشرة خصلة يجب ان يفطر عليها ، وهي :

الأولى : أن يكون تام الأعضاء ، قوية قوائمه على الأعمال التي من شأنها أن تكون بها ومنها ، ومتى هم أن يقضي عملاً أتى عليه بسهولة .

والثانية : ان يكون جيد الفهم ، سريع التصور لكل ما يقال له ويلقاه ، لفهمه على ما يقصد القائل به على حسب الأمر في نفسه .

والثالثة : أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ، ولما يسمعه ، ولما يذكره ، وبالجملة لا يكاد ينسى شيئاً منها .

والرابعة : أن يكون فطناً ذكياً ، ذا رأي يكفيه لتبين أدنى دليل ، حتى إذا رأى على شيء أدنى الدليل فطن له على الجهة التي يدل عليها الدليل .

والخامسة : أن يكون حسن العبارة ، يواتيه لسانه على ما في قلبه وضميره ، بأوجز الألفاظ .

والسادسة : أن يكون محباً للعلم والاستفادة منقاداً له سهل القبول ، لا يؤلمه تعب العلم ، ولا يؤذيه الكد الذي يلحقه .

والسابعة : أن يكون محباً للصدق وحسن المعاملة مقرباً لأهله .

والثامنة : أن يكون غير شره في الأكل والشرب والنكاح ، متجنباً للعيوب ، مبغضاً للذات الكائنة عن هذه .

والتاسعة : ان يكون كبير النفس ، عالي الهمة ، محباً للكرامة ، تكبر نفسه ، الطبع عن كل ما يشين من الأمور ويشنع ، وتسمو همة نفسه إلى أرفع الأمور رتبة وأعلاها درجة .

والعاشرة : أن يكون الدرهم والدينار وسائر أغراض الدنيا هينة عنده ، زاهداً فيها .

والحادية عشرة : ان يكون محباً للعدل وأهله ، مبغضاً للجور والظلم وأهله ، يعطي النصفة لأهلها ، ويرثي لمن حل به الجور ، ويكون مواتياً لكل ما يرى حسناً جميلاً عدلاً ، غير صعب القياد ولا جموح ، وان دعي إلى الجور والقبيح لا يجيب .

والثانية عشرة : ان يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل ، جسوراً مقداماً ، غير خائف ولا ضعيف النفس .

وبالأضافة الى هذه الفضائل ، أوجبوا على صاحب الشريعة أن يضع أول قاعدة يبني عليها سائر ما يعمل من تتميم الشريعة من القول والعمل ، وتكميلها من الأقاويل والأوامر والنواهي ومعاني تأويلها ، ومفروضات شرائعه ، وسنن احكامه ، وتدبير أمته ، وسياسة أهل مملكته في أمر الدين والدنيا . ويعتقد في نفسه علماً يقيناً ، ان للعالم مبدعاً قديماً حياً عالماً ، حكيماً قادراً ، قاهراً مريداً ، هو علة جميع الموجودات ، ومصرفها بحسب ما يليق بواحد واحد منها .

وعلى النبي أن يرى ويتصور موجودات عقلية مجردة من الهيولى ، كل واحد منها قائم بنفسه ، متوجه نحو ما نصب له من أمره ، وهم ملائكة الله تعالى وخالص عباده ، بهم تقع المراسلة والوحي والأنبياء ، ومن جهتهم يحصل التأييد.

ولا بد للنبي من الاعتقاد بوجودات نفسانية مجردة عن الأبدان تارة ، ومستعملة لها تارة ، ومتعلقة بها تارة ، وأنها نازلة من جثث الحيوانات بحسب ما يليق بواحد واحد منها من ادراك مأربها وتمكنها به . وان الأنفس بمفارقتها الاجسام لا تبطل ذاتها ، وخروجها من الأجسام لا يعني خروجها من قدرة الباري سبحانه وتعالى .

وعلى النبي أيضاً أن يرى أن كل واحدة من الموجودات منفردة بذاتها لا يصلحها ولا يفسدها إلا ما يتعلق بها من سوء أعمالها ، أو فساد آرائها ، أو رداءة أخلاقها ، أو تراكم جهالاتها . وان الباري اذا أمر الناس أمراً مكنهم منه وأزاح عللهم فيه ، فمنهم طائع لأمره ، ومنهم راكب

نهيه ، وان يجعل النبي لكل صنف من أصناف الطاعات والمعاصي جزاء من الثواب والعقاب ، ويعلم المأمورين والمنهيين عنه أنه اذا ما أتوه على بصيرة أوجب الأجر وقطع العذر .

ومن واجب النبي ان يرى للناس معاداً فيه مجازون بما أسلفوا من خير وشر وعرف ونكر ، وأنه قد جعل الى كل واحد تمهيد مثواه واصلاح مأواه ، فإن احسن فلنفسه ، وان اساء فعليها . وأن يعتقد بأن الدعاء الى الله تعالى أولى الأعمال بالثواب ، وأرفعها درجة عند المآب . وأن الدعاة الى الله هم اعلى الناس درجة ، وأرفعهم منزلة ، وأشدهم في الدعاء إلى الله تعالى حرصاً ، واكثرهم فيه دربأ وأوسعهم علماً ؛ وأعظمهم على الناس نعمة ، وأنطقهم بالصدق ، وألزمهم لمنهاج الحق .

واذا تحققت هذه الأفكار والمعتقدات في نفس النبي واضع الشريعة ، وتصورها في فكره كأنه يشاهد يقيناً لا شك فيه ، دعا عند ذلك اليها أهل دعوته الذين أرسل اليهم ، ويجتهد في تعليمهم ما قد اعتقده بالتصريح عنها للخواص من أهل دعوته في السر والاعلان ، غير مرموز ولا مكتوم ، ثم يشير اليها ويرمز عنها عند العوام بالألفاظ المشتركة ، والمعاني المحتملة للتأويل بما يعلقها الجمهور وتقبلها نفوسهم .

وعلى الناطق أن يراعي أهل دعوته ، ويتعرف على خبر كل واحد منهم ، من الصغير الى الكبير ، والذكر والانثى ، والحر والعبد ، والشريف والوضيع ، والعالم والجاهل ، والغني والفقير ، والقوي والضعيف ، والقريب والبعيد ، ليعرف اسم ونسب كل واحد منهم وصناعته وعمله وتصرفه في حالاته ، وما هو بسبيله من أمر معاشه ، وما هو الغالب عليه من الطبع الجيد والرديء ، والخلق الحسن ، أو السيء ، والعادات العادلة أو الجائرة ، حتى يثق بهم علماً ، ويتبين منازلهم ، ويستعين بكل واحد منهم في العمل المشاكل له ، ويستخدمه في الأمر اللائق به .

فإذا قاموا بموالاة بعضهم بعضاً بسبب حرمة الشريعة ، تأكدت

الألفة والمودة بينهم ، واجتمع شملهم ، واتفقت كلمتهم ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ وأصبحوا كرجل واحد وجسد واحد ونفس واحدة ، وصار واضع الشريعة لهم بمنزلة الرأس من الجسد ، وهم له كسائر الأعضاء ، وتصير قوة نفس النبي متصرفة في نفوسهم كتصرف القوة المفكرة في سائر القوى الحساسة . فيصدرون عند ذلك رأي واحد وقصد واحد وغرض واحد ، بقوة واحدة ، فيغلبون كل من رام غلبتهم ، ويقهرون كل من خالفهم وعاداهم ، وضادهم .

وبالأضافة إلى هذه المنطلقات الحقانية جعلوا من خصال النبوة الوحي ، واظهار الدعوة في الأمة ، ثم تدوين الكتاب المنزل بالألفاظ الوجيزة ، وتبيين قراءته في الفصاحة ، ثم إيضاح تفسير معانيه ، وبلوغ تأويله ، ووضع السنن المركبة ، ومداواة النفوس المريضة من المذاهب الفاسدة ، والآراء السخيفة ، والعادات الرديئة ، والأعمال السيئة ، والأفعال القبيحة .

فعلى صاحب الشريعة بذل كافة امكاناته لارشاد هذه النفوس وتشذيبها من تلك الآراء ، ومحوها من ضمائرها بالتعرض لعيوبها ، وذلك بالرأي الرصين ، والترغيب في جزيل الثواب ليوم المآب .

وعقائد أهل الحق في الأنبياء تتوضح بشكل جلي لأنها تعتبرهم من الناحية العملية والعلمية أفضل عقول عالم الطبيعة ، وأشرف الموجودات ، وأنبل حدود عالم الدين ، لأنهم أصحاب الشرائع الذين أرسل كل واحد منهم في دور من الأدوار الستة ، الى جماعة من البشر ليبلغهم القوانين الإلهية ، لذلك يعترفون بالأنبياء الستة الذين هم : آدم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، ويعتبرونهم معصومون عصمة ذاتية من كل خطأ روحاني يتعلق بوجودهم كأنبياء ، وان محمداً هو خاتم الأدوار الستة ، لذا اوجبوا طاعته واتباع ما شرعه وسنه .

والنبي الذي يسمونه بالناطق هو مفتاح جميع الألفاظ المنطقية المجسدة للفضائل العقلية والمركبات النفسية المخبرة عن صور الكائنات الفلكية ، وجميع السياسات الشرعية ، يقابله في العالم الروحاني السابق أو العقل الأول ، الذي هو مفتاح جميع الأيسيات الروحانية .

لذلك نلاحظ أن علماء أهل الحق اعطوا الناطق مركزاً قدسياً سامياً ، وجعلوه مثلهم الأعلى ، وأصل أول من أصولهم الأربعة الروحانية والدينية . لاعتقادهم أن الدين بما فيه من علم وعمل ، وبمن فيه من أئمة يدعون إلى التحقق بكمال العلم عن طريق العبادة العلمية الباطنة ، والى التحقق بكمال العمل عن طريق العبادة العملية الظاهرة ، وجد عن الناطق لأنه أصله من جهة التركيب ، وعن النبي وجد ايضاً الكتاب ، الذي سنت بموجبه الشريعة .

ولا بد لنا في نهاية هذا المفتاح من ايراد بعض ما قاله الفيلسوف الحقاني احمد حميد الدين الكرماني حول النطقاء من الناحية الفلسفية والعقلية في كتابه راحة العقل[1] : « ان انفس النطقاء هي عقول محضة ، لا تزال في بدء أمرها تصطاد المعارف من خارجها التي هي الآلات لها ، وتقتنيها حتى تستغني بما يشيع فيها من انوار عالم القدس عن مرافدة الحواس إياها ، فتصير النفس ، بعدما كانت مخدومة من جهة الحواس ، بأن تؤدي اليها المعارف ، خادمة لها بقوتها واتصالها بينابيع الضياء والنور ونظرها بما تصورته الى ذاتها ، بأن تريها قدرتها وقوتها ، فتؤدي ما تحققت في ذاتها ، وتزايدت قوى النفس في تصورها الى خارجها ، فتجعل القوة المشتركة التي هي المتخيلة التي كانت تقبل من الحواس صور المحسوسات وتؤدي اليها خدمة لها ، وهي أقرب الأشياء اليها ، متشكلة بصورتها .

وكذلك النطقاء ، ما أحاطوا به علماً ، ولمع في نفوسهم المقدسة صورته من عالم الوحدة ، واصطادوه بالمادة الممتدة اليهم من انوار الملكوت

(١) راحة العقل للكرماني صفحة (٢١٠ - ٢١١)

من المعارف ، وانعكس من داخل إلى خارج ـ أعني من ذات النفس ـ وتأوى الى الحس الذي هو خارجها ، وتمثل لهم ، فهو الحق اليقين الذي لا ريب فيه . وما لا ينعكس ، ولا يقوم في الحس ، فهو ، وإن كان لهم به ثقة ، فلا يقطعون به الحكم ، وينتظرون ما يحدث من القوة الإلهية ، من الانبعاث في ذواتهم ، اذ لا يتمثل لهم إلا عند تزايد تلك القوة وذلك يدخل في باب الوحي » .

ويذهب الكرماني في تحليله ومقارناته إلى ان الناطق في عالم الدين مثلاً للعقل الأول في دار الابداع ، كونه علة لوجود العقول الطبيعية بما أقامه من السنن والوضائع ، وبسطه من الحكم والشرائع في عالم الدين . والنبي أقامه الله تعالى هادياً لعباده إلى ما فيه صلاحهم من العبادة بالعلم والعمل ، وأيده بملكوته ، فأكمله ليرحم شعث نقصهم بكماله ويسد خلل عجزهم عن طلب مصالحهم دنيا وديناً بأفضاله ، ويتحمل عنهم أثقال الطلب في ذلك الذي يؤودهم ، ولا يكملون له بذواتهم ، فيرد بهم مناهل التعليم منة منه تعالى عليهم وطولاً ورحمة بهم . ولذلك أصبح الناطق مركزاً لعالم الدين أولاً ونهاية أولة عنه توجد الحدود القائمون فيه بدعوة الأنفس الى العبادة واقتناء الفضيلة .

ويعتقد الكرماني ان حدود عالم الدين وأركان الشريعة وجودهما عن الناطق الـذي به حياة الكل ، وحركة الكل ، كونه المركز الذي يدور عليه أمر الدين ظاهراً وباطناً . ولهذا كان النبي معصوماً ، لا يظهر منه امر منكر ، كونه تاماً مؤيداً فاضلاً ،يهدي الى بركات الله وعلم توحيده ، وما فيه النجاة لمن اخلص نيته في الله وعبادته .

وبعد هذا الاستعراض لاقوال جماعة أهل الحق في النبوة من الناحيتين العلمية والشرعية ، والاتيان على ذكر النطقاء الستة وأدوارهم لا بد لنا من القول بأن الفرق بين النبي والرسول ، هو أن النبي هو الواصل بالفناء في مقام الولاية ، الراجع بالوجود الموهوب الى مقام الاستقامة ،

متحققاً بالحق ، عارفاً به ، متنبأ عنه ، وعن ذاته ، وصفاته وأفعاله ، وأحكامه بأمره ، مبعوثاً للدعوة إليه على شريعة المرسل الذي تقدمه ، غير مشرع لشريعة ، ولا واضع لحكم وملة ، مظهراً للمعجزات ، منذراً ومبشراً للناس كأنبياء بني اسرائيل ، اذ كلهم كانوا داعين الى دين موسى ، غير واضعين لملة وشريعة ، ومن كان ذا كتاب كداود ، كان كتابه حاوياً للمعارف والحقائق والمواعظ دون الأحكام والشرائع . ولهذا قال الرسول عليه السلام : « علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل » ، وهم الأولياء العارفون المتمكنون ، والرسول ، هو الذي يكون له مع ذلك كله وضع شريعة ، وتقنين ، فالنبي متوسط بين الولي والرسول .

والرسول هو صاحب الشريعة والناطق بها ، وأكمل النطقاء الرسول المبعوث محمد فهو السابق الفرد الأول الذي تجلى الحق فيه . وهو مصدر كل وحي والهام للأنبياء والأولياء ، على السواء ، وشريعته خاتمة الشرائع ، التي وجدت لاسعاد البشرية في الدنيا والآخرة .

المفتاح الثانـــي
« الوصاية والإمامة »

تعتبر مرتبة الوصاية والإمامة المحور الأساسي الذي تدور عليه كافة العقائد عند أهل الحق خاصة والشيعة بصورة عامة ، ولكنهم لا يصرحون بهذا المعتقد علانية ، بل يرمزون إليه متخذين من نظرية الظاهر والباطن ستاراً لتحقيق ما يشيرون إليه .

والوصاية والإمامة احدى امهات مسائل الخلاف بين علماء الاسلام على اختلاف فرقهم . قد تاه فيها الخائضون ، واكثروا فيها القيل والقال ، والأخذ والرد ، مما أدى إلى انتشار العداوة والبغضاء ، والحروب والقتال ، وأبيحت بسببها الأموال والدماء ، وهي لا تزال باقية حتى يومنا هذا لم تنفصل عن صميم المعتقدات ، بل كل يوم يزداد الخائضون المختلفون فيها خلاف على خلاف ، وتتشعب فيها ومنها الآراء والمذاهب ، حتى لا يكاد يحصي عددها إلا الله سبحانه وتعالى .

ولما كانت الوصاية والإمامة على هذه الدرجة من الأهمية ، رأينا أن نعالجها على ضوء ما نملك من آراء وأفكار ، لكبار الفلاسفة والعلماء الذين أفردوا في كتبهم ورسائلهم اماكن خاصة أثبتوا فيها وجود الوصاية والإمامة واعتبروها ركناً أساسياً من أركان الدين تاركين للقارىء الحكم في هذه القضية الشائكة المعقدة .

ونلاحظ من خلال كتب أهل الحق بأن هؤلاء اعطوا الوصاية والإمامة مركزاً سامياً مقدساً ، وجعلوا من الوصي أو الإمام مثلهم الأعلى ، وزودوه بصلاحيات واختصاصات واسعة ، ومنحوه العصمة الذاتية .

ولقد جاءت الآراء الشيعية عامة عن الامامة واحدة ، منسجمة مع ما استنبطوه من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، ولكن جماعة أهل الحق خاصة يعتبرون الأئمة من حيث الظاهر من البشر ، يتعرضون لما يتعرض له الانسان في الحياة الدنيا من موت وحياة وغنى وفقر ، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون على الأئمة ، بعض الصفات والمناقب القدسية العالية ، كوجه الله ، ويد الله ، وجنب الله ، وحجة الله ، وهو الذي يحاسب الناس يوم القيامة الكبرى . وهو الصراط المستقيم ، والذكر الحكيم ، وإن إمام كل دور من الأدوار الصغرى يحاسب أهل دوره .

ولنستمع الى الداعي علي بن الوليد وهو يتحدث عن الامام ، ويقول بأنه من الناحية الجسمانية من البشر ، يتعرض للأمراض والآفات : « واعلم ان كل مقام من نبي ، أو وصي ، أو إمام ، يتصل به المادة من العقل دائمة لا تنقطع طرفة عين . فاذا أظهر القدرة والمعجزة والأفعال التي تبهر عقول الخلائق ، فإن ذلك الفعل منسوب إلى الناظر اليه ، المحتجب به ، الممد له . فإذا اظهر العجز، وأصابه الألم ، ومرض ، وجرى عليه مجاري احوال البشر ، فإن ذلك منسوب إلى الغلاف الذي هو مستخرج من عالم الطبيعة الكائن من النفوس الريحية الحاصل بالولادة الجسمانية . . . »[1] .

ويذهب جماعة اخوان الصفا وخلان الوفا إلى اختلاف العلماء في الإمامة فيقولون[2] : « إعلم أن الأمة كلها تقول انه لا بد من إمام يكون خليفة لنبيها في أمته بعد وفاته ، وذلك لأسباب شتى ، وخصال عدة : أحدها أن يحفظ الامام الشريعة على الأمة ، ويحيي السنة في الملة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتكون الأمة تصدر عن رأيه . وقوم آخرون يكونون خلفاءه في سائر البلدان للمسلمين بالنيابة عنه في جباية الخراج ، واخذ الاعشار والجزية ، وتفريقها على الجند والحاشية ، ليحفظ بهم ثغور المسلمين ، ويحصن

(١) رسالة المبدأ والمعاد للداعي علي بن الوليد مخطوطة ورقة ٣٢ .
(٢) رسائل اخوان الصفا ج ٣ ص ٢٩٣ .

بهم البيضة ، ويقهر الاعداء ، ويحفظ الطرقات من اللصوص والقطاع ، فيمنع الظالم ، ويردع القوي عن الضعيف المظلوم ، وينصف ويعدل بين الناس فيما يتعاملون به ، وما شاكل هذه الخصال التي لا بد للمسلمين من قيم بها في ظاهر أمور دنياهم .

وخصلة اخرى هي أن يرجع فقهاء المسلمين وعلماؤ هم عند مشكلاتهم في أمر الدين إليه ، وعند مسائل الخلاف ، فيحكم هو بينهم فيما هم يختلفون في الفقه والأحكام والحدود والقصاص ، والصلوات والجمعات والأعياد ، والحج ، وتولية القضاة والعدول ، ويصدرون كلهم عن رأيه ، وتدبيره ، وأمره ونهيه ، فهذا هو الأصل المتفق بينهم في حاجتهم الى الامام » .

ويرى اخوان الصفا ان الناس مختلفون على رأيين ومذهبين في من ينبغي أن يكون الامام : « فمنهم من يرى ويعتقد أنه لا ينبغي إلا أن يكون افضلهم كلهم بعد نبيها ، وأقربهم اليه نسبة ، ويكون قد نص عليه ، ومنهم من يرى بخلاف ذلك . ولهم في هذين الرأيين منازعات وخصومات ، يطول شرحها ، مذكورة في كتبهم ، ولكن نحتاج الى ان نذكر علة اختلافاتهم من أين كان بدؤ ها ومن أين أشكل الأمر عليهم فيه » .

والأمامة في اعتقاد اخوان الصفا انما هي خلافة ، والخلافة على نوعين : خلافة النبوة ، وخلافة الملك . هذا من ناحية الظاهر ، وكما يقول به عامة المسلمين ، ولكن إلى جانب هذا الاعتقاد الظاهر لهم آراء باطنة تتعلق بالرموز والاشارات التي تعطي الامامة صفة قدسية روحانية عالية ، فهم يعتبرون الامام بمنزلة العقل الفعال ، أو الموجود الأول ، وذلك في حالة عدم وجود النبي الناطق لأنه يحل محله في رتبته ، وفي حال وجود النبي الناطق يحمل الامام باعتباره صاحب التأويل رتبة النفس الكلية ، أو الانبعاث الأول . وهو في عالم الدين ، أو عالم الصنعة النبوية ، الرئيس الروحي الأعلى ، الذي يعتبر وجوده ضرورياً ، في كل عصر وزمان ، ليكون حجة الله في أرضه . والضامن لعباده التسرمد والخلود ، لما يبين لهم من الأصول والأحكام .

« . . . واعلم بأن كل الناس اشخاص لهذا الانسان المطلق ، وهو الذي أشرنا اليه انه خليفة الله في ارضه منذ يوم خلق آدم أبو البشر إلى يوم القيامة الكبرى ، وهي النفس الكلية الانسانية الموجودة في كل اشخاص الناس ، كما ذكر ، جل ثناؤه ، بقوله : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ .

واعلم يا أخي ، أيدك الله بروح منه ، بأن هذا الانسان المطلق ، مطبوع على قبول جميع الأخلاق البشرية ، وجميع العلوم الانسانية والصنائع الحكمية ، وموجود في كل وقت وزمان . . . » .

أما الداعي الحقاني الفيلسوف احمد حميد الدين الكرماني فقد كتب الكثير حول الإمامة وضرورة وجودها في عالم الكون والفساد بأمر من الله ليحل محل الرسول ويحافظ على الشريعة ويصون أحكامها من التحريف والتبديل ، ويطبق نصوصها ، باذلاً كل طاقاته الخلاقة ،وأفرد كتاباً خاصاً سماه المصابيح في اثبات الإمامة عالج فيه بأسلوب علمي شيق مقدماً البراهين على وجوب الامامة وضرورة وجود الإمام . ، بعد النبي ، واثبات العصمة الذاتية للأنبياء ومن بعدهم الأئمة .

ويقول الكرماني في المقالة الثانية من كتابه المصابيح في اثبات الإمامة ، عن ضرورة وجود الإمام بعد النبي ، ليسهر على سير الشريعة الموضوعة ، والسنن المفروضة[1] : « ولما كان ما جاء به النبي (ص) من الكتاب الكريم ، والشريعة المشروعة ، والسنن المفروضة ، والرسوم الدينية ، والأقوال المهذبة ، ممكناً الزيادة فيه والنقصان منه ، وفي الاستطاعة تغيير رسومه وأحكامه إذا زيد أو نقص أو غير ، أدى ذلك إلى الجور والظلم والعسف ، وامتداد أيدي الظلمة للمحظورات ، ومصيره علة لظهور الضلالات ، وعموم الخوف وعدم الأمن ، وجب من طريق الحكمة ان يكون بها موكلاً من يحفظها على وجهها ، ويمنع من الزيادة والنقصان ، والتغيير

---

(١) المصابيح في اثبات الامامة للكرماني تحقيق مصطفى غالب صفحة (٨١ ـ ٨٢)

منها ، ويجري بالامامة على سننها ، فتكون أوامر الله طريقه ، وكلمته عالية ، وشأفة الشر مستأصلة ، والموكل هو الإمام المختار من جهة الله تعالى ، إذاً الأمامة واجبة » .

ويقول في البرهان السادس من المصباح الأول : إن الله تعالى لما جعل محمداً (ص) رسولاً إلى الناس كافة الكائن منهم في زمانه ومن يجيء الى الكون الى يوم القيامة بعد وفاته ، وأمره بدعائهم اليه بقوله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ .

وفعل النبي (ص) ما أمره ربه به بجهده وطاقته بالقول والفعل أيام حياته ، وكان من بقي من الناس الذين لم يدخلوا شرع دينه ممن لزم دعاءهم بالقول والجهاد اكثر ممن دخلوه واتبعوه فيه ، وكان معلوماً ان النبي (ص) لا يبقى في العالم ابداً فيتولى الدعوة إلى الله تعالى بنفسه الى أن يظهر دينه على كل الأديان جميعاً كما وعدنا تبارك وتعالى ، وجب من حيث لزم امتناع بقاء الرسول (ص) بين الخلق اجمع الى يوم القيامة للقيام بما أمره الله تعالى من دعائه ان يقوم مقام الرسول (ص) لما لم يكن في المقدور أن يبقى من يدعو الى دار السلام بالترغيب ، والترهيب ، والقول والجهاد ، ليكون أمر الله تعالى مفعولاً ، والذي يقوم مقام الرسول (ص) هو الإمام . اذاً الإمامة واجبة » .

وبعد أن يقدم الكرماني بعض البراهين التي توجب الإمامة لتحل محل الرسول بعد غيابه أو وفاته لأنه من المحال أن يظل على قيد الحياة حتى قيام الساعة ، يذهب الى تقديم براهين اخرى توجب العصمة للأئمة وتثبت وجودها في ذات الإمام الروحية فيقول : « لما كان الرد فيما يراد معرفته من أسباب الدين الى الامام بعد النبي (ص) ، وكان ممكناً لو لم تكن له عصمة وقوة على الاصابة أن يخطىء فيما يجيب به عما يسأل عنه فيكون خطؤه مؤدياً إلى الضلال ، وجب من حيث انه دليل الهداية أن يكون له عصمة ، إذاً الامام معصوم » .

ولأثبات صحة الإمام بالنص من الله تعالى واختيار الرسول يفرد المصباح

الرابع مقدماً سبعة براهين يقول في أولها : « لما كان نبوءة الأنبياء التي هي الخلافة عن الله تعالى في أرضه في امضاء الاحكام بين عبيده لا تصح إلا بنص من الله تعالى واختياره اياهم للقيام مقامه في الحكم والأمر والنهي ، وكانت النبوة أصلاً للإمامة ، كانت الامامة التي هي فرع على النبوة وهي الخلافة عن الرسول والقيام مقامه أولى أن لا يصح إلا باختيار الله تعالى واختيار رسوله ، والنص عليه . إذاً الامامة لا تصح إلا بالنص ، و التوقيف » .

ويقول في البرهان السابع ان الإمامة لا تصح إلا باختيار الله تعالى ونص الرسول : « لما كان الله تعالى قد اخبر في كتابه الكريم انه هو الذي يجعل في الأرض خليفة بقوله تعالى : ﴿اني جاعل في الأرض خليفة﴾ . ولم يجعل الأمر في ذلك إلى الملائكة المقربين الذين كانوا معصومين ، ووبخهم على قولهم : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ بقوله تعالى : ﴿ اني اعلم ما لا تعلمون﴾ كانت من ذلك ان اختيار الخلفاء الى الله تعالى . واذا كان الاختيار اليه فلا يصح إلا باختياره ، ونصه . إذاً الامامة التي هي الخلافة لا تصح إلا باختيار الله تعالى ، ونص الرسول (ص) » .

ويخلص الكرماني من براهينه الى إثبات الإمامة إلى الامام علي بن أبي طالب واعتباره صاحب النص والوحي القائم مقام النبي بعد انتقاله فيقول في المصباح الخامس من المقالة الثانية البرهان الثالث : « لما قال الله تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ وكان علي بن أبي طالب المعطي للزكاة في حال ركوعه ، وكان الولي في اللغة هو القيم بأمور من هو وليه ، والموالي لمن يواليه وينصره جميعاً ، وبطل أن المراد به الموالاة ، لاستحالة ورود الآية على ما هي عليه من صيغة الحصر والقطع بأن يكون للأمة ولي غير الله ورسوله وعلي في معنى الموالاة ، مع قول الله تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ ثبت أنه نص من الله تعالى على علي (ع م) بأنه القيم بأمور الأمة » .

وللدلالة على أن النبي نص في حياته على ولاية علي بن أبي طالب واخذ

من المؤمنين بغدير خم اقرارهم يقول في البرهان الرابع من المصباح الخامس : « لما قال الله تعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم﴾ وكان ذلك ولاية ولاها الله إياه من المؤمنين بأن يأمرهم وينهاهم ، واخذ النبي من المؤمنين بغديرهم اقرارهم حين قال : ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ بجوابهم له بلى ثلاثاً . . ووصل لكلامه عقب اخذ هذا الاقرار منهم بقوله : فمن كنت مولاه فعلي مولاه . وكان معنى ذلك راجعاً الى ما اخذ اقرارهم به مما ولاه الله إياه منهم من الأمر والنهي فيهم ، وطاعتهم له من دون ما توجبه اللغة من المعاني الأخر التي تتضمن هذه اللفظة التي توجب ان يكون معناها ، فمن كنت معتقه أو ابن عمه ، أو أعاقبه أو جاره ، لاستحالة جميع هذه المعاني في قوله مع ما اردفه فيه من قوله : فعلي مولاه .

والذي وجب أن يكون معناه : فمن كنت معتقه أو أبن عمه ، كان من ذلك العلم بأن قوله فعلي مولاه بعدما تقدم من اخذه اقرارهم بأنه مولاهم مع قوله : فمن كنت مولاه . نص على علي بن أبي طالب بأنه ولي المؤمنين والقائم بأمر دينهم ، والآمر والناهي فيهم ، اذ قد أجراه مجرى نفسه فيما كان له من الولاية على المؤمنين ، وإنما أردف قوله : فعلي مولاه ، من قوله ودعائه (اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) تأكيداً لأمره اذ لو لم يكن قد جعل امر الدين موكولاً اليه ،ولا كان معصوماً لا يزل ، ولا يخطىء فيما اعتمد فيه عليه . حتى يكون من يخالفه ولا ينصره ويخذله ، ولا يتبع امره عاصياً مستحقاً لما دعا عليه من الخذلان ، وعداوة الله تعالى له ، لكان مع جواز التوهم فيه ما يستحق به معاداته ، ويستوجب لأجله خذلانه من المناكير مثل هذا الدعاء من النبي (ص) له محالاً ، لكونه ظلماً لمن يخذله ويعاديه ، لارتكابه ما كان جائزاً التوهم فيه لو فعل ، ولكان لا يدعو له بمثل ذلك كما لم يكن احد من الصحابة يتعلق به من امر الدين شيء ، ولو لم يكن معصوماً لم يدع له بمثل هذا التغليظ .

ولما كان هذا الدعاء بمثل ذلك لا يجب الا لمن يكون معصوماً ، موكولاً إليه أمر الدين بعده ، حتى يستحق من عصاه ما دعا به عليه النبي (ص) ،

كان الدعاء له وعلى من خذله حرجاً على الأمة في النكوص عن طاعته ، وتضييقاً عليها للقعود عن التزام امامته ، وتأكيداً للنص عليه بالامامة بعده ، بقـولـه (ص) : فعلي مولاه . اذا علي بن أبي طالب عليه السلام ، المنصوص عليه في الامامة هو الامام » .

ولم يقف حجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني في معالجته لقضية الإمامة عند حد الأمور الشرعية والآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي توجب الإمامة وتثبت وجود الوصاية بعد النبي ، وتأكيده عن طريق البرهان ان صاحب هذا الحق بموجب النص الإلهي هو علي بن أبي طالب بل نراه يعمد الى معالجة الموضوع عن طريق الفلسفة والمطابقات مستخدماً في أبحاثه نظرية المثل والممثول المعروفة لدى أهل الحق فيقول[1] : « . . . وذلك اننا اذا حللنا ما به كمال النفس الانسانية وحياتها وقيامها بالفعل الى ما منه كان ووجد ، فوجدناه منحلاً الى أشياء كثيرة يجمعها شيئان : احدهما الشريعة الجامعة لأركانها التي هي مراسم العبادتين بالعلم والعمل اللذين احدهما تصوير النفس ، وفي الآخر تقويمها الجارية من كمالِ نفس الانسان مجرى العالم الكبير الحامع للافلاك والاستقصاءات والكواكب . . . وهي موازنة للصفة النبوية ومطابقة لها ، والآخر الإمام الجامع للحدود القائمين بحفظ الشريعة ، وبسط معالمها ، ونشر اعلامها ، والدعوة الى العلم والعمل بها ، الذين بمكانهم وتعليمهم وجود الانسان انساناً ، الجارين من كمال نفس الانسان بتأثيرهم فيها تعليماً وهداية » .

ويذهب الى أن الأساس أي أساس الدور الذي هو الإمام تام في ذاته بكونه كاملاً ، ناقص في فعله بكونه محتاجاً فيه الى الكتاب والشريعة ليفعل بها في الأنفس ، ويدعو إلى التأويل والعلم بتوازن العوالم في الصنعة النبوية : « ووجدنا كون الاساس أساساً بالناطق التام في الذات والفعل الذي بهوجوده واليه معاده ، وذلك مطابق لما حكمنا به من وجود سابق على التام في الذات ،

---

(١) راحة العقل ، للكرماني : ص ١٦٤ تحقيق مصطفى غالب .

الناقص في الفعل ، الذي به يخرج القائم بالقوة الى الفعل تام في الذات والفعل جميعاً ، هو الأول من جميع الموجودات والنهاية الأولة من الموجودات ، موازن له ووجدنا الناطق في عالم الشرع والوضع أصلاً إليه ينتهي الكل من الحدود ، وليس فوقه الا من أناله تلك المرتبة العالية وهو تام في ذاته بنيله الكمال ، تام في فعله بكونه غير محتاج فيما شرعه وبينه وأتى به من الكتاب المبين الى غير يستعين به الا ما به قوامه وتمامه ممن هو فوقه ، وذلك مطابق لما حكمنا به من وجود الموجود الأول أصلاً إليه ينتهي كل موجود ، وأنه ليس فوقه إلا من أبدعه سبحانه ، وانه تام في ذاته ، تام في فعله وموازن له . فمن مصير الناطق علة تنتهي إليها الأشياء الدينية الوضعية القائم بالقوة منها والقائم بالفعل جميعاً ، وموازنة الموجودات عنه ما عليه الخلقة الإلهية قام الدليل على ان الشيء الأول هو علة تنتهي اليها العلل ، وكما صار الناطق أصلاً أولاً وجد عنه الكتاب والاساس صار الشيء الأول أصلاً أولاً وجد عنه الهيولى والصورة المفارقة ، وكما صار الناطق وجوده ناطقاً لا من جهة من كان من جنسه من البشر صار الشيء الأول وجوده لا عمن هو من جنسه ، وكما صار الناطق موجداً من غير به وجوده ، صار الأول موجوداً عن غير به وجوده » .

ونلاحظ بأن الكرماني قد اعتبر الناطق الذي هو النبي أصل عالم الدين من جهة التركيب ، وعلة تنتهي اليه التراكيب الدينية لأنه أصلها ، فهو تام في الذات والفعل . وبذلك يتبين بأن أهل الحق يعتبرون الأنبياء أفضل من الأئمة ، ودرجة النبوة أرفع واجل من مرتبة الإمامة . فالنبي في عصره يقابل العقل الكلي ، وصفات العقل الكلي تطلق على النبي ، ولما كان الإمام بنظر أهل الحق هو خليفة النبي والقائم مقامه كما أشرنا سابقاً فتنطبق عليه أيضاً هذه الصفات التي هي صفات وأسماء العقل الأول . وهو تام في ذاته ، تام في فعله ، بكونه غير محتاج فيما شرعه وبينه إلى أحد ، ومن هنا كانت له العصمة الذاتية .

ويعتقد الداعي علي بن الوليد أن الإمام بالنسبة لعالم الدين هو الأصل الذي قام مقام الناطق بعد وفاته ، وبالنسبة لعالم العقول يعتبر العقل الأول

السابق يماثل الناطق الذي انبعث منه العقل الثاني الذي هو المنبعث الأول أو التالي ليكون باباً وحجاباً يخاطب منه من دونه ، وأمده من المادة التي طرقته من مبدعه . ، بما شرف به على المنبعث الثاني ، وعلى كافة ابناء جنسه ، وعلم بذلك ما كان وما سيكون ، وهو المسمى بالنفس الكلية ،و بالانبعاث الأول، وباللوح[1] .

ويفرد الداعي علي بن الوليد فصلاً خاصاً في رسالته يتحدث عن كيفية حصول الإمام الذي تظهر به الإمامة من ناحية الولادة الجسمانية فيقول : « ثم يقبل حينئذٍ الامام المنصوص عليه على الحدود بالمادة الى ان يستخرج هو له ولداً ثانياً هو يخلفه ، كما استخرجه أبوه سواء بسواء لا فرق في ذلك ، ويصعد الإمام الأول فيصير في افق العاشر . فأما الشخص الفاضل ، الذي هو صاحب الجنة الابداعية فإنه اذا صعد ، خلف العاشر رتبته في الحال ، وصار مدبراً للعالم ، وصعد العاشر الى رتبة أعلى من رتبته ، والذي فوقه إلى رتبة من فوقه » .

ويرى ابن الوليد أنه يجب ان يعتقد بأن النبي محمداً (ص) أفضل عقول عالم الطبيعة وأشرف حدود عالم الدين ، وان المعجزات التي كان يظهرها أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب هي من تأييد العقل الأول له ، وإنها لم تصل إليه إلا بواسطة النبي ومادته له ، لأنه حده ومعلمه ومرقيه الى تلك المرتبة ، ومستخلفه بعده في امته ، وهو حجته في حياته .

ولما كانت مرتبة النبي مرتبة العقل السابق في وقته ، ومرتبة امير المؤمنين في الدين معه مرتبة الانبعاث الأول في عالمه . كان النبي مثل الذكر في الدين ، وأمير المؤمنين معه مثل الانثى القابلة منه . والنبي مثل السماء ، وأمير المؤمنين معه مثل الأرض . فلما انتقل النبي (ص) صار أمير المؤمنين بعده قائماً في عالم الدين مقام العقل الأول ، وحجته مقام المنبعث الأول .

---

(١) رسالة المبدأ والمعاد ، ورقة ٥ مخطوطة .

ويؤكد ابن الوليد استناداً الى هذه المطابقات العلوية والسفلية أن الذي يجب ان يعتقد أنه قد صار النبي وأمير المؤمنين في منزلة واحدة ، لا فضل لأحد منهما على الآخر - بل قد تساويا كما قال النبي (ص) - (أنا وأنت ، يا علي ! كهاتين) وجمع بين اصبعيه المسبحتين من يديه اليمنى واليسرى . وقال (لا أقول : كهاتين) وجمع بين المسبحة والوسطى سبقت احداهما الأخرى . فمن اعتقد في احدهما انه افضل من الأخر ، فقد غلا فيه وقصر في الثاني ، فلا تعتقد إلا هذا .

ولقد أفرد القاضي النعمان بن محمد كتاباً خاصاً في الإمامة وآدابها ، فتحدث فيه عن واجبات المؤمن العارف تجاه إمامة من فروض الطاعة والولاء مما يعطينا فكرة واضحة عن آداب الدعاة ومستوى الاخلاق لدى جماعة أهل الحق .

ويرى القاضي النعمان ان اعتقاد ولاية الأئمة والتدين بإمامتهم وطاعتهم أصل يجب أن يبنى عليه الدين لأن الطاعة حق لازم للائمة فرض الله سبحانه وتعالى على عباده في كتابه ، وقرنها بطاعته وطاعة رسوله (ص) فقال : ﴿ اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ فينبغي لمن خصه الله ومنحه وأنعم عليه بالكون من جملة المؤمنين من أتباع الأئمة أن يعتقد إمامتهم اعتقاد من يرى ويعلم أن رضاهم موصول برضاء ربه ، وسخطهم مقرون بسخطه ، فيتحرى من ذلك ما يرجو به رضاء الله الذي جعل الجنة ثوابه ، ويتجنب ما يوجب سخطه الذي جعل النار عقابه ، ويندب نفسه فيما يقربه منهم ويزلفه لديهم ، ويجهدها فيما وافقهم وطابق هواهم وأكسبهم رضاهم فيما احبه وكرهه وسره وأسخطه ؛

وليرجع فيما أسخطه من ذلك الى رياضة نفسه عليه وسياستها فيه ، حتى يؤول سخطه في ذلك إلى الرضا وكراهيته إلى المحبوب ، ويستغفر الله لما عرض له في ذلك ويعلم أنه ذنب عظيم من الذنوب ، وأن التوبة لا تكون إلا بالاقلاع عنه حتى يرضى ما رضوه ويسخط ما سخطوه ، ويحب ما أحبوه ويكره ما

كرهوه ، ويعتقد ذلك قولاً وفعلاً ونية وعملاً ، ويسلم لهم في كل الأمور تسليم مطيع لا تسليم مجبور .

فهذا فرض من الله على المؤمنين لرسوله الذي قرن طاعته بطاعته وطاعة الأئمة بطاعته ، وجعلهم الخلف للأمة من بعده صلى الله عليه وعلى الأئمة من ذريته الأبرار المصطفين الأخيار ، واذا علمنا بأن درجة النبوة أعلى واجل وفوق درجة الإمامة ، وفضل الأنبياء أعظم من فضل الأئمة ، فإن الطاعة واحدة موصولة قد قرنها الله تعالى بطاعته وهو أعلى وأجل من جميع خلقه ولا يقاس بشيء من عباده فلم يقبل من مطيع طاعته إلا بطاعة من افترض عليه طاعته من أوليائه[١] .

ويذهب الداعي الحقاني « أبو يعقوب السجستاني » في مطابقاته وتمثيلاته إلى أن الأساس الذي هو الامام تجتمع فيه كافة الفضائل والخصائص التي تطلق على السابق والتالي والناطق ، بإعتباره القائم بالفعل مقام تلك الحدود ، وتجتمع فيه تأييد السابق وتوقيف التالي ، وتعليم الناطق[٢] .

من كل ما تقدم يمكننا أن نستنتج بأن جماعة أهل الحق جعلوا الإمامة من أصول الدين وقالوا بضرورة وجود الإمام المعصوم عصمة ذاتية المنصوص عليه من نسل علي بن أبي طالب على أن يكون النص على الامام ، من الامام الذي سبقه ، بحيث تتسلسل الإمامة في الأعقاب ، أي أن ينص الأب على الابن الذي يعرف بما أوتيه من قوة عرفانية أي أبنائه يستحقها ويكون صاحبها .

ويستدل من النصوص التي تركها دعاة أهل الحق في مصنفاتهم ان مقامات الإمامة ودرجاتها لم تكن واحدة بل كانت مختلفة في فاعليتها وقوتها الروحانية حسب الترتيب التالي :

١ ـ الامام المقيم : وهذه الرتبة تعتبر بنظرهم أعلى مراتب الامامة

---

(١) الهمة في آداب اتباع الأئمة للقاضي النعمان بن محمد صفحة ٣٩ .
(٢) الينابيع للسجستاني ص ٦٦ تحقيق مصطفى غالب .

وأرفعها ، لأن صاحب هذه المرتبة يكون قبل الناطق ، وهو الذي يقيمه ويعلمه رسالة النطق.

٢ ـ الامام الأساس : هو الإمام القائم بأعمال الرسالة ، ويكون الى جانب الناطق ، يعاونه ويساعده على نشر رسالته ، ومنه يتسلسل الأئمة المستقرون في الأدوار الزمنية الصغيرة .

٣ ـ الامام المتم : هو الذي يتم الرسالة في نهاية الدور الذي يقوم به سبعة من الائمة وهو سابعهم ، ويتمتع بقوة أئمة دوره مجتمعة .

٤ ـ الامام المستقر : صاحب الحق في توريث الامامة لولده بموجب النص على الامام الذي يأتي بعده ، وهو يعرف أي من أبنائه يستحق الإمامة ، فينص عليه ، ولا يمكن أن يخطىء بحال من الأحوال لتمتعه بالعصمة الذاتية التي منحه إياها الله .

٥ ـ الامام المستودع : لا يستطيع توريث الامامة لأحد من ولده . بل يتسلم الامامة في الظروف والأدوار الاستثنائية ، فتكون وديعة لديه يردها لصاحب الحق فور زوال الفترة .

٦ ـ الامام القائم بالقوة : يكون ناقصاً في الذات ، يحتاج الى من ينقله من حد القوة إلى حد الفعل .

٧ ـ الامام القائم بالفعل : تام في الذات والفعل كامل .

وعلى العموم لقد أوجب العرفان الحقاني أن يكون الامام هو صاحب التأويل الباطن الذي يكشف روح الروح ، لأنه جوهرها ومعناها الروحي ، والصورة الانسانية التي هي مثال عن الصورةالالهية ، ويقيم التوازن بين العبادة العلمية والعملية .

ولما كانت النبوة وقتية زائلة فقد شاءت ارادة المبدع أن تحل الإمامة محلها وتتمها ، و تكون خالدة الى الأبد كدين وجدت لسعادة البشرية ، وهي موجودة في كل عصر وزمان ولا تزال باقية مرآة صادقة لذات الله ، ترشد وتقود

البشرية الى الصراط المستقيم .

المفتاح الثالث

« الباب والحجة »

تأتي مرتبة الباب في الدرجة الرابعة بعد مرتبة النبوة والأساس والإمامة في الصنعة النبوية يقابلها ويماثلها في العالم الروحاني المنبعث الثالث الذي هو الموجود الرابع أو العقل الرابع وهو أصلاً إليه ينتهي الكل من الحدود التي هي دونه ، وليس فوقه إلا من أنا له تلك المرتبة العالية وكان سابقاً له في التوحيد والتجريد والتقديس .

والباب بالمفهوم الحقاني جامعاً لما دونه واختصاصه من مراتب البركة بفصل الخطاب الذي هو بعض منها ، وإقامته دون الحجة شاهداً بأن المترتب الرابع الذي هو دون الثالث جامع للمراتب دونه يختص منها ببعض ما به يوجد الموجودات في دار الجسم عموماً وبالفلك الرابع خصوصاً ، وان يترتب عنه دونه بالانبعاث غيره خامساً .

وكمال الباب في معرفة ما فوقه من الحدود الروحانية والجسمانية ، فهو باب بالامام التام بالذات والفعل الذي به وجوده وإليه معاده وذلك مطابق لوجود سابق على التام في الذات ، الناقص في الفعل ، الذي به يخرج القائم بالقوة إلى الفعل تام في الذات والفعل جميعاً .

ولقد سمته السنة الإلهية نذيراً ، ومهمته فصل الخطاب والحكم فيما كان حقاً أو باطلاً ، متأحد المرتبة في عالم الدين حلاً وعقداً يعجز عن مثلها من دونه من الحدود ، واذا كانت مرتبة البابية واحدة فإنها تجمع أربعة من الحدود الحرم الذين يشتركون فيها ويكونون دائماً وأبداً في معية الامام غير معروفين فيما بين أهل الدعوة لكونهم على أمر لا يمكنهم التظاهر بهذه الرتبة سياسة ، ولا

توجد إلا آثارهم في غيرهم من الحجج والدعاة . إذاً فصل الخطاب من الأمور السياسية التي بوجودها وجود الجماعة وقوتها وتضامنها وإتحادها .

وعلى الباب تقع مهمة الحكم في ترتيب المراتب وارتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق واظهار تأويل الكتاب الذي يتعلق بالباب والحجة ، ولذلك قال الله تعالى إخباراً عن منته على داود : ﴿ **وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب**﴾ .

والحجة اذا علت درجته ، وترقى في الاستفادة والتأييد ممن سبقه في التوحيد نال المنة بالبابية وقوامه بالامام الذي تقدم عليه في الوجود . وبما تقدم عليه في الوجود من العقل الثالث وذاته موجودة بعقله إياها ، وبعقله ما تقدم عليه في الوجود جميعاً . وهو كالأول والثاني والثالث في باب كونه جامعاً للكمالين ، وذلك أن جميع ما يختص المبدع ـ الذي هو العقل الأول ـ به من الأمور العشرة التي بها هو ما هو ، من كونه حقاً ، وموجوداً أولاً ، وواحداً تاماً ، وكاملاً أزلياً ، وعاقلاً ، وعالماً ، وقادراً ، وحياً بالأضافات والذات واحدة ، فإن المنبعث منه يستحقه بالمعاني الموجودة فيه .

ولما كان المنبعث الأول للمبادىء المنبعثة التي هي الحروف العلوية أول ، بكونه أول كل شيء محض وجد عنه شيء محض ، وهو من حيث كونه عقلاً لا فرق بينه وبين الأول ، كما أن الباب أول حد من الحدود التي تلي الامام في الدور والدعوة ، إلى التوحيد ، فهو من حيث كونه كاملاً لا فرق بينه وبين الناطق إلا بتقدم المرتبة .

وفي ضوء ما ذكرناه من الآراء العقلانية الفلسفية حول مرتبة الباب بالنسبة لما يعتقده جماعة أهل الحق نلاحظ بأن هذه الجماعة قد انطلقت في تعريفها لمرتبة الباب من ناحية الظاهر مما قاله رسول الله ؛ « أنا مدينة العلم وعلي بابها » وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**﴾ . فمثلوا الدعوة الحقانية بالمدينة ذات الشوارع والأسوار والأبواب حسب تنظيمات الدعوة ومطابقات العوالم العلوية

والسفلية والصنعة النبوية ، وجعلوا لهذه المدينة الفاضلة باب رئيسي حظروا الدخول منه إلاَّ لمن استجاب للدعوة واشتاق للترقي في مراتبها حتى يستطيع نقل نفسه القائمة بالقوة إلى درجة القيام بالفعل عن طريق الاستفادة والتعليم ممن يكون تام في ذاته كاملاً يفعل بالأنفس المستجيبة ويدل على التأويل ويستمد قوته التأييدية وتعاليمه ممن هو فوقه صاعداً في المراتب حتى مرتبة الإمام الذي هو أساس المراتب الدينية ، وإليه ينتهي الكل من الحدود ، وليس فوقه إلا من أناله تلك المرتبة العالية .

ومن هذه المنطلقات صاغوا مهمة الباب وواجباته وواجبات الاتباع تجاهه وجعلوا مرتبته من أجل وأكمل المراتب ومنحوه حق فصل الخطاب والقيام مقام الإمام والأساس والناطق ، في حالات استثنائية ، وفي أغلب الأحيان يحمل هذه المرتبة الوصي الذي يكون منصوص عليه لتولي الإمامة بعد انتقال الإمام القائم بالفعل ، ويكون الإمام لا يزال على قيد الحياة .

ولنستمع إلى الداعي ابراهيم بن الحسين الحامدي وهو ينقل في كتابه كنز الولد[1] عن جعفر بن منصور قوله : « . . . فأوجد لهم الباب عياناً وعرفهم به تبياناً ، وأقام عليه الدلائل والبراهين بالرمز والإشارات والتلويحات والكشف بالمقامات ، فجعل تحت الاستتار في جميع الأدوار إلا بالإشارة إليه ، والتوجه نحوه واظهاره آياته في آخر دور وخاتم كور . وأجرى بيانه على لسان خاتم أنبيائه ورسله ، محمد صفوته وخاصته ، صلى الله عليه وعلى آله الأئمة الأطهار فقال : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها . وقال سبحانه : ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ ، إعلاماً بأن ظهر الباب الذي من قبله العذاب هو ظاهر الشريعة المتمسك به أهل الشك والارتياب المتبرئين من التأويل ، فأوجب لأهل باطن الباب الثواب والرحمة ، وعلى أهل ظاهره

---

(١) كتاب كنز الولد للحامدي ص ٢١٨ تحقيق مصطفى غالب منشورات المعهد الألماني للدراسات الشرقية .

العذاب والنقمة ، إذ كان باطن الباب هو ولاية مولانا أمير المؤمنين وطاعته والرضا والتسليم له والوفاء بعهده ، لقوله تعالى : ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً** ﴾ .

فهذا بيان ما شرحنا بأن المبدع الأول ضارب السور الذي له باب ، وكان أوصياء النطقاء عليهم السلام أبوابه القائمين بالقوة ، الذين جعلهم تحت الاستتار إلا بالإشارة إليهم ، إلى أن أظهره في آخر دوره على لسان خاتم أنبيائه يعني بالفعل ، وكانت إشارتهم رمزوا به مثل ما رمز آدم بتابوت السكينة ، ونوح بالسفينة ، وإبراهيم بالبيت ، وموسى بالعصا ، وعيسى بالصليب . . » .

ومن استقراء ما كتبه دعاة أهل الحق حول مرتبة الباب يبدو لنا أن الائمة بعد وفاة النبي محمد (ص) درجوا على تسمية ولي عهد الإمام أي ولده المنصوص عليه لتولي الإمامة بعده بالباب وأرفقوه بأربعة حدود عالية سموهم الحُرم الذين يكونون عادة من كبار الدعاة والحجج ويسمون الأبواب وهم غير معروفين من قبل الاتباع وتكون مرتبتهم سرية لا يعرفها إلاّ الإمام نفسه وولي عهده وهؤلاء يقومون بالتخطيط والترتيب والنظر في ما يتعلق بكافة العلوم العرفانية المتعلقة بالدعوة ويشرفون اشرافاً فعلياً على توزيع الحدود والدعاة في الجزائر والأمصار ويتلقون أخبار نشاطهم وتحركاتهم حيث ينقلونها إلى الأمام بالذات .

وفي أدوار الستر يتسمون هؤلاء بنفس أسماء الأئمة حرصاً عليهم وستراً على تحركاتهم وتنقلاتهم في الجزائر التي يقطنها الاتباع ينشرون العلم ويتفقدون شؤون الاتباع وتنظيمات الدعوة ومدى قوتها ونشاطها في كافة الحقول .

ويعتبر الأبواب والحجج القائمين دون الائمة في عالم الدين متعلمون يتلقون علومهم رأساً من الائمة ومعلمون يفيدون علومهم لمن هم دونهم في الرتبة الذين يقبلون آثارهم العلمية وحكمهم المؤثرة في نفوسهم التي ترقيها إلى درجة الكمال الذي تستنير به جواهرهم فتزداد معرفة بالأمور الشرعية

والسياسية .

ولما كان للحجج والأبواب في وجودهم علتان : علة قريبة خاصة هي الإمام وتعليمه ، وعلة بعيدة عامة لهم ولغيرهم هي الناطق الذي هو المبدأ لعالم الدين ومن فيه وكان كون الحجة بما هو مضاف الى الامام هو باب متأحد المرتبة في عالم الدين ، وبما هو مضاف الى من هو دونه هو حجة مشترك المرتبة في عالم الدين . موجباً أن يكون الحجة بما هو باب في طاعته للإمام إخلاص محض يدعوه الى التقرب إليه أبداً ، وبما هو حجة له في سياسته اهتمام بمن دونه يدعوه الى إصلاح امرهم بالإفادة والتعليم .

ولما كان الباب في توفره على من دونه من الحجج بالإفادة والتعليم قاصراً عن الرتبة التي بها يمكنه إرقاءهم إلى رتبته فيجعلهم مثله إذ كان ذلك يتعلق بالإمام الذي عنه تكون هذه المرتبة ، وبتأييده إياهم يترتبون فيها ، وكان كون الباب في معرفته بالأمور وفصل الخطاب حلاً وعقداً على حالة يعجز عن مثلها من دونه ، موجباً أن يكون الحجة في الاستفادة من الباب سابقاً على من دونه ومن جهته تكون حياة المواليد الروحانية ، وبما عنده من العلوم الإلهية نشوؤهم . وكان كون الحجة له من الأمر في أهل الدعوتين ما للباب إلا ما هو متعلق بالأمر الظاهر المنوط بالحكم. وكان كون الحجة مشاركاً للباب في استنباط التأييد من أنوار الأمامة،وإن كان الباب سابقاً بالرتبة فيه عليه ، موجباً كون مرتبة الحجةوإن كانت واحدة أن يترتب عنها أنفس كثيرةتشترك فيها وعددها التام ثمانية ، والأشرف منهم من استقامت طريقته في دينه واعتدل اعتقاده في العبادتين ، فلا يميل إلى إحداهما دون الأخرى ، ودعا إليهما معاً ، وقام بحكم الدعوة وساس أهلها بالتربية على نظام يحرسهم من ظهور النفاق فيهم ، ويجب على الحجة الذي هو معدن لعلم التأويل الذي هو موازنة الأمور الدينية بالموجودات التي بمعرفتها تحيا الأنفس حياة أبدية ، ان يوجد بيان ما يرد إليه من لفظ التنزيل وتبيانه فيجعل المشتبه من أمور الدين واضحاً للمستفيدين لأنه مقسم العلم بكونه في وقت

الإمام كالأساس في وقت الناطق .

وبذلك يجذب في قيامه بقوة علمه كل مستحق في دعوته ويرفعه ويعلي مرتبته ، لنفوذ أمره فيمن دونه من الدعاة وغيرهم . بما اختص به على أمر يعجز عنه الدعاة وغيرهم ، فيفعل في الأنفس تعليماً وترقية ، بما فتح عليه الإمام من أبواب العلوم والمعرفة .

المفتاح الرابع
« داعي الدعاة »

قلنا في المفاتيح السابقة عندما تحدثنا عن الحدود الدينية في الصنعة النبوية أن مراتب دعوةأهل الحق موازنة وموافقة لمراتب عالم الأرواح وعالم الكواكب والأفلاك ومطابقة لما في جسم الانسان من أعضاء ومنافذ . وأن الدعاة جعلوا سبباً لوجود المواليد الروحانية عن طريق الإفادة والتعليم . وتعريف المستجيبين حقائق المعارف الإلهية لجذب أنفسهم إلى درجة الإتصال بالعالم الازلي حيث تشعر بالسعادة والكمال المطلق .

وأول خطوة اتخذها أئمة دعوة أهل الحق أن جعلوا رتبة داعي الدعاة بالنسبة لتنظيمات الدعوة رتبة دينية تأويلية خالية من تعاطي الرموز والتعريفات التي هي حجاب على ما تحتها من العلوم صيانة لها ، لأنها خصوص لمرتبة النطقاءوالأئمة والأبواب صافية من أحكام الهوى لا غبار عليها من قضايا المذاهب المختلفة للأضداد والمخالفين في ضلالهم التي هي أسباب الرياسة الدنيوية .

وتأتي مرتبة داعي الدعاة في الترتيب بالنسبة لتنظيمات الدعوة بعد مرتبة الحجة وهو المكلف بالإشراف الفعلي والعملي على نشر الدعوة واذاعتها ، وكان في العهد الفاطمي من كبار رجالات الدولة وفقهائها ، وقد خصص له الإمام الفاطمي مكاناً في قصره ، وكان مقره في جامع الأزهر . يساعده في نشر التعاليم اثنا عشر نقيباً موزعين في جزائر الأرض ، كما كان له نواب ينوبون عنه في سائر البلدان ، ويحضر إليه فقهاء الدولة يتلقون منه الأوامر ويقدمون اليه في يومي الاثنين والخميس محاضراتهم العلمية فيعرضها بنفسه قبل إلقائها على الإمام ليقر ما يقبله منها ويذيله بتوقيعه ثم يردها داعي الدعاة اليهم .

وكان داعي الدعاة يعقد مجالس الحكمة التأويلية في مكانين كبيرين في قصر الإمام الفاطمي ويجلس على كرسي الدعوة في الديوان الكبير ، ويبدأ بمحاضرة الرجال ثم يعقد للنساء مجلساً خاصاً يعرف بمجلس الداعي ، وفي هذين المكانين مكان يعقد مجالسه لقراءة علوم أهل البيت على جمهور المؤمنين ، ويعلمهم أصول العقائد المتعلقة بالدعوة . فاذا فرغ من القاء محاضراته على الحاضرين ساروا إليه لتقبيل يده فيمسح على رؤوسهم بالجزء الذي عليه توقيع الإمام ، وكان داعي الدعاة يجمع النجوى من أهل الدعوة اثناء انعقاد هذه المجالس التأويلية .

وأشار المقريزي إلى أن النجوى كانت ثلاثة دراهم وثلثا ، وكان بعض الأغنياء يدفع ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلثي دينار ، يأخذ مقابلها رقعة مذيلة بتوقيع الإمام كتب عليها (بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك) فيحفظها ويفتخر فيها .

وكان اختيار الداعي لهذا المنصب الخطير يخضع لتجارب« وفحوصات كثيرة ، وشروط صعبة قاسية ، توجب ان يكون المرشح لهذه المرتبة اقوى الدعاة لساناً ، وأصدقهم جناناً ، وألحنهم حجة ، وأغزرهم علماً ، وأقدرهم حنكة ، لأن مرتبته أعلى مراتب الدعوة الظاهرة ، التي تخول صاحبها حق الاشراف على الدعوة في جميع الجزائر ، ويكون الواسطة بين دعاة الجزائر وبين الإمام ، الذي يختار داعي الدعاة بنفسه ليقيم البرهان ، وينشر فيض علوم الأئمة ، ومن يليهم في المرتبة من الأبواب والحجج ، ويبسط العلوم التأويلية للمؤمنين الذين يقبلون تأثيره ظاهراً وباطناً ، ويرتشفون من الأفكار الروحانية التي تقودهم إلى السعادة الأبدية ، والخلود السرمدي .

ولقد عرف ممن تولوا هذا المنصب الكبير دعاة علماء كان لهم باع طويل في التأليف وفي زرع بذور الدعوة العقائدية الفلسفية التي لعبت دوراً خطيراً في التاريخ الروحي والسياسي للإسلام منذ القرن الثاني الهجري وحياة المجتمع الاسلامي فقلبت مفاهيمه رأساً على عقب . ومن استقراء مصنفات هؤلاء

الدعاةالكبار يتبين انهم عملوا على تطوير الفكر الاسلامي وتفجير طاقاته الخيرة ، وجعله خصباً منتجاً يوزع العلم والمعرفة على العالم .

لما استنبطوا من علوم وابتدعوا من افكار عقلانية ، وابتكروا من النظم والأحكام ، نفذوا من خلالها إلى صميم واقع الفلسفة الروحية التي تجلت في مراحل تطور الدعوة وتصاعدها نحو الأمثل والأكمل .

ومن الطبيعي ان يكون لتوجيه الأئمة أثر كبير في انتاجهم وانطلاقاتهم العقلانية التي امتدت الى جميع ما عرف في ذلك الوقت من علوم ومعارف وأفكار ، تنهد إلى خلق مجتمع مثالي خالٍ من الأدران والشوائب ، وتزيل الشك والارتياب والأساطير والأوهام .

وإمعاناً في اسباغ الفضائل على داعي الدعاة فقد جعلت مخالفته وعدم طاعته خروج عن طاعة الإمام نفسه ، بإعتباره حد من الحدود العلوية يتصف بالقدسية وتفرض طاعته على المؤمنين كما تفرض طاعة الإمام المتصلة بطاعة الله .

ولقد أحدثت تنظيمات دعوة أهل الحق منذ وجودها وتأسيسها وانطلاقتها الدعاوية السرية بجهازها الضخم المنظم وفق تنظيمات العالم العلوي وعالم الأفلاك والكواكب وتحركها انعكاساً فكرياً في كافة البلدان الاسلامية ، واستطاع الدعاة أن يشرفوا بسرعة عجيبة على اقاصي جزائر الأرض وينقلوا الأخبار والمراسلات السرية الهامة بدقة متناهية .

واذا علمنا بأن السنة الزمنية مقسمة إلى اثني عشر شهراً ، فقد قسم العالم الذي كان معروفاً في ذلك الوقت الى اثني عشر قسماً أطلقوا على كل قسم « جزيرة » فعينوا لكل جزيرة من هذه الجزر داعياً مسؤ ولاً عن الدعوة فيها ، ولقبوه بداعي دعاة الجزيرة .

بإعتبار أن الدعوة بحد ذاتها لا يمكن استقامتها إستناداً على نظرية المثل والممثول والمطابقات العلويةوالسفلية إلا بإثني عشر داعياً يتولون إدارتها يقابلهم

في عالم الفلك الواحد اثنا عشر برجاً ويطابقهما في جسم الانسان اثنا عشر ثقباً ، وفي عالم الحجب اثنا عشر حجاباً مصداقاً لقول النبي (ص) : « طوبى لمن حفظ الرأس وما حوى ، والعقل وما طوى ، والقلب وما وعى ، وذكر القبر والبلى ، ولم يتأثر بالحياة الدنيا » .

يعني ان النبي قصد من وراء قوله هذا : طوبى لمن حفظ رأس دعوة الحق والائمة من ولده . وبقوله : « العقل وما وعى » أي ان في العقل اثنتاعشرة قطعة دليلاً على اثني عشر داعياً الذين هم في جزائر الأرض .

ولما كانت الأبراج ستة قبلية وستة شمالية ، اقتضى ان تكون ثقوب الجسد ستة في الجانب الأيمن وستة في الجانب الأيسر يطابقها ان شهور السنة على نوعين : ستة شمالية ، وستة جنوبية . فالستة الشمالية عدد أيامها ثلاثون يوماً ، وتسمى بالأشهر الكاملة . والستة الجنوبية عدد أيامها تسعة وعشرون يوماً ، وتسمى بالأشهر الناقصة . ولما كان الشهر ثلاثين يوماً ، لذلك كان لكل داعي دعاة جزيرة ثلاثون داعياً لمساعدته في نشر الدعوة ، وهم قوته التي يستعين بها في مجابهة الاحداث ، وهم عيونه التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامة . وهم بمثابة مستشاريه ووزرائه في كل ما يتعلق بجزيرته .

ولما كان اليوم الواحد مقسماً إلى اربع وعشرين ساعة ، اثنتي عشرة ساعة بالليل ، واثنتي عشرة ساعة بالنهار ، فجعل أهل الحق لكل داع نقيب أربعة وعشرين داعياً ، منهم اثنا عشر داعياً ظاهراً كظهور الشمس بالنهار ، واثنا عشر داعياً محجوباً مستتراً كأستتار الشمس بالليل .

وبعملية حسابية يتبين ان عدد الدعاة الذين وزعهم أهل الحق في عالمهم كان حوالي ٨٦٤٠ داعياً في وقت واحد . بالأضافة الى عدد آخر من الدعاة الذين يكونون دائماً في مركز قيادة الدعوة مع الإمام . علماً بأنه كان لكل فئة من هؤلاء الدعاة واجبات مفروضة لا يتعدونها حفظاً لنظام الدعوة وبمقتضى تنظيمات الأفلاك والكواكب والعالم العلوي .

المفتاح الخامس
« الداعي المطلق »

الداعي المطلق أو داعي البلاغ تأتي مرتبته بعد مرتبة داعي الدعاة بالنسبة لتنظيمات الدعوة ومطابقاتها العلوية والسفلية مع عالم الصنعة النبوية ، واختصاص الداعي المطلق الاحتجاج والمجادلة وتعريف المعاد والحدود العلوية ، والعبادة الباطنة وما تتضمنه هذه العبادة من التأويل والمطابقات والآراء العقلانية الفلسفية وينوب في بعض الظروف عن داعي الدعاة في الجزيرة التي يوجد فيها . وتكون الانابة في حالة غياب داعي الدعاة أو وفاته بإذن خاص من الحجة أو الباب أو الامام بالذات ريثما يتم تعيين داعي دعاة جديد أو يعود داعي الدعاة من سفره أو غيابه المشروع .

ويقابل مرتبة الداعي المطلق الموجود السابع أي العقل السابع ، المماثل لفلك الزهرة ، كما انه في بعض الأحيان يأخذ مرتبة داعي البلاغ الذي يماثل الموجود السادس أي العقل السادس المطابق لفلك الشمس ، وقيامه مقام داعي البلاغ كقيام الحجة مقام الباب وكقيام الإمام مقام النبي ، يتمتع بكافة الواجبات والشروط والمهام التي يتمتع بها داعي البلاغ حسب ما توجبه الحكمة الإلهية وتقتضيه السياسة الربانية . وكل داعي بالنسبة لدعوة أهل الحق لمن فوقه مربوب وكلهم عن غيب ذي العزة محجوب ، حجب مقربون ، وعباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

ومن المفروض عقلياً أن يكون كل محدود تلقى فوائد حده بغير تكبر ولا تهاون بما يلقى إليه من الإفادات الحقانية ، ويصب من رحيقها الروحاني ، مطيعاً للأوامر والنواهي قابلاً للهداية والتعليم ، ولكل حد من حدود الدعوة قسط من التأييد والإفادة يختص به لا يتعداه إلى غيره على حسب قبوله ممن

تقدمه في الرتبة .

ولقد جعل المبدع سبحانه وتعالى حدود دينه متفاوتة المنازل والدرجات متفاضلة في المعارف والحالات ، يتولى كل حد منهم قسطاً من القيام بدينه غير القسط الذي يقوم به الآخر كما جعل المبدع في اعضاء الشخص البشري وحواسه تفاضلاً وتفاوتاً في الخلق والأفعال وجعل فعل كل عضو من الاعضاء خادماً للعضو الذي يليه ، وبتعاون الاعضاء يتحقق التمام والكمال للجسد .

وقسم سبحانه وتعالى جميع المدركات في العالم الجسماني بين حواس الشخص البشري وجوارحه فجعل المبصرات مدركات البصر والمسموعات مدركات السمع والمشمومات مدركات الشم والمذوقات مدركات الذوق والملموسات مدركات اللمس ، فكل حاسة تؤدي علم محسوسها الى النفس وتنفرد بما جعل اليها فبإشتراكهم في الادراك وكونهم آلات لنفس واحدة تدرك النفس بهم جميع أقسام العالم وتستوعبه كذلك يتولى كل حد من حدود الدين افادة عالم من الناس بقدر علمه ومعرفته ، وبإشتراك جميع الحدود تعم الهداية للمهتدين فتكمل بهم النفس وتترقى في درجات المعرفة لتبلغ الكمال والسعادة .

وأوجب نظام الدعوة ان يكون الداعي المطلق قد اجتاز كافة المراتب الدينية التي هي دونه وبرهن خلال اجتيازه تلك المراتب عن مقدرة فائقة واخلاص متين في سبيل العقيدة التي يجسدها ، وأن يكون ملماً بكافة العلوم والمعارف العقلانية ليستطيع إفادة من دونه ، وحضهم على التنافس في العلم والحكمة الروحانية .

ولا بد للداعي المطلق من أن تتوفر فيه كافة الشروط المطلوب توفرها في الداعي صاحب أدنى رتبة في الدعوة من المنطق السليم والخبرة التامة في علم الهيئة ومعرفة أصناف البشر ، وأن يحسن الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويلم إلماماً تاماً بعلم الجدل والكلام ليجاهد في سبيل نشر عقيدته والدفاع عنها بالقلم واللسان .

ولقد نبغ من اصحاب هذه الرتبة دعاة علماء أطبقت شهرتهم الآفاق وتركوا للدعوة مصنفات تبحث في كافة العلوم والمعارف أنارت الطريق أمام الأجيال التي تعاقبت طوال قرون عديدة ولا تزال من المناهل العذبة التي ينهل منها طلاب الحقيقة .

ولا غرو فإن مرتبة الداعي المطلق قد زالت بزوال التنظيمات الدعاوية اثر انقسام أهل الدعوة إلى نزارية ومستعلية بعد انتقال الإمام المستنصر بالله في ١٢ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجرية حيث ودعت الدعوة النزارية مصر وانتقلت الى فارس فأجرى الإمام النزاري بعض التعديلات التي تتناسب مع ظروفه وعصره ، ولكن القسم الخاص بالدعاية الدينية ظل قريب الشبه من النظام السابق ، مع ان عدد الدعاة نقص وتقلص ، فالإمام النزاري جعل رتبة (الشيخ) بدلاً من رتبة (داعي الدعاة) وعين لكل شيخ من شيوخ القلاع والحصون النواب وعدداً غير محدود من الدعاةالذين كانوا يدعون الناس للمذهب النزاري .

وإلى جانب التنظيمات الدعاوية الدينية أوجد التنظيمات العسكرية والسياسية ، أي الفدائية ، وهؤلاء كانوا يتبعون مباشرة لمركز الامامة أو لنائب الامام في قطره ، ويتلقون الأوامر والمهمات السرية منه مباشرة .

أما الفرع الآخر ـ المستعلية ـ فقد لقبوا بالبهرة ، وانقسموا بدورهم الى فرقتين : البهرة السليمانية والبهرة الداوودية . ومع مرور الزمن تبدلت التنظيمات القديمة التي كانت معروفة في السابق لدى الجميع ، وأصبح لهم في كل بلد من البلدان التي فيها جماعة منهم ، رجل من رجال الدين يسمونه (العامل) وهو المكلف بالاشراف على كافة الشؤون الدينية للأتباع .

ولما كان هؤلاء الجماعة يعتبرون إمامهم في دور الستر والغيبة فقد أجازوا للداعي المطلق أن ينوب مناب الإمام ويتسلم الزعامة والقيادة عن طريق المبايعة والأرث ، ومنحوه كافة السلطات الممنوحة للامام بإعتباره نائب الغيبة يحق له أن يقوم مقام الحدود العلوية التي تقدمته وغابت هي ايضاً بغياب

الإمام .

أما الفرع النزاري الذي أسس دعوته في ايران ونظمها تنظيماً يتفق مع حاجة هذا الفرع العسكرية والسياسية فقد انتقل مقر إمامته الى الهند حيث اصبح يعرف بالخوجة أو الآغاخانية بعد حروب خاضها الاتباع في بلاد فارس أدت الى رحيل الأئمة واستقرارهم في الهند .

ومن الملاحظ ان هؤلاء قد اعتمدوا على أحدث التنظيمات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والصحية ، وعزفوا عن التنظيمات الدعاوية التي كانت معروفة في العهد الفاطمي والغوا كافة المراتب ، واستعاضوا عنها بتسميات جديدة تتفق مع بيئتهم ومحيطهم ،ولا تزال سائدة في مجتمعهم حتى اليوم ، وربما كانت هذه التسميات مأخوذة عن الهندوكية أو أوجدها بعض أئمة هذا الفرع الذين لا يزالون على رأس أتباعهم حتى هذا العصر .

المفتاح السادس
« المـأذون »

تنقسم رتبة الداعي المأذون إلى قسمين : المأذون المطلق وله رتبة أخذ العهد والميثاق ، وتعريف الحدود السفلية الدينية والعبادة الظاهرة . والمأذون المحدود وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة عن طريق المجادلة والاقناع والتشكيك ، يؤازره في مهمته عدداً من الأجنحة واللواحق والمكاسرين ، الذين يستخدمهم المأذون في مجادلة العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس ، وكأنهم تلاميذ يريدون الافادة من أساتذتهم ، دون أن يخالج الشك العلماء والفقهاء أو الجماهير الملتفة حولهم للأخذ عنهم ، بأن من يجادلهم ويناقشهم مناقشة علمية عنيفة أنه من الدعاة ، وفي أغلب الأحيان يظهر عجز العالم عن الجواب الصحيح على السؤال الذي طرحه الداعي ، أو تبدو منه اخطاء فيسخر منه الداعي ويتركه ، وهنا تظهر عبقرية الداعي فيسرع إليه الناس يلتمسون منه الجواب الشافي عن السؤال الذي طرحه والموضوعات التي ناقش العالم فيها .

ولقد كان الداعي المأذون معروفاً بغزارة العلم وحسن السيرة والسلوك مما جعل هؤلاء الطبقة من الدعاة قدوة ، ومثالاً يجسد الحقيقة ، وينمي المناقب السامية بين المؤمنين ، من علم وتقوى وصدق وأمانة وطاعة وهداية إلى الحكمة وطريق الرشاد حيث السعادة في الدنيا والآخرة .

وأوجب نظام الدعوة على المأذون أن يجتاز مراحل تعليمية محددة تتضمن كافة العلوم التي كانت معروفة في تلك العصور ، حيث ينال مرتبته التي اختير لها عن جدارة علمية فائقة واجتهاد منقطع النظير .

ولا بد للمرشح لمرتبة المأذون من أن يكون قد اجتاز مراحل وحلقات من العلم الحقاني الهادف الى فتح المدارك الروحية وتنمية المواهب العقلية ، ويمتحن امتحاناً عسيراً في علم التوحيد والتجريد والتنزيه ، والباطن والظاهر ، والتأويل والتنزيل ، والحلال والحرام ، والحق والباطل ، ومعرفة الحدود العلوية والعالم الروحاني والجرماني ، وحركات الكواكب والافلاك والأجرام ، ومطابقتها مع عالم الدين وعالم الأجسام الانسانية .

وينبغي للمأذون ان يتبحر في علم الهيئة والآفاق والأنفس لأن هذه العلوم هي الميزان والمحك الذي يعود اليه كل علم فما يوافقه فهو الحق المبين وما يخالفه فهو الضلال المبين .

وينبغي للداعي المأذون أن يلم إلماماً تاماً بعلم الطبيعة ، وعللها والحكمة فيها وعلم الهندسة والاعداد واصول المذاهب واختلاف أصحابها حتى اذا قرأ كتاباً أو سمع حديثاً يعرف ما يوافق الحق ويخالفه فيحكم بالعدل والانصاف ، ويرد الفرع إلى الأصل ويهدي الناس إلى الطريق المستقيم .

ويجب على الداعي المأذون حسب قانون الدعوة أن يعرف السياسة بأنواعها ودرجاتها الثلاث التي هي : سياسة الخاصة ، وسياسة الحامة ، وسياسة العامة ، فأول ما يحتاجه السياسة الخاصة وهي سياسة نفسه وقهرها ومنعها عن ارتكاب جميع الموبقات والمحرمات ، وردعها عن الشهوات ، ويعودها على القيام بفرائض الدين والسنن والتمسك بالفضيلة ليكون قدوة حسنة للمؤمنين .

فمن يستطيع ان يسوس نفسه ويربيها التربية الفاضلة المنسجمة مع الأخلاق الكريمة النقية الطاهرة يتمكن من سياسة غيره وهدايته إلى الفضيلة والايمان والتقوى ، ويردعه عن الاسترسال في الموبقات والرذائل .

ومن لا يحسن سياسة نفسه وسياسة أهل بيته فلا يصلح أن يكون داعياً ولا مرشداً ولا هادياً ، ولا يستطيع تدبير من هو سائسهم في صلاح معاشهم ، ومعادهم ، ولا يمكنه تأديبهم تأديباً شرعياً ، ولا يكون بمقدوره منعهم عن

الرذائل وتجنب المحرمات وحضهم على الفضيلة والتقوى .

فالداعي بالمفهوم الحقاني يحتاج أن يؤدب الداعي الذي هو دونه في العلم ويختبره ويمتحنه ويسوسه ، فيعاقبه ويثيبه ، كل بحسب منزلته ، حتى يساعده على بلوغ الحد الذي فوقه عن طريق التربية والتعليم على قدر منزلته واستحقاقه .

المفتاح السابع
« المكاسـر »

يعتبر المكاسر اصغر مرتبة في درجات الدعاة يختار اختياراً خاصاً ، ولا يسمح له بالمكاسرة والمجادلة إلا بعد امتحان عسير وتجارب كثيرة ، يخضع لها عند انتدابه لهذه المهمة الصعبة .

ومن الشروط الواجب توفرها عند انتقاء الداعي المكاسر والخصال التي يفرض أن يتحلى بها ، أن يكون من نفس البيئة التي يكاسر فيها ، ولد ونشأ بها ، حتى يكون معروفاً عند الجمهور ، ويجب أن يكون حسيباً ونسيباً بين قومه ، فالحسب والنسب يكسبانه بعض الاحترام والتقدير ، وأن يكون معروفاً بالصدق والأمانة والتقى والورع ، فهذه المناقب تزيده احتراماً في عشيرته .

فإذا وثق داعي الدعاة في الجزيرة في شخص تتوفر فيه هذه الشروط شرع في تعليمه العلوم الاسلامية حتى يتبحر فيها ، فاذا تم له ذلك ، أخذ يلقنه مسائل اختلاف المذاهب وآراء أهل الملل والنحل كلها من فرق اسلامية وغير اسلامية ، ويظهر له مواطن الضعف في كل مذهب وفي كل رأي وملة ، ثم يعلمه كيف يجادل في اختلاف هذه الآراء ، وكيف يناقش أصحابها ، فإذا تم له ذلك يبدأ الداعي في تدريبه على تفهم نفسية كل جماعة من الجماعات ، وكيف يخاطب كل طائفة من الطوائف حتى يستميل الناس إليه ، فإذا اتقن كل هذه الأمور ، وتدرب عليها ، ونجح فيها النجاح الملموس سمح له الداعي أن يكاسر ويجادل الفرق الأخرى دون ان يشعر أحداً بأنه ينتمي إلى مذهب أهل الحق بل يفرض عليه أن يكتم ذلك كتماناً شديداً ، ولذلك يجب ان يكون

المكاسر ذكياً ذا فراسة حتى لا يخطىء في معرفة نفسية المجتمع أو تقدير الناس الذين يخاطبهم ، فاذا فرض ووجد المكاسر أمامه خصماً عنيداً اكثر منه علماً وتبحراً في مختلف الفنون ، وجب عليه في هذه الحالة أن يلج في المسائل الفلسفية العميقة التي لا حد لها والتي لا يفهمها العامة ، ويدخل معه في مناقشات باطنية هي من صميم الفلسفة الحقانية التي لا يعرفها غير الدعاة . وبذلك يعظم شأن المكاسر في نظر العامة لأنه يتحدث عن أشياء لا يفهمونها ولا يعرفون كنهها .

فاذا كان هذا هو شأن المكاسر أصغر رتبة في دعوة أهل الحق استطعنا أن ندرك ما كان عليه امر كبار الدعاة على اختلاف درجاتهم وتباين مراتبهم .

وعندما يتوصل الداعي المكاسر الى اقناع أحد المستجيبين ممن يرغبون الوصول إلى معرفة الحقيقة ، يأخذه الى احد الدعاة الذين هم أعلى منه مرتبة ، فيلاطفه ويفاتحه في لين ورفق دون أن يظهر له صفته المذهبية أو شيئاً من عقائده ، بل يكتفي بإطلاعه على بعض المسائل المذهبية ويلمح له ببعض التأويلات الباطنية التي لا ضير في كشفها ، فاذا أصر المستجيب على الاستزادة من المعرفة أحاله إلى الداعي المأذون وهو من دعاة الليل الذي يبدأ بأخذ العهد والميثاق ، فاذا وثق بأخلاص المستجيب بدأ يكاشفه ببعض الأسرار الخفية التي لا ينفر منها ، ويتدرج به حتى يطمئن المأذون الى اخلاصه ، ويطمئن المستجيب الى الداعي ويثق به ، عندئذٍ ينقله الى الداعي الذي هو أرقى منه رتبة ، وهكذا يتدرج المستجيب بين الدعاة حتى يسمح له أخيراً بحضور مجالس داعي الدعاة في الجزيرة الذي له وحده الحق في ان يعلمه التأويلات الباطنية للدين والقرآن والحديث ، كما يعلم الدعاة فلسفة الدعوة وعلم الحقيقة ، في مجالسه الخاصة والعامة .

ولقد فرض نظام الدعوة شروط وخصال أوجب ان تتوفر في المستجيب وفي الداعي معاً لا بد لنا من الاتيان على ذكر بعضها كما وجدناه في كتاب الدعاة تعميماً للفائدة وتنويراً للأذهان .

ينبغي أن يكون الداعي سخياً ولا يكون بخيلاً فإن البخل لوم واللوم مذموم قال الله تعالى : ﴿ **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل** ﴾ وقال: ﴿ **و الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً** ﴾ واذا كان الداعي بخيلاً فالمستجيب يقتدي به ويتعلم منه البخل فيهلك . والدعوة تحتاج الى الانفاق على المستحق بحقه وعلى غير المستحق ليؤلف قلبه وربما يحتاج الى أن ينفق شيئاً في وقته وان لم ينفقه ويتوقف فيه ويبخل هلك أهل الجزيرة من المؤمنين ووقع الخلل العظيم . قال النبي : ما جبل الله ولياً إلا على السخاء . وقال : السخاء شجرة أصلها في الجنة من تعلق بغصن منها جره الى الجنة ، والبخل شجرة أصلها في النار من تعلق بغصن منها جره الى النار . وقيل : جاهل سخي خير من عالم بخيل . وقيل ان السخاء هو المحمود عند كل احد وفي كل ملة .

وينبغي أن يكون الداعي صادقاً ذا مروة وذا حياء وذا رأي وتدبير يوفي بالوعد ، كتوماً للسر مشفقاً على المؤمنين لا يشتغل بالتعصب والخصومة والمنازعة ، طيب الكلام عذب العبارات والبيان صبوراً حليماً سائساً لأن السياسة أصل الرياسة في الدين والدنيا ومن لا يحسن السياسة لا تتم له الرياسة .

ويجب ان يكون الداعي له أدب النفس مع العلم ، فإن العلم بغير أدب النفس لا يكون له قبول ولا لصاحبه حشمة ولا ينتفع بعلمه الناس . وينبغي أن يكون الداعي عارفاً بسير واخبار الأئمة وبتنظيمات الدعوة ومراتبها حتى يقتدي بهم ويسير بسيرتهم وسننهم .

ومن واجبات كل داعي جزيرة ان يعرف لسان أهل جزيرته ومذاهبها ، وبعلوم سكانها وطباعهم وعاداتهم وتقاليدهم وما إليه يتوقون من العلم والمعرفة حتى يمكنه مجادلتهم ومناظرتهم ومكاسرتهم ليقبلوا منه العلم ، وبنفس الوقت عليه أن يعرف مراتب علماء الجزيرة ومقدرتهم فيجلهم ويكرمهم ولا يأخذ الناحية المادية بعين الاعتبار لأن نفس العلماء غنية وكبيرة لا تحتمل الذل

والاستخفاف ، وانتقاد أهل العلم صعب ونكايتهم خفية ينتهزون الفرص السانحة للوثوب عليه في حالة زلة لسانه فيشهرون به ويشوهون سمعته ويبعدون الناس عنه .

وعلى الداعي أن يكون حسن الهندام ذا وقار وهيبة ولباس مرضي في قومه حسن الشمائل والخصال الحميدة التي تكسبه ثقة الناس ومحبتهم فيلتفون حوله ويستمعون لما يلقي من نصائح وعلوم ، ويبدي من أفكار وآراء ، ويجيب كل سائل على مقدار فهمه وعقله ودرجة ثقافته ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾ وكما قال النبي (ص) : « أمرت أن أكلم الناس على مقدار عقولهم » .

ويجب على الداعي أن يدقق ويمحص في اختيار الحاشية والمساعدين والبوابين والكتّاب الذين يكونون همزة وصل بينه وبين المؤمنين فيختار هؤلاء من ذوي الاخلاص والايمان العميق والصدق والأمانة كونهم سيجسدون الدعوة التي يقوم بها ويخالطون الناس الذين يأتون إليه حتى لا يجدوا سبيلاً إلى المقال في الدعوة ومنزلتها .

وينبغي على الداعي أن لا يكون كثير الكلام والانبساط مع أحد إلا في الحكمة والمعرفة ؛ وأن لا يكون متكبراً متعجرفاً فينفضون من حوله ، بل عليه أن يظهر التواضع ويعرف منزلة الناس في المحادثة والجواب . فيخاطب كل واحد منهم بما يستحقه ولا يخاطب غير المستحق .

هذه بعض الشروط والخصال التي فرضها نظام الدعوة على الدعاة وأوجب التقيد بها بدقة حرصاً على نظام الدعوة وعلى سمعتها بين الناس . مما أعطى للدعوة زخماً فكرياً واجتماعياً ومذهبياً أوصلها إلى طليعة الدعوات التي أنارت الطريق ، وصقلت العقول ،وهذبت الأنفس ورقتها إلى مستوى الكمال والمثالية .

الحلقة الرابعة

العبادة العملية ، العبادة العلمية ، التأويل ، المثل والممثول ، الشريعة والحقيقة ، العقل والقوة ، التقمص

المفتاح الأول
« العبادة العملية »

يقصد بالعبادة العملية علم الظاهر وهو ما يتصل بفرائض الدين وأركانه من صوم وصلاة وحج وزكاة وجهاد وولاية ، بالأضافة الى الاقرار بكافة الأمور الشرعية التكليفية التي أوجدها الأنبياء والرسل ووردت في الكتب المنزلة ، وابطال الرأي والقياس في كل أمور الدين ، ووجوب الأخذ عن الأئمة وحدود الدين .

ولقد أوجب علماء أهل الحق أن تكون العبادة العملية الشرعية بأتباع صاحب الناموس أي الإمام المنصوص عليه لتولي الدعوة والانقياد الى أوامره ونواهيه ، والمسارعة الى ما جاء به وقضاه وحكم به على من استجاب اليه من المؤمنين ، وتقرب إلى المبدع سبحانه بما ذكر أنه رضيه من القرابين ، والعبادات ،والطهارات ، والصلوات ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، والجهاد ، والسعي الى البيوت العامرة ، والبقاع الطاهرة ، والاقرار بكتب الله ، ورسله ، وملائكته ، ووحيه ، وما شاكل ذلك من موجبات احكام الشرائع واقامة النواميس ، والامتثال للأوامر والنواهي ، والاقتداء بأفعال النبي والأئمة ، والتشبه بهم في جميع أفعالهم ، لقوله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ .

وفي أعتقاد أهل الحق ان الولاية هي أفضل فرائض الدين ، لذلك فرضوا على المؤمن أن يطيع الامام رئيس الدعوة بعد اطاعة الله والاقرار برسالة الرسول ، فإن أطاع المؤمن الله تعالى ورسوله وقام بأركان الدين كلها ثم خالف الإمام ، أو كذب به ، فهو آثم في معصيته وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة الرسول ، استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله**

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ .

وأولي الأمر الذين أشار اليهم الله في هذه الآيةهم الائمة الذين قرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ، وأوجب سبحانه أن يقوم الإمام مقام الرسول فيما يتعلق به من أمر الدين ، وحفظ نظامه ، ويسهر على سير الشريعة الموضوعة ، والسنن المفروضة ، لصيانتها من التحريف والتبديل .

والعبادة العملية التي كلف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بوجوب القيام بها جنباً الى جنب مع العبادة العلمية تهذب النفس ، وتصقل العقول ، وتنمي روح الأخوة ، والتعاون لما فيه صالح المؤمنين في الدنيا والآخرة .

وعالج العبادة العملية دعاة علماء وبينوا في ابحاثهم وكتبهم ماهية هذه العبادة وشرحوا مضامينها وأهدافها وحضوا المؤمنين على ضرورة التمسك بها والعمل بموجب فروضها التي اعتبروها من دعائم الاسلام ، التي تنقذ النفس من الضلال وترشدها الى طريق الحق السوي .

وأكدوا بأن الله سبحانه وتعالى أوجب العبادة العملية كفرض واجب على المؤمن تأديته بأمانة واخلاص وتذلل وتواضع إلى جانب العبادة العلمية وما تتضمنه من معارف توحيدية وتأويلات باطنية وتنظيمات دعاوية تتفق مع كافة الأعيان الروحانية والصور الجسمانية .

وجعل علماء دعوة أهل الحق المعرفة العقلية شرطاً للايمان ، ودرجة أسمى إذا قيست إلى المعرفة الحسية ، لأن غاية المعرفة العقلية استيعاب ما يفيد النفس بتصور نقوش عالم الابداع وحقائق الأمور في موجوداتها ، ويصلها بما تدوم بدوامه ، ويعطيها الضياء العقلي والنور الأبدي ، ويحرسها من الاستحالة بأرتفاعها عن سلطان الطبيعة وإكتسابها صورة الملائكة ، وغاية المعرفة السعادة القصوى التي تتحقق من كمال العلم بمعرفة حقائق الموجودات ، وغاية الايمان هي التحقيق بالكمال العلمي ، بحيث تصبح النفس أهلاً لتلقي الضياء العقلي والنور السرمدي . وترتفع عن سلطان الطبيعة فتكتسب صورة الملائكة .

وذهبوا إلى أن العبادة العملية هي التمسك بالشريعة وتكاليفها وموجباتها وأحكامها تمسكاً واقعياً ، يحتم على الاتباع ألا يتسامحوا بتركها وإهمالها مع الرغبة الدينية الملحة بالتقيد في العبادة العلمية الباطنية الى جانبها ، مما يجعل النفس الانسانية مستعدة للظفر بالنجاة من العذاب الاليم وفائزة بالنعيم الدائم .

والعبادة العملية تعني بالمفهوم الحقاني ترويض النفس الانسانية على اعمال الشريعة ، وجعل اعضاء بدن الانسان مملوكة للأوامر الدينية ، ومتعرفة على قضايا الأمور الشرعية التي تحرم فعل الشر وتحلل عمل الخير ، وتعد النفس اعداداً كاملاً على انماء قواها العقلية ، ثم السيرة الطيبة ، والحياة الخيرة الموافقة لمطالب العقل السليم ، التي تقود الانسان الى التقرب من الله وتفتح بصيرته على تعاليمه وارشاداته .

أما أركان الدين فقد جعلت سبعة هي : الطهارة ، الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج ، الجهاد ، الولاية . لا بد لنا من معالجة كل ركن من هذه الأركان كما عالجها دعاة أهل الحق وشرحوها وبينوا منافعها ، وفرضوا الاعتقاد والتمسك بها .

١ ـ الطهارة : يعني النظافة أي نظافة الجسم مما علق به من أوساخ واقذار وأحداث وأعداده اعداداً تاماً للقيام بالواجبات الشرعية المفروضة إستناداً إلى قوله سبحانه وتعالى يذكر عباده بالطهارة ، و ما جاء من الرغائب فيها ، قال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، وإن كنتم جنباً فاطهروا ،** ﴾ وقال جل ثناؤه : ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين .** ﴾ .

ولقد وضع فقهاء الدعوة شروط وأساليب فقهية مستمدة من الشريعة ومن أحاديث الرسول والأئمة حددوا فيها كيفية الطهارة للجسم قبل القيام بأي فرض من الفروض الدينية وخاصة الصلاة فأوجبوا الوضوء قبل ممارسة الصلاة

ليكون المؤمن طاهراً من كل حدث أو جنابة أو مجامعة .

وأوجبوا الوضوء والطهارة قبل كل صلاة إذا أحدث من يرغب في الصلاة وذلك استناداً الى قول النبي (ص) : لا صلاة إلاّ بطهور . وقول أبي عبد الله جعفر بن محمد : لا يقبل الله الصلاة إلا بطهور ، وعن علي (ع) انه كان يجدد الوضوء لكل صلاة ، يبتغي بذلك الفضل الأعلى أن ذلك يجب إلاّ من حدث ، وعن رسول الله (ص) انه كان يجدد الوضوء لكل صلاة ، يبتغي بذلك الفضل ، وصلى يوم فتح مكة الصلوات كلها بوضوء واحد .

وروينا عن جعفر بن محمد (ع) ان الوضوء لا يجب إلا من حدث ، وأن المرء إذا توضأ صلى بوضوئه ذلك ما شاء من الصلوات ، ما لم يحدث أو ينم أو يجامع ، أو يغم عليه ، أو يكن منه ما يجب له إعادة الوضوء ، وهذا إجماع .

ومن الطبيعي ان يتعرضوا إلى آداب الوضوء كما روي عن الأئمة الذين أمروا بستر العورة وغض البصر عن عورات المسلمين ، وأن عورة الرجل ما بين الركبة إلى السرة ، والمرأة كلها عورة . ونهوا المؤمن أن يكشف عورته وعليه أن يتحفظ ويتوقى .

وأشاروا إلى صفات الوضوء وأنه يجب أن يكون بنية ، ومن توضأ ولم ينو بوضوئه وضوء الصلاة ، لم يجز له أن يصلي به ، وقال رسول الله (ص) لا عمل إلا بنية ، ولا عبادة إلا بيقين ، ولا كرم إلا بالتقوى .

وعن علي (ع) انه قال : ما من مسلم يتوضأ فيقول عند وضوئه : سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ، إلا كتب في رق وختم عليها ، ثم وضعت تحت العرش حتى تدفع إليه بخاتمها يوم القيامة .

وتشتمل الطهارة على الوضوء والاستنجاء بالماء والسواك والمضمضة والاستنشاق والغسل والمسح ، وحدد علماء الدعوة صفات المياه الواجب استعمالها في التطهير والاغتسال وذكروا طهارات الأبدان والثياب والأرضين

والبسط ، والتيمم وطهارات الأطعمة والأشربة وطهارات الفطرة والجلود والعظام والشعر والصوف ، والحيض والاستبراء . وجعلوا لكل هذه الأمور شروط فقهية مستمدة من أقوال الأئمة في هذا المجال .

٢ ـ الصلاة : قال الله عز وجل : ﴿ **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً .** ﴾ .

وروينا عن جعفر بن محمد(ع) انه قال في قول الله عز وجل موقوتاً ، قال: مفروضاً . أي أن الصلاة قد فرضها الله سبحانه وتعالى على كل مسلم ومسلمة وأمره أن يقيمها بأتجاه القبلة . وعن أبي جعفر محمد بن علي (ع) انه سئل عما افترض الله من الصلوات ، فقال : افترض خمس صلوات في الليل والنهار سماها في كتابه ، قيل له : سماها ؟ قال : نعم ، قال الله عز وجل : ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ،** ﴾ فدلوك الشمس زوالها ، وفيما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل أربع صلوات سماهن وبينهن ، وغسق الليل انتصافه ، ثم قال : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً** ﴾ فهذه الخامسة ، وقال تعالى : ﴿ **أقم الصلاة طرفي النهار ،** ﴾ وطرفاه المغرب والغداة ، وزلفاً من الليل ، صلاة العشاء الآخرة ، وقال تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات** ﴾ والصلاة الوسطى ، وهي صلاة الجمعة ، والظهر في سائر الأيام ، وهي أول صلاة صلاها رسول الله (ص) ، وهي وسط صلاتين بالنهار ، صلاة الغداة وصلاة العصر .

وحدد علماء دعوة أهل الحق عدد ركعات الصلوات الخمس بسبع عشر ركعة فريضة وذلك باجماع المسلمين ، فقالوا أن صلاة الظهر أربع ركعات ، يخافت فيها بالقراءة ، ويجلس فيها جلستين ، جلسة في كل مثنى للتشهد ، والعصر مثلها ، والمغرب ثلاث ركعات ، يجهر في الركعتين الأوليين بالقراءة ويتشهد بعدهما ، ويقوم ويصلي ركعة يخافت فيها ، ويجلس ويتشهد وينصرف ، والعشاء الآخرة كالظهر إلا أنه يجهر في الركعتين الأوليين بالقراءة ، وصلاة الفجر ركعتان ، يجهر فيهما بالقراءة ، ويقنت قبل الركوع في

الركعة الأخرى .

فهذا عدد ركعات الصلاة الخمس وهي فريضة ، والسنّة مثلها .

ولقد حض الأئمة على الصلاة وأمروا بأتمامها ، ووعدوا بالثواب عليها ، لذلك أوجبوا على المؤمنين القيام بها بأوقاتها ومعرفة حقوقها لأنها أحب الأعمال الى الله تعالى .

وأشار القاضي النعمان بن محمد في كتابه دعائم الاسلام إلى مواقيت الصلاة معتمداً في أقواله على ما ورد من أحاديث عن الأئمة والرسول ليكون المؤمن على بينة من أمرِه ، عندما يشرع في الصلاة . وتعرض الى ذكر الأذان وإقامة الصلاة وشرح كيفية الأذان الذي كان في عهد الرسول يقال فيه بـ « حيٌّ على خير العمل » ثم أمر عمر بقطعه وحذفه من الأذان والإقامة ، فقيل له في ذلك فقال : إذا سمع الناس أن الصلاة خير العمل تهاونوا بالجهاد وتخلفوا عنه . والصلاة عماد الدين فمن لا صلاة له لا دين له .

ويصف القاضي النعمان الصلاة والمساجد ، والجماعة والصفوف والإمامة والقراءة ،والركوع والسجود ،مستنداً إلى أحاديث الرسول والأئمة ، من آل البيت ، وإلى الدعاء بعد الصلاة ، واللباس في الصلاة ، وصلاة الجمعة والأعياد ، والسهو في الصلاة ، والوقت الذي يؤمر فيه الصبيان بالصلاة إذا بلغوا ، وصلاة المسافر ،وصلاة الكسوف ، وصلاة الاستسقاء ، والوتر وركعتي الفجر والقنوت ، والسنة والنافلة ، وقال بأن صلاة السنة استنها رسول الله (ص) وألزمها نفسه مع كل صلاة فريضة ، وألزمها الائمة من أهل بيته أنفسهم ، وأمروا أولياءهم بلزومها وهي مثلاً الفريضة .

وأما النافلة فهي تطوع وليس لها حد ، من شاء تطوع بما شاء من الصلاة في وقت تجب فيه الصلاة من ليـل أو نهار ، وفي ذلك ثواب عظيم على قدر مايتطوع به المتطوع .

٣ ـ الزكاة : رغب الله سبحانه وتعالى في إيتاء الزكاة والصدقة فقال:﴿قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلّى﴾، وقال :﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، ﴾ إلى قوله : ﴿ أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ .

وروينا عن جعفر بن محمد (ع) عن أبيه عن آبائه عن علي أن رسول الله (ص) قال : إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه ملكاً من خزان الجنة فيمسح صدره فتسخو نفسه بالزكاة .

وعن علي (ع) انه قال : للعابد ثلاث علامات ، الصلاة والصوم والزكاة ، وعن علي (ع) انه أوصى فقال في وصيته . . : وأوصي ولدي وأهلي وجميع المؤمنين بتقوى الله ، والله الله في الزكاة فإنها تطفىء غضب ربكم .

وروينا عن رسول الله (ص) انه قال في الزكاة : إنما يعطي أحدكم جزءاً مما أعطاه الله فليعطيه بطيب نفس منه ، ومن أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره . وعنه (ص) انه قال : ما هلك مال من بر ولا بحر إلا بمنع الزكاة ، فحصنوا أموالكم ، بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستدفعوا البلاء بالدعاء .

ولقد أورد القاضي النعمان بن محمد في كتابه دعائم الاسلام أحاديث كثيرة مروية عن الرسول وعن الأئمة من أهل بيته تحض المؤمنين على دفع الزكاة بإعتبارها تزكي الأموال وتطهر النفوس لأنها فرض أوجبه الله سنبحانه وتعالى ليدفع به عن أهله وامواله من الغرق والحرق والهدم والمصيبة والبلاء . فمن منح الزكاة والصدقة فقد أعطى الله عز وجل ، ومن منعها فقد منع الله عز وجل .

وحدد القاضي النعمان وهو يتحدث عن الزكاة الصدقات وانواعها وكيفية دفعها إلى من يستحقها مستنداً فيما ذهب إليه إلى اقوال الائمة وإلى

الآيات القرآنية التي وردت بهذا الشأن مفضلاً أن تكون كافة أعمال البر سراً ، خاصة ما كان منها واجباً مفروضاً فأفضله ان يعلن به .

وعن علي (ع) ان رسول الله (ص) قال : السائل رسول رب العالمين ، فمن أعطاه فقد أعطى الله عز وجل ، ومن رده فقد رد الله عز وجل . وعن (علي (ع) انه قال : ردوا السائل ولو بشق ثمرة ، وأعطوا السائل ولو جاء على فرس ، ولا تردوا سائلاً ذكراً أو أنثى بليل ، فإنه قد يسأل من ليس من الجن ولا من الإنس ، ولكن ليزيدكم الله به خيراً .

ولقد أوجب فقهاء أهل الحق ان تدفع الزكاة إلى أهلها وغلظوا في منع الزكاة أهلها ، وأشاروا في مؤلفاتهم الفقهية إلى مقدار الزكاة عن الأموال والفضة والذهب والجواهر، فقالوا بأن الرسول كان يأخذ ربع العشر أي من عشرين مثقالاً نصف مثقال ، وليس فيما دون ذلك شيء ، هذا في الذهب . وفي كل عشرين ديناراً نصف دينار . وليس فيما دون العشرين شيء ، وفيما زاد على العشرين بحسابه يؤخذ من كل ما زاد ربع العشر .

وعن علي (ع) انه قال : ليس دون المائتي درهم زكاة ، وفي مائتي درهم خمسة دراهم ، وما زاد ففيه ربع العشر ، ومن كان عنده ذهب لا يبلغ عشرين ديناراً أو فضة لا تبلغ مائتي درهم ، فليس عليه فيه زكاة .

وأوجب فقهاء الدعوة الزكاة على المواشي والحبوب والثماروالنبات ، وأكدوا على ضرورة دفع زكاة الفطر لقوله تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ .

روينا عن جعفر بن محمد (ع) انه قال : في قول الله تعالى : ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ قال : أدى زكاة الفطر ، (وذكر اسم ربه فصلى) يعني صلاة العيد في الجبانة .

وعن أبي جعفر بن علي (ع) انه سئل عن زكاة الفطر ؟ فقال : هي الزكاة التي فرضها الله عز وجل على المؤمنين مع الصلاة بقوله : ﴿ **وأقيموا**

الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ على الغني والفقير ، والفقراء هم جل الناس ، والأغنياء أقلهم ، فأمر كافة الناس بالصلاة والزكاة .

وعن علي (ع) ان رسول الله (ص) قال : تجب صدقة الفطر على الرجل عن كل من في عياله وكل من يمون من صغير أو كبير ، حرٌّ أو عبد ، ذكر أو أنثى ، عن كل أنسان صاع من طعامه ،

٤ ـ الصوم : لقد فرض الله سبحانه وتعالى الصوم على عباده ، وهو صوم شهر رمضان في كل عام بنية صادقة ، لقوله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** .

وروينا عن جعفر بن محمد (ع) انه قال : صوم شهر رمضان فرض في كل عام ، وأدنى مايتم به فرض صومه العزيمة من قلب المؤمن على صومه بنية صادقة ، وترك الأكل والشرب والنكاح في نهاره كله ، وأن يجمع في صومه التوقي لجميع جوارحه وكفها عن محارم الله ربه متقرباً بذلك كله إليه ، فإذا فعل ذلك كان مؤدياً لفرضه .

وعنه عن آبائه عن فاطمة بنت رسول الله (ص) انها قالت : ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه ؟ .

وعن جعفر بن محمد(ع) انه قال : لا صيام لمن عصى الإمام ، ولا صيام لعبد آبق حتى يرجع ، ولا صيام لأمرأة ناشزة حتى تتوب ، ولا صيام لولد عاق حتى يبر .

وعن رسول الله (ص) انه قال : لكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام .

وعنه (ص) انه قال : يقول الله عز وجل : **الصوم لي وأنا اجزي به ، وللصائم فرحتان ، فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه،** والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من رائحة المسك .

ولقد حدد فقهاء دعوة أهل الحق الدخول في الصوم استناداً على ما جاء بالقرآن الكريم وما ورد من أحاديث الأئمة والرسول (ص) في هذا المقام وذكروا ما يفسد الصوم ، وما يجب على من أفسده ، وأشاروا الى الصوم في السفر والعلل العارضة التي تؤدي بصاحبها إلى عدم الصوم والإفطار ، وذكروا صيام السنة والنافلة وما يترتب على المؤمن القيام به من هذه الفريضة التي أوجبها الله سبحانه وتعالى وحرص على وجوب التمسك بها .

وبحثوا حول ليلة القدر وعلاماتها وذكروا الاتباع بضرورة ترقبها في ليلة إحدى وعشرين ، وليلة ثلاثة وعشرين ونهوا عن النوم في تلك الليلة لأن من وافق ليلة القدر فقامها ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

والدخول في الصيام يكون كما أشار الأئمة وفقهاء دعوة أهل الحق يكون في مطلع شهر رمضان أي في فجر اليوم الأول منه حيث يحرم الطعام على الصائم ، وينبغي لمن شك في أول شهر رمضان أن يصوم اليوم الذي لا يستيقن أنه من شهر رمضان تطوعاً على انه شعبان . فإن وافى به شهر رمضان وعلم بعد ذلك أنه كان منه قضى يوماً مكانه .

ولدعاة أهل الحق في صوم رمضان أنظمة خاصة واجتهادات بخصوص تحديد وقت الصوم والفطر ، وتعيين أول رمضان وليلة عيد الفطر تختلف عما يذهب إليه جمهور أهل العامة فهم يكملون رمضان ثلاثين يوماً في كل عام ولا يلتزمون برؤية الهلال ، بل يعتمدون على تقويم خاص وحسابات دقيقة .

يقول المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة في المجلس الثاني والأربعين من المائة الأولى من المجالس المؤيدية[1] : « . . . لقد زعم الزاعمون ان شهر رمضان يتم تارة وينقص أخرى ، وأن صيامه مبني على

---

(١) المائة الأولى من المجالس المؤيدية صفحة ٢٠٦ تحقيق مصطفى غالب منشورات دار التراث الفاطمي - بيروت .

رؤ ية الهلال ، واحتجوا فيه بقول النبي (ص) : صوموا لرؤ يته ، وافطروا لرؤ يته ، فإن غم عليكم فأكملوا ثلاثين .

وهذا القول فاسد من عدة وجوه ونحن نذكرها ونقيم الأدلة على كون شهر رمضان كاملاً أبداً لا يعتريه النقص بحال من الأحوال ، ونبدأ بالرد على من احتج بالخبر : صوموا لرؤ يته وافطروا لرؤ يته ، فنقول : انكم معترفون بكون مقتضى هذا الخبر ان رسول الله (ص) أراد التوجه في بعض الغزوات في القرب من شهر رمضان فأجتمع إليه أصحابه فقالوا : يا رسول الله (ص) كنا نصوم بصومك ، ونفطر بإفطارك فكيف يجري حالنا في غيبتك ؟ فقال رسول الله (ص) : صوموا لرؤ يته وافطروا لرؤ يته ، فقد دل جيز الخبر على وجوب الصوم بصوم الرسول اذا كان حاضراً أو من يقوم مقامه اذا كان غائباً ، ووجوب الفطر بإفطاره ، وان الصوم على رؤ ية الهلال من قضايا الضرورة ، وفي حين عدم وجود الرسول أو الإمام الذي يقوم مقامه ، فإذا كان الرسول حاضراً أو الإمام حاضراً كان قانون الفرض أن يصام بصومه ويفطر بإفطاره ، كما قال القوم للنبي (ص) : كنا نصوم بصومك ، ونفطر بإفطارك . وأما قول من قال : ان النبي (ص) كان يصوم برؤ ية الهلال فهو فاسد في ثلاثة أوجه : وجهان منها شرعيان ، ووجه عقلي ، فأما أحد الوجهين فمعلوم أن النبي (ص) كان يقول وهو الصادق ان الروح الأمين جبرائيل يغشاه بكرة وعشياً بالوحي والقرآن الكريم ، ومن كان جبرائيل يأتيه بكرة وعشياً بأخبار السماء فلا حاجة به إلى أن يقلب وجهه فيها يطلب الهلال ، وعنده من يأتيه بالخبر اليقين ، ولو أنه برز إلى السماء يطلب هلالاً لكان تعليلاً لقوله انه يهبط عليه جبرائيل فكان يقال له : هلا سألته عن ذلك فغنيت به عن الطلب ؟ .

والوجه الثاني الآخر أنه مأثور عنه (ص) في الأخبار أنه قال : أنا بطرقات السماء أعرف منكم بطرقات الأرض ، فلو أنه بعد هذا القول شوهد يطلب هلالاً لقيل له : فأين قولك بالأمس انك بطرق السماء أعرف

منا بطرقات الأرض ؟ .

واما الوجه العقلي فمعلوم أن النبي (ص) منزه عن أن يخفى عليه من حال الاختلاف في مطالع الأهلة ومراقيها ، إلا ما يكاد يخفي على منجم ، وأن أوضاع الأرض أيضاً مختلفة فمنها مرتفع يقضي بأن تكون رؤية الهلال فيه أسرع مثل رؤوس الجبال وما يجري مجراها ، ومنها متسفل يقضي أن تكون الرؤية فيه أبطأ ، واذا كان معلوماً من حاله (ص) ان ذلك مما لا يخفى عليه فلو خفي لكان أكبر نقيصة ، وحاشاه من النقائص ، فكيف يوجب العقل مع معرفته بأختلاف المرائي أن يفرض فريضة الصوم المتعلقة بفريضة الحج على الناس كافة على بنية واحدة وهو يعلم أنها لا تصح لأن قوماً يرون في ليلة ما وقوماً لا يرون ، ثم لا تصح ان يوماً واحداً يكون من شعبان حيث لا يرى من رمضان حيث يرى ، أو رمضان حيث لا يرى وشوال حيث يرى ، هذا مما لا يشك فيه عاقل ، ولا يعرفه إلا جاهل ، وسوى هذا فقد قال الله في محكم كتابه : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ .

والذين من قبلكم مشار به الى النصارى وصيامهم غير متعلق بالرؤية بل بالحساب ، ثم قال سبحانه تأكيداً : ﴿أياماً معدودات﴾ والأيام المعدودات هي التي لا تزال معدودة لا يحتاج فيها الى رؤية ولا نظر ، فلو كان يحتمل أن يكون شهر رمضان تارة ثلاثين وتارة تسعة وعشرين لما قال أياماً معدودات ، قطعاً ، وهي مثل قول القائل : هذا حساب محسوب ، وهذه دراهم معدودة .

وقول آخر : لما كان موضوع السنة أن يكون ستة أشهر منها كاملة وستة ناقصة ، وجب أن يكون أصلها وبنائها موضوعاً على الكمال دون النقصان ، فالشهر الأول الذي هو المحرم كامل وصفر ناقص وربيع الأول كامل وربيع الآخر ناقص ، وجماد الأول كامل وجماد الآخر ناقص ، ورجب كامل وشعبان ناقص ، ورمضان كامل ، قال النبي (ص) : ما

تم شعبان ولا نقص رمضان . والدليل على نقصان شعبان ليلة النصف منه ولا نصف لرجب ولا لشهر رمضان ، وذلك ان ليلة النصف من شعبان ليلة الخامس عشر منه ،! وهذه الليلة ليلة النصف بالحقيقة لكون اربعة عشر قدامها وأربعة عشر خلفها ، وهي في النصف ، ولا يكاد يصح ذلك في شهر رمضان لأنه ان جعلت ليلة الخامس عشر منه النصف لم يصح ، فقد بقي في الشهر ستة عشر يوماً ، وان جعلت ليلة السادس عشر لم يصح فليس السادس عشر نصف الثلاثين ، ومما يدل على كمال شهر رمضان أيضاً موضوع أمر الكفارة على من أفطر فيه يوماً متعمداً وهو أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله وهي مثلاً شهر رمضان ستين يوماً ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ، ولو كان يحتمل أن يكون رمضان تسعة وعشرين يوماً لأحتمل أن تكون الكفارة اطعام ستين مسكيناً أو ثمانية وخمسين مسكيناً .

ويقول حجة العراقين احمد حميد الدين الكرماني في كتابه (الرسالة اللازمة في شهر رمضان) : إن الله أوجب على عباده في نص كتابه الصوم بقوله تعالى : ﴿ **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياماً معدودات** ﴾ وقال النبي (ص) شعبان شهري ورمضان شهر الله وصومه فرض ،وقال الأئمة عن صوم رمضان أنه فريضة على كل مسلم . ولما فرض الله صوم شهر رمضان على عباده لم يتركهم النبي (ص) في العمى عن معرفة وقته وحينه كما لم يتركهم في الجهالة بمعرفة غيره من الفرائض عن اعداد الصلاة وأوقاتها حين فرضها ، وكمية الزكاة في اعيان الأشياء حين أوجبها ، فقال : « صوموا لرؤ يته وافطروا لرؤ يته » .

وهذه الرؤ ية لا يكاد يقع خلاف بين الفرق من المسلمين ، وهي عماد أهل الظاهر في احتجاجهم ، فتقول : ان الله خلق الأشياء كلها أزواجاً ليكون المتفرد بالوحدانية هو ، فلا يشاركه فيها شيء ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **سبحان الذي خلق الأزواج كلها** ﴾ وقال تعالى :﴿ و

من كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ ولما كان ذلك كذلك ورأينا الأشياء كلها أزواجاً وأشكالاً ، كالجوهر والعرض والسماء والأرض والبر والبحر والسهل والجبل والليل والنهار والخير والشر والجسد والروح والظاهر والباطن والدنيا والآخرة والذكر والأنثى وغير ذلك مما يطول ذكره .

ورأينا النبي (ص) جعل أساس شريعته وقاعدتها على الزوجية حيث قرن الأوامر والفرائض بأقرانها ، دلالة على ما قلناه من تجريد توحيد الله تعالى مثل الصلاة التي قرنها بالزكاة ، والأذان التي قرنه بالاقامة ، والحج الذي قرنه بالعمرة والصفا الذي قرنه بالمروة والفريضة التي قرنها بالسنة ، والركوع الذي قرنه بالسجود ، والشهادة بأن لا إله إلا الله التي قرنها بشهادة ان محمداً رسول الله ، وأشباه ذلك مما يطول ذكره . قلنا : الرؤية ايضاً رؤيتان أحداهما مقرونة بالأخرى : رؤية طبيعية ورؤية نفسانية ، فالرؤية الطبيعية ما يكون بالعين وهي التي تدرك الألوان من بياض وسواد وحمرة وصفرة وغيرها ، والأشكال من تدوير وتثليث وتربيع وتخميس وغير ذلك ، والإحتجاج على ذلك مستغنى عنه لوقوعه تحت الحس . والرؤية النفسانية ما يكون من جهة العلم والقلب والنفس وهي تدرك ما لا تدركه الرؤية الطبيعية من الأسماء التي تغيب الأسباب عن ادراكها إياها . قال الله تعالى : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ وقال : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ وقد علمنا أن النبي (ص) لم يكن في زمان أصحاب الفيل فيراهم . وإنما المراد به رؤية النفس التي يكون من جهة الفؤاد والعلم ، ويقال أيضاً في المثل : « فلان أعمى القلب » بمعنى أنه بليد متأخر عن معرفة الأشياء ورؤيتها على حقيقتها ، فلما صح بما أوردناه أن الرؤية رؤيتان كالأشياء كلها فيما تنقسم اليه من حالين ووجهين ، ليخلص توحيد الله تعالى فلا يشاركه في الوحدانية شيء . قلنا لما كانت الرؤية الطبيعية التي هي من جهة العين لا تدرك من الأشياء إلا ما كان جسمانياً واقعاً تحت الحد والزمان مثل الألوان والأشكال ، وكانت

الرؤ ية النفسانية التي هي من جهة الفؤاد والعلم دراكة لما لا تدركه الرؤية الطبيعية ، وما تعجز عن ادراكه مما يغيب عن الأبصار جميعاً كان من القضية بأن الرؤ ية النفسانية التي تكون من جهة الفؤاد ، والعلم أجل من الرؤ ية الطبيعية التي تكون من جهة العين والبصر وألطف ادراكاً اذ كان فعلها في معرفة الأشياء وإدراكها على حقائقها لا كالبصر فإن إنساناً لو اخذ من غدير ما قطرة حكمت الرؤ ية النفسانية بأن كمية ذلك الماء قد انتقصت بقدر القطرة ورأت في ذلك رؤ ية صحيحة وكان ذلك النقصان للحس من جهة العين والبصر غير واقع . ولما كانتِ الرؤ ية النفسانية أدق وألطف ادراكاً كان الأخذ في أداء فرائض الله تعالى بها ألزم من الأخذ بغيرها وأولى .

لذلك أوجب علماء دعوة أهل الحق عند دخولهم الصوم أن يكون بحكم الرؤ ية النفسانية التي لا يقع فيها خطأ ، على ان يكون شهر رمضان ثلاثون يوماً ، وفق تقويم حسابي خاص ، وأما من كان من المؤمنين مع الإمام أو بحيث يبلغه أمر الإمام فيصوم بصوم الإمام ويفطر بإفطاره . والإمام عليه السلام ينظر في ذلك ويعنى به كما يعنى وينظر في أمور الدين كلها التي قلده الله النظر في أمرها . ولا يصوم ولا يفطر ولا يأمر الناس بذلك إلا على يقين من أمره وما يثبت عنده .

٥ ـ الحج : قال الله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً . ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ ومضمون هذه الآية يوجب الحج على الناس جميعاً بإعتباره فرض من الله سبحانه وتعالى ، وشريعة من شرائع الإسلام ، رغب به الرسول (ص) والأئمة والفقهاء والعلماء ، وذكروا كيفية الحج ودخول مدينة النبي وما ينبغي أن يفعله من دخلها زائراً يريد الحج ، وأشاروا إلى مواقيت الإحرام التي وقتها رسول الله (ص) والتقليد والإشعار والتجليل والتلبية ، وما يحرم على المحرم في حال احرامه ، وما يجب عليه اذا أتى ما يحرم عليه ، والطواف ، والخروج إلى منى والوقوف بعرفة ، والدفع من عرفه الى المزدلفة ، ورمي الجمار ،

والحلق والتقصير ، وما يفعله الحاج أيام منى ، والنفر من منى ، والعمرة المفردة ، والصد والإحصار ، والحج عن الزمني والأموات ، وفوات الحج .

هذه الواجبات ذكرها دعاة أهل الحق في مصنفاتهم ودعموها بأحاديث وأقوال مروية عن الرسول (ص) والأئمة من آل البيت وحضوا المؤمنين على التقيد بها وتنفيذها لتكون فريضة الحج تامة كاملة .

٦ ـ الجهاد : فرض الله سبحانه وتعالى الجهاد على الناس في سبيله على من آمن به فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **كتب عليكم القتال** ﴾ وهو يعني قتال المشركين الذين دفعوا رسالة الرسول وأنكروا نبوته وناصبوه البغضاء والعداء ، فمن أراد الجنة والقرب من الله تعالى فليجاهد في سبيل الله .

ولقد رغب الرسول والأئمة من أهل بيته بالجهاد ووضعوا له شروطاً وواجبات ففرضوا على الناس اتباعها والتقيد بها لقتال المشركين والمخالفين وأهل البغي والضلال .

٧ ـ الولاية : تعتبر ولاية الأئمة المنصوص عليهم من أهل البيت بالنسبة لدعوة أهل الحق أصل من أصول الدين وفرض من الفروض التي أوجبها الله سبحانه وتعالى على الناس كافة ، وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة الرسول (ص) . لذلك نرى علماء أهل الحق قد جعلوا الولاية المحور الأساسي الذي يدور عليه الدين كله ، وقالوا بأن الولاية أفضل الفرائض الدينية وألزمها ، فمن صدقت ولايته وأقر بإمامة الإمام المعصوم واعترف بأنه القائم مقام الرسول (ص) في المحافظة على الشريعة من التحريف والتبديل ، وصيانة أحكامها ، وتطبيق نصوصها .

وتستمر الولاية أي الامامة ، بموجب النص مدى الدهر ، والنص بمقتضى الأصول والأحكام الحقانية يجب ان يكون في الأعقاب ، أي ان ينص الإمام المنحدر من صلب الإمام علي بن أبي طالب (ع) ـ الذي يعتبر صاحب الحق الأول والأخير في الإمامة وقيادة المؤمنين بعد وفاة الرسول (ص) ـ على امامة من يراه أهلاً لتسلمها من عقبه .

والإمام بما أوتيه من حكمة يعرف أي أبنائه يستحقها ، ومن هو صاحب الأهلية لتوليها ، ومن هو مالك العصمة الذاتية للاضطلاع بها .

ولقد صنف علماء الدعوة الكتب والرسائل الكثيرة التي ذكروا فيها الولاية وواجباتها وشروطها ومتمماتها استناداً إلى ما جاء في القرآن الكريم وأ حاديث الرسول (ص) والمطابقات العلوية والسفلية وتحركات الكواكب والافلاك وما في جسد الانسان من اعضاء وحواس .

هذه هي العبادة العملية الظاهرة المفروضة على كافة المؤمنين والتي يجب التمسك بها والقيام بها بمقتضى الشرائع التي شرعها رسول الله (ص) إلى جانب العبادة العلمية الباطنة وما تتضمنه من أفكار عقلانية عرفانية وتأويلات فلسفية تنهد إلى تهذيب النفس وصقلها لتبلغ الأسمى والأكمل .

ولقد أوجب الأئمة في مختلف العصور على الاتباع ضرورة التمسك بالعبادة العملية والعلمية معاً وحظروا على المؤمنين عدم ترك احداهما والتمسك بالآخرى بل فرضوا ضرورة الاعتقاد بالعبادتين معاً ، ولهم أحاديث وارشادات وتعاليم تدعم هذا الاعتقاد .

أما ما يقال بأن بعض الأئمة قد رفعوا التكاليف الشرعية أي العبادة العملية الظاهرة عن الاتباع فغير وارد إذ من المستحيل ان يصدر عن الأئمة مثل هذه الأعمال التي تخالف ما شرعه الرسول (ص) وسنه وفرضه .

المفتاح الثاني
« العبادة العلمية »

العبادة العلمية أو علم الباطن يعتبر الأساس الفكري الذي انطلق منه علم الحقيقة العرفاني الذي نفذ إلى صميم واقع فلسفة عقلانية قلبت مفاهيم الفكر الاسلامي رأساً على عقب وأحدثت بين طبقاته وطوائفه ومذاهبه من التغيير والتطور ما تزال آثاره باقية إلى هذا العصر تفعل وتبني في المجتمع الاسلامي ، وتعمل على تفجير طاقات الفكر الاسلامي ، وجعله خصباً منتجاً يوزع العلم والمعرفة على العالم .

وتشمل العبادة العلمية على نظريات فلسفية وتأويلية ومقابلات ومطابقات كافة الموجودات التي أوجدها المبدع سبحانه وتعالى من عقول وأرواح ونفوس وأجرام وأفلاك وأجسام حيوانية وانسانية استخدمها دعاة أهل الحق للدلالة على التوحيد والتجريد والتنزيه لتسهل عبادة الباري سبحانه وتعالى ، ولمعرفة حقائق الأشياء بعللها ومعلولاتها ، وماهية طبائعها التي جبلت عليها ولمياتها ، التي وجدت لأجلها ، والإحاطة بجميع ذلك علماً كلياً بقدر طاقة الإنسان . فبهذا تنال الفضيلة الكلية . وترتسم الأنفس بالأخلاق الحميدة ، وتتنزه عن تعاطي الاوزار والفواحش وتلتزم العدل والإنصاف .

ولقد أوجب علماء أهل الحق ومفكريهم على المؤمن أن يقوم بالعبادة العلمية إلى جانب العبادة العملية وحظروا عليه أن يقوم بالواحدة دون الأخرى ، وأعتبروا ترك أحدى هاتين العبادتين مخالفة صريحة للتعاليم الاسلامية ، وخروجاً عن طاعة الله والرسول والأئمة ، ولا يقبل دينياً وعقائدياً الأخذ بالظاهر دون الباطن ، ولا بالباطن دون الظاهر ، بل على

المؤمن أن يأخذ بالعبادتين معاً ويصدق بما جاء به القرآن ويعمل بموجب آياته ظاهراً وباطناً .

وأمتد نشاط هؤلاء المفكرين والفلاسفة والعلماء الفكري إلى ما كان في عصرهم من علوم وفلسفة تتعلق بالتوحيد ، والمبدأ والمعاد ، والبعث ، والقيامة ، وأثبات العصمة للأنبياء والأئمة ، فعالجوها بأساليب علمية ، وتفاعلوا بالمد الفكري اليوناني ، وأعتمدوا على فلسفات وعلوم الأمم الأخرى لخلق مجتمع مثالي وفق أسس فلسفية تهدف إلى اسعاد الفرد وبناء صروح المجتمع على دعائم قوية من العدالة المنبثقة من تعاليم القرآن وارشادات النبي وأحفاده من الأئمة الأطهار .

ومن الواضح من خلال مصنفات أهل الحق أن هؤلاء قد أعطوا العبادة العلمية جل اهتمامهم فصاغوا أصولها وأحكامها على قواعد متينة مستمدة جذورها وفروعها من فلسفة كونية وتحركات فلكية ومطابقات العوالم الموجودة في هذا الكون بعضها مع بعض لاستخراج أسرار الدين ومعرفة جوهره .

ولقد ذهبوا في اعتقادهم إلى ان الباري سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات العلوية والسفلية بعضها ظاهراً جلياً وبعضها باطناً خفياً لا تدركه الحواس فمن الموجودات الظاهرة الجلية جواهر الاجسام وأعراضها ، ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفوس وحالاتها ، ومن الموجودات الظاهرة الجلية للحواس أيضاً أمور الدنيا ، ومن الموجودات الباطنة الخفية عن أكثر العقول أمور الأخرى ، ثم جعل ما كان منها ظاهراً جلياً دليلاً على الباطن الخفي فمن هذه المنطلقات ندرك أن أهل الحق قد أوجبوا لكل شيء ظاهراً وباطناً ، وأن أمور الدين كلها من الباطن الذي لا يدركه أحد ، إلا من خصوا بعلم الباطن ، لذلك جعلوا التأويل أساس يرتكز عليه علم الباطن ، وأن يكون التأويل القاعدة الأساسية لاستخلاص الباطن من الظاهر ولمعرفة الباطن بما هو في الظاهر .

ويختص طالب الهداية من المستجيبين بالعلم والعمل ، بعد التصديق بالرسل ، والأئمة ، وولاية أولياء الأمر من بعدهم . ويختص المؤمنين الذين قطعوا شوطاً في الدعوة ومعرفة حدودها بالعمل بظاهر الشريعة والإقرار بعلم باطنها ، وأنه الحق ، وترك التكذيب والإنكار له أو لشيء منه .

يقول المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الغالين ، والأئمة الذين أقامهم الله سبحانه للتعديل بين الظاهر والباطن والدعاء إليهما والبعث عليهما واعتقادهما عملاً وعلماً ، وكل منهما يؤكد صاحبه ويثبته ويؤيده وفق خلق الله الجسد والروح مقرونين ، فمن اعتقد ان للباطن قواماً دون الظاهر ، وللعلم قبولاً من دون العمل ، كان كمن أوجب للروح قواماً من دون الجسد ، وان النبي منزلته في الدين منزلة الذكر ، لا يظهر منه صورة المواليد لكون كلامه مجملاً غير مفصل بمقابلة النطفة التي هي جامعة للصورة الانسانية في حد القوة ، وليس فيها تفصيل الصورة ، وإنما تقوم وصية القابل منه بتفصيل الصورة ، كما تظهر من الأناث صورة المواليد التامة ، في أشكالها موفاة في نقوشها وحلاها .

ويقول أحمد حميد الدين الكرماني : « لا بد لكل محسوس من ظاهر وباطن ، فظاهره ما تقع الحواس عليه ، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه ، وظاهره مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه لقوله تعالى : ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** ﴾ وان كل ما جاء في الحديث والتنزيل شيء ، وكل شيء وإن كان واحداً فلا بد له من زوج ابانة لوحدة الباري البائن عن خلقه ، ولا يقوم شيء من دونه إلا بمزاوجة ، كالانسان ، الذي هو شخص واحد ، ولكنه جسد وروح ، فالجسد هو الظاهر والروح هي الباطن ، وكل واحد من الاثنين مركب من شيئين ، فالجسد مركب من البرودة واليبوسة ، والروح مركبة من الحرارة والرطوبة ، فإذا فارقت الروح الجسد بقي الجسد بارداً يابساً ، ولذلك كل ما في العالم اذا اعتبر لا بد له

من الأزدواج ، وذلك من معجزات وغرائب تأليفه ، أنه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره ومعنى في باطنه ، فجعل عز وجل ظاهره معجزة رسوله ، وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته » .

ويرى جماعة اخوان الصفا وخلان الوفا انه لا يصح القيام بالعبادة العلمية اذا كان مقصراً بالعبادة العملية ، لأن العبادة العملية هي الاسلام ، والعبادة العلمية هي الايمان ، ولا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون مسلماً ، لأن الاسلام سابق على الايمان : « فاعلم يا أخي ، انك متى كنت مقصراً في العبادة الشرعية ، فلا يجب لك ان تتعرض لشيء من العبادة الفلسفية ، وإلا هلكت وأهلكت وضللت وأضللت ، وذلك أن العمل بالشريعة الناموسية ، والقيام بواجب العبادة فيها ، ولزوم الطاعة لصاحبها ، والعمل بالعبادة الفلسفية الإلهية إيمان ، ولا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون مسلماً ، والإسلام سابق على الايمان » .

ويقولون في الرسالة الجامعة : « ومن أقبل على ظاهر الشريعة دون باطنها ، كان ذا جسم بغير روح ، ناقص آلاته ، فلا يزال مستخدماً في الشريعة ، مقارناً للطبيعة ، حتى يكتسب روحاً كاملة ، ونعمة شاملة ترفعه إلى السماء العالية ، والدرجات السامية ، ومن كان مقبلاً على العلوم الحقيقية والآراء الفلسفية ، والأسرار العقلية ، وهو متغافل عن إقامة الظواهر الشرعية ، والسنن التكليفية ، فهو ذو روح قد تعرت من جسدها ، وفارقت كسوتها الساترة لعورتها ، فيوشك أن تكشف سوءته ، وتنتهك في العالم عورته ، إذا خرج بصورته المجردة في غير أوانها ، ونطق بالحكمة في غير زمانها ، فلا شك أن حقه يزهق ، وشمله يتفرق ، وعلمه يتمزق ، أعاذنا الله وإياك يا أخي . . . والطريق الواضح القويم هو التمسك بظواهر النواميس الإلهية ، والفرائض الشرعية الدينية ، الذين امر الأنبياء بإقامتها على حقها ، ومعرفة حقائقها ، وحذروا من تركها ، والإهمال لها ، إذ حضروا أوقاتها . يعملون من الظواهر ما يأمرونهم ، ويقيمون ما أقاموه لهم منها ، ويتحققون من العلوم ما ألقوه اليهم من

حقائقها ، فهم بذلك آمنون يوم الفزع الأكبر . . . » .

ويقول أحمد حميد الدين الكرماني وهو يتحدث عن وجوب القيام بالعبادتين جنباً إلى جنب : « أما من يؤمن بالبعض ويكفر بالبعض من أهل الملة إيماناً بالعبادة الظاهرة عملاً ، وكفراً بالعبادة الباطنة علماً ، والفلاسفة والغلاة ايماناً بالعبادة الباطنة علماً ، وكفراً بالعبادة الظاهرة عملاً ، وأشباههم . فأولئك باعوا آخرتهم بتركهم قبول قول أولياء الله وحدوده بما تخيلوه في دنياهم ، وأعتمدوا عقولهم ، ولم يتبعوا أولياء الله تعالى للهداية إلى طريق الرشاد في الخلاص ، ولم يقبلوا على العبادة الباطنة كما أقبلوا على العبادة الظاهرة ، ولا على العبادة الظاهرة كما أقبلوا على العبادة الباطنة » .

ونخلص من كل هذه الآراء إلى أن العبادة العلمية واجبة إلى جانب العبادة العملية ومفروضة إقامتها والتمسك بهما معاً لما فيه خير المؤمن وسعادته في الدنيا وفي الآخرة .

وليس ترك إحدى هاتين العبادتين سوى مخالفة صريحة للأصول والأحكام وخروجاً على تعاليم وارشادات أولياء الله من الأئمة والحدود الأطهار تستوجب العقاب ، وتسيء إلى الأنفس الناهدة إلى الأرتشاف من رحيق الحقيقة . وكل ما يشاع ويقال بأن أحد ائمة أهل الحق قد أوصى برفع التكاليف الشرعية والعبادة العملية الظاهرة في وقت من الأوقات لضرورة القتال والحرب غير صحيح ودس رخيص قصد به تشويه سمعة الدعوة واعتبار أهلها خارجين عن الاسلام .

ولا أدري كيف يجوز لمن وجد للمحافظة على سير الشريعة الموضوعة والسنن المفروضة ، أن يرفع تكاليف هذه الشريعة التي أوجدها وشرعها جده سيد الأنبياء والمرسلين .

المفتاح الثالث

« التأويـــل »

التأويل بمفهومه العرفاني الحقاني يختلف اختلافاً كلياً عن التفسير الذي يقول به علماء الظاهر وعامة الناس . لأن التأويل في اعتقاد أهل الحق هو الرجوع إلى الأصل لأدراك معاني الموجودات واستنباط جوهر الحقيقة ومعناها الروحي الذي يوافق المنطق والعقل السليم .

ولقد اتخذ أهل الحق من بعض آي الذكر الحكيم دليلاً على وجوب التأويل كقوله تعالى : ﴿ **وكذلك يجتبيك ربـك ويعلمك من تـأويل الأحاديث**﴾ وقوله : ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث**﴾ وقوله : ﴿ **وسأنبئك بتأويل ما لم تستـطع عليه صبـراً**﴾ وقوله :﴿ **هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**﴾ .

ومن استقراء آيات القرآن الكريم وتحليل ما ورد فيها من رموز واشارات على ضوء العقل والواقع يتبين لنا أن على الانسان أن يفكر ويتأمل ويرجع الى المعنى الحقيقي للكتاب ليجد أن لكل آية منه ظاهراً وباطناً قد أشار اليهما سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ **وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة**﴾ وقوله : ﴿ **وذروا ظاهر الاثم وباطنه**﴾ وقوله : ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم ، أفلا تبصرون ؟** ﴾ .

وانطلاقاً من هذه الرموز والاشارات جعل أهل الحق المحور الذي يرتكز عليه علم التأويل نظرية الظاهر والباطن ، فقالوا أن الله سبحانه وتعالى ، الذي لا مثل له ، أسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقه على

دينه ، وبدينه على وحدانيته . والعالم بأعتقادهم ، بما فيه من روحاني وجسماني ، له أمثال في عالم الدين في العبادتين العملية والعلمية وتفاعلهما . لذلك ذهبوا إلى ان الموجودات قسمان : قسم ظاهر للعيان وهو الغلاف أو القشرة ، وقسم باطن خفي وهو اللب أو الجوهر . فالظاهر يدل على الباطن ، كجسم الانسان الذي هو الظاهر ، والنفس التي هي الباطن . وإن ما ظهر من امور الدين من العبادة العملية ، وما جاء في ظاهر آيات القرآن ، هي معانٍ يعرفها وينطق ويجادل ويناقش بها علماء أهل الظاهر ، ولكن في العرفان الحقاني لكل فريضة من فرائض الدين تأويل باطني لا يعلمه إلا الأئمة ، وكبار حججهم وأبوابهم ودعاتهم . لذلك جعلوا الأئمة المرجع في تأويل الرموز وكشف بواطن الأحكام بالأرث العلمي من النبي (ص) ، استناداً إلى قول الرسول : (أنا مدينة العلم ، وعلي بابها) . واذن فالعلم يؤخذ من باب المدينة ، أي من الامام علي بن أبي طالب (ع) ، الوارث الروحاني المباشر للنبي ، وأساس الامامة الذي نراه يقول : (كنت من رسول الله كالفصيل من أمه ، أحذو حذوه) .

ولقد انبثق عن نظرية التأويل التي أشرنا إليها آنفاً نظرية المؤول ، أو الشخص الملهم الذي يكشف روح الروح ، أو نفس النفس ، لأنه جوهرها ومعناها الروحي ، والصورة الانسانية التي هي مثال عن الصورة الإلهية ، ليعرِّف بالمعنى الباطن المستور ، وليقيم التوازن بين الظاهر والباطن ، أي بين العبادة العملية والعبادة العلمية .

ولما كانت النبوة وقتية زائلة فقد شاءت أرادة المبدع أن تحل الامامة محلها وتتممها ، وتكون خالدة منذ الأزل والى الأبد كدين وجدت للبشرية ، وهي موجودة وستوجد دائماً ، مرآة صادقة لذات الله ، لأن الصورة الامامية هي مثال عن الصورة الإلهية . والامام بأعتقاد الحكمة الالهية الحقانية ليس الله نفسه ، ولكنه لا ينفصل عنه . كما ان النور الذي

يشع من المصباح ليس المصباح نفسه ، ولكن اذا لم نتبين النور فكيف نعلم ما هو المصباح ؟ وما اذا كان موجوداً بالفعل ، وأين هو ؟ ويؤكد ذلك ما قاله الامام علي زين العابدين (ع) : (من عرف أمامه فقد عرف ربه)

والأئمة حسب اعتقاد أهل الحق يودعون علم التأويل الباطن لكبار الدعاة بقدر مخصوص ، ليتمكنوا من افادة المؤمنين وارشادهم إلى الجوهر الحقاني المختفي وراء الأمور الظاهرة للعيان ، وكما أن الرسول خص بالتنزيل فكذلك الأئمة المنحدرين ، بموجب النص من صلب علي بن أبي طالب ، فقد خصوا بالتأويل الباطن بأمر من الله ليدلوا الناس على أسرار الدين الذي جعل الله سبحانه وتعالى كل معانيه في الموجودات التي أوجدها ليستدل بمعانيها على فهم حقيقة الدين .

ومن الطبيعي ان يغرف علماء أهل الحق وفلاسفة الدعوة من حكم وتعاليم الأئمة قبساً تأولياً فلسفياً يجعلونه إطاراً للصور العلمية التي صاغوا من خلالها أحكام وأصول الدين على أسس ودعائم قوية من المنطق الراسخ الناهد إلى الصفاء والارتقاء الكمالي ، الذي ينور النفس ويغذي العقل ويطور الفكر المتعطش إلى المعرفة .

المفتاح الرابع
« المثل والممثول »

أوجد علماء أهل الحق استناداً إلى عقيدتهم في الظاهر والباطن نظرية المثل والممثول وجعلوا الظاهر يدل على الباطن وسموا الباطن ممثولاً ، والظاهر مثلاً ، لأعتقادهم بأن الله سبحانه وتعالى خلق أمثالاً وممثولاً ، فجسم الانسان مثل ، ونفسه ممثول .والدنيا مثل والآخرة ممثول . وان هذه الموجودات التي أوجدها الله سبحانه وتعالى ، وجعل قوام الحياة بها ، من الشمس والقمر والنجوم ، لها ذوات قائمة تحل منها محل المثل ، وأن قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الأمثال . وقال تعالى : ﴿ **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**﴾ وقوله : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾ .

وانطلاقاً من هذه الآيات جعل أهل الحق المحور الذي يرتكز عليه علم التأويل نظرية المثل والممثول ، فذهبوا إلى أن الله سبحانه ، الذي لا مثل له ، أسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه ، وبدينه على وحدانيته . لذا اقتضى ان يكون للعالم ، بما فيه من روحاني وجسماني ، أمثال في عالم الدين في العبادتين العملية والعلمية وتفاعلهما . ففي العالم الأرضي عالم جسماني ظاهر يماثل العالم الروحاني الباطن . فالإمام الذي يوجد في عالم الدين هو مثل السابق الذي يوجد في العالم الروحاني ، وحجته مثل التالي . وعلى هذه الصورة وجدت كافة الصور الدينية ، والروحية مماثلة بعضها لبعض ومطابقة حسب ترتيبها الديني والروحاني ، كما أوجدها الله سبحانه وتعالى الذي ضرب الأمثال جملاً وتفصيلاً ، ولم يستح سبحانه من صغر المثال اذا بين به ممثولاً ، وجعل ظاهر القرآن على باطنه دليلاً ليستدل به المؤمن على دينه ومعتقده :

أقصد حمى ممثوله دون المثل ذا ابر النحل ، وهذا كالعسل

ولقد أصبحت نظرية المثل والممثول وتطبيقها على كافة الموجودات العلوية والسفلية وتركيب عالم الاجرام والافلاك قاعدة تأويلية انطلق منها علماء أهل الحق لاثبات عقائدهم التوحيدية وأفكارهم العقلانية ، وبالرغم من أن هؤلاء أتوا بأدلة من كتاب الله على صحة نظرية المثل والممثول . فإن هذه النظرية وإن كانت قد استمدت من القرآن الكريم فقد أعطت الدليل الواضح على فلسفة أهل الحق في الإبداع والخلق والعقل والنفس والمبدأ والمعاد ، بالأضافة إلى تطبيق هذه النظرية على تنظيمات الدعوة السرية والعلنية ، وتفسير كافة الأمور العقلية غير المحسوسة ، بما يقابلها ويماثلها من الأمور الجثمانية المحسوسة .

والله سبحانه وتعالى الذي أوجد الممثول وستره ، وجعل مثله طريقاً إلى معرفته ، إختباراً لعباده وامتحاناً لهم ، وفوض الأئمة من أهل بيت رسوله ليستنطقون ألسن عالم الطبيعة بأسرار عالم الدين والشريعة ويخرجون أمثلة هذه من هذا وأمثلة هذه من هذا ، فيدلون به على كون صدور الدين من حيث صدر عنه خلق السماوات ، والأرض مثلاً بمثل كما قال سبحانه : ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ .

واذا تصفحنا مصنفات أهل الحق العرفانية التأويلية والفلسفية نلاحظ بأن علماء هذه الدعوة قد جعلوا نظرية المثل والممثول قاعدة أساسية في الأمور التأويلية وفي المطابقات العقلانية وفي جميع الفروض التكليفية ، وكانت مجالس الحكمة التأويلية نفسها مبنية على المقابلة بين الشرع والعقل ، واستنباط الأمثلة من الدين على الخلق ومن الخلق على الدين ، ليقربوا الى العقول ما لا يستطيع الانسان أن يدركه بحواسه .

المفتاح الخامس
« الشريعة والحقيقة »

الشريعة بمفهومها التكليفي تعني العبادات المفروضة والسنن المسنونة التي أوجدها الأنبياء والرسل وفقاً لمتطلبات المجتمع وحاجته الدينية والاجتماعية . اما الحقيقة فهي الاخبار بأسرار الكتب النبوية ، والاشارات الإلهية ، والرموزات الحكمية ، المكمنة في الأمور الشرعية الظاهرة ، وقد صنف فيها العلماء الإلهيون كتباً فتحوا بعض أبوابها للطالبين وسهلوا الطريق للقاصدين اليها ، والراغبين فيها .

ومعرفة حقائق الموجودات التي أبدعها الله سبحانه وتعالى بعللها ومعلولاتها وماهية طبائعها التي جبلت عليها ولمياتها التي وجدت لأجلها ، والاحاطة بجميع ذلك علماً كلياً بقدر طاقة الإنسان العقلية ، لتنال النفس الانسانية الفضيلة والكمال وجودة الاختيار ، ومجانبة الاشرار ، ومرافقة الأخيار ، ومن كان إلى ذلك أميل كان في استكمال فضائله اعدل . ومن كان أعدل فهو أفضل وأكمل وأحسن . ومن توصل إلى معرفة الجوهر علت همته وسمت نفسه إلى معالي الأمور ونفيس المراتب ، فحاز فضل العلم وتحلى بأشرف الأيمان ، فتاقت نفسه الى الأنصهار في بوتقة الكمال المطلق حيث السعادة السرمدية بجوار أصحاب العقول العارفة لخفايا الوجود والموجودات وتنظيم الكواكب والافلاك وتحركاتها وترتيبها بموجب القدرة الإلهية ، والعزة الربانية .

والشرائع وجدت كقوانين دينية لتنظيم المجتمعات وعلاقة الانسان بأخيه الانسان وبالمجتمع الذي يعيش فيه على أسس من العدل والرحمة ، لذلك اقتضى على الفرد أن يتمسك بهذه الشرائع ليهذب نفسه برسومها ،

وأعمالها وأحكامها ومعارفها ، ويجنبها الانحراف عن دروبها ومسالكها الذي يؤدي إلى التهلكة والعذاب .

وأصحاب الشرائع من الأنبياء والرسل الـذين أوحى اليهم الله سبحانه وتعالى بما سنوه وشرعوه في مجتمعاتهم يملكون نفوس المؤمنين وأرواحهم بالعدل والإحسان ، ويستخدمونها في الملل والشرائـع لحفظ الشرائع وإقامة السنن والتعبد بالإخلاص ورقة القلوب ، واليقين بنيل الثواب ، والفوز والنجاة والسعادة في المعاد .

ومن الواضح أنه ليس من شريعة ولا حقيقة ولا صناعة ولا تدبير ولا سياسة ، مما يتعاطاه البشر هو أعلى منزلة ولا أسنى درجة ، ولا في الآخرة اكثر ثواباً ، ولا بأفعال الملائكة اشد تشبهاً ، ولا إلى الله أقرب قربة ، ولا لرضاه أبلغ طلباً ، من الشرائع الإلهية . لأن الشريعة الإلهية هي جبلة روحانية تبدو من نفس جزئية في جسد بشري بقوة عقلية تفيض عليها من النفس الكلية ، بأذن الله تعالى ، في دور من الأدوار والقرانات ، وفي وقت من الأوقات ، لتجذب بها النفوس الجزئية ، وتخلصها من أجساد بشرية متفرقة ليفصل بينها يوم القيامة ، وتنهد الشرائع كلها لصلاح الدين والدنيا .

وللشريعة أحكام ظاهرة تهدف إلى تبيان القبيح لينزجر المؤمن عنه ، وتعرف الجميل وتأمر المؤمن بسلوك طريقه لاصلاحه وأصلاح من يأتي بعده من المؤمنين ، ومن يجيء بعد أولئك الى يوم القيامة .

وبالأضافة إلى هذه الأحكام الظاهرة الجلية ، للشريعة اسرار باطنة خفية ، في معرفتها صلاح للمؤمنين في امر معادهم وآخرتهم ، فمن وفق لفهم هذه الأسرار وسبر أعماق معاني الكتب الإلهية ، وأرشد إلى معرفة أسرار موضوعات الشريعة واجتهد في العمل بالسنة الحسنة والسير بسيرتها العادلة ، فإن نفسه اذا فارقت جسده ارتفعت إلى رتبة الملائكة التي هي جنات لها .

ومن كان مقصراً في العبادة الشرعية فلا يجب له ان يتعرف لشيء من العبادة الحقانية الباطنة . وإلا هلك وأهلك ، وذلك أن العمل بالشريعة الناموسية ، والقيام بواجب العبادة فيها ، ولزوم الطاعة لصاحبها ، والعمل بالعبادة الحقانية الإلهية أيمان ، ولا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون مسلماً يقوم بكافة العبادات التكليفية ، والإسلام سابق على الايمان .

والحقيقة التي تعني اظهار جوهر الشريعة ، ومعرفة أسرار الكتب الإلهية وخصائص التنزيلات النبوية ، ومعاني مفاهيم الشرائع الناموسية وما تتضمنه من الأسرار والرموز والاشارات الخفية ، والأغراض البعيدة الناهدة إلى إرشاد النفوس المستبصرة إلى حقائق الموجودات العلوية والسفلية لترتقي إلى المراتب العالية ، وتخلص من نيران الهاوية ، عقيدة قال بها الأنبياء والأولياء والأئمة والحكماء وجعلوها مذهباً تأويلياً ينهد إلى الكشف عن خفايا ومكنونات الوجود والموجودات ، وأسرار النفس الانسانية التي انبثقت من النفس الكلية ، وانها جوهر حي قادر غير عالم في ابتداء وجود ذاتها ، باقٍ بعد فساد الجثة . بما تكسبه من العلوم والعمل .

ولقد أوجب علماء دعوة أهل الحق التمسك بنصوص ومضمون كافة الشرائع والقيام بسننها وفروضها التكليفية جنباً إلى جنب مع الحقيقة وأسرارها الخفية التي تنير البصائر بما تضمنته من علوم ومعارف تكسب النفس والروح الفضائل الخيرة ، والسعادة الأبدية .

المفتاح السادس
« القوة والفعل »

جعل علماء أهل الحق نظرية القيام بالقوة والقيام بالفعل من صميم العقيدة الفلسفية العقلانية التي دانوا بها إلى الله سبحانه وتعالى بإعتبار أن هذه النظرية من القضايا العقلية التي تثبت ان ما كان قائماً بالقوة من كافة الموجودات العلوية والسفلية يحصل له من جهة القائم بالفعل اكتساباً منه ما به يتم خروجه إلى الفعل ما لم يكن له بحسب اكتساب أشياء تكون تماماً له وكمالاً ، مثل النواة القائمة بالقوة نخلة التي يصير لها بعد الاكتساب من جهة القائم بأمرها بالفعل ما يكون به تمام قيامها نخلة بالفعل من قبول الأنوار الفاعلة ، التي هي لها كمال في الفعل ثماراً ، وقد كانت وقت كونها نواة غير قابلة هذا الفعل منها لا لامتناع الأنوار من الفعل فيها ، بل لامتناع ذاتها عن قبول تلك الأفعال التي بها يتم كونها نخلة مثمرة ، وكانت النفس قائمة بالقوة ، وأنه يحصل لها بعد اكتسابها العلوم والمعارف ما به يتم خروجها الى الفعل من جهة ما يصير إليه من القائم بالفعل ما لم يكن لها بحسب اكتسابها ، وكانت النفس مكتسبة من جهة القائمين بأمر الله تعالى ، وصائرة إلى دار الآخرة التي هي دار العقول القائمة بالفعل ، كان منه الحكم بأنه يحصل للنفس بحسب اكتسابها في آخرتها ما نسميه جزاء .

ومن هذا المنطلق تكون نفوس الفتيان عاقلة بالقوة ، ونفوس البالغين عاقلة بالفعل ، ونفوس العقلاء علامة بالقوة ، ونفوس العلماء علامة بالفعل . والعلماء نفوسهم فلسفية بالقوة ، والفلاسفة نفوسهم حكماء بالفعل ، والحكماء ملائكة بالقوة ، فإذا فارقت نفوسها أجسادها كانت ملائكة بالفعل .

ونلاحظ بأن فلاسفة أهل الحق قد أولوا هذه النظرية مزيداً من

الاهتمام وجعلوها مدماكاً ركزوا عليها أكثر عقائدهم العقلانية في التوحيد والتجريد والتنزيه والابداع والانبعاث والمطابقات والمثل والممثول وما يتبع هذه الآراء من تأويلات باطنية وإشارات إلهية ، فذهبوا إلى أن بعض المعلولات يكون في القوة ، وبعضها الآخر يكون بالفعل ، وان العلل تكون بالقوة مثل العلل المادية والصورية ، والفاعلة وقد تخرج إلى الفعل من أجل الغاية التي هي علة العلل .

والقول في القوة بدون معرفة كنهها قد يسبب الوقوع في الخطأ ، فلربما غاب عن عقل الانسان فهم المعنى المقصود من القوة التي تشتمل بمفهومها العقلاني على معنيين ، معنى تتجلى فيه معنى القوة الفعلية ، ومعنى يحوي معنى القوة الإنفعالية ، فالمفهوم الأول يقصد به القوة على الفعل ، أي القدرة أو الإستطاعة ، مثل قوة الطائرة على التحليق بالفضاء . أي استطاعتها على هذا التحليق . أما المعنى الثاني - القوة الإنفعالية - فيهدف إلى غير ما يهدف إليه المعنى الأول . أي يقصد القوة المماثلة لما بالفعل ، يعني ما يمكن تحققه قبل تحققه ، مثل وجود الإنسان في النطفة قبل صيرورتها إنساناً . لأن الانسان يكون في النطفة بالقوة ، حتى إذا ألقيت النطفة في الرحم ، وتكونت ، وأصبحت جنيناً ، أضحت إنساناً بالفعل .

والوجه الثاني يتعلق بالموصوف الذي نصفه بالقوة ، لأن القوة في هذه الحالة بمعناها الفعلي ، تستعمل في وصف المبدأ المحرك ، فتكون في أصل الحركة . مثل قلع الشجرة بقوة الزند ؛ لأن قوة الزند هي المبدأ المحرك الذي قلع الشجرة . فالقوة في هذه الحالة بمعناها الإنفعالي ، تستعمل في وصف المنفعل ، فتكون في أصل انفعاله ، عندما ينتقل إلى الفعل . مثل قوة الانسان على الإختراع ، قبل التمكن من الإختراع ؛ فإن القوة في هذه الحالة لا تصبح بالفعل إلا بطريق الإنفعال وهو الإختراع .

والوجه الثالث يرتكز على النسبة والكمال ؛ لأن القوة بمعناها الفعلي

هنا ، أنما يكون فعلها نسبة معينة إلى مبدأ لا ينفعل ، سواء أكان هذا الفعل استحالة أو كوناً أو حركة .

فالقوة التي بذلها الزند لقلع الشجرة تبقى نسبة معينة من مبدأ الحركة الذي لا ينفعل بقوة الزند . وهذا ينطبق على الكون والإستحالة . بينما نجد القوة بمعناها الإنفعالي في هذا المجال ، إنما يوصف فعلها بكمال الوجود ، بل بأكمل نحو من الوجود الحاصل ؛ وإن كان انفعالاً أو حالاً . فالقوة التي في النطفة حينما تتحقق، تحمل في فعلها أكمل نحو من الوجود ، لكي يحصل عنها إنساناً .

ولما كانت النطفة قد أصبحت إنساناً بإنتقالها من القوة إلى الفعل ، فهذا يعني أن القوة تتضمن في ذاتها مفهوم التغير في آخر من حيث هو آخر ؛ وهذا المفهوم إما أن يكون من جهة المنفعل ، وإما أن يكون من جهة الفاعل . لذلك سميت قوة المنفعل قوة إنفعالية لأنها قوة محدودة نحو شيء واحد ، أو نحو شيئين معاً ، أو نحو جميع الأشياء ، وحتى نحو الضد وضده . أما القوة الفعلية فهي قوة الفاعل .

ولقد قدر الله سبحانه وتعالى أمر خلقه لما بدأ بالقوة في دفعة واحدة . وبالفعل بالتدريج حتى تكون نهاية تامة كاملة ، وبلوغه إلى حال الأفضل والأمر الأكمل ، وهذا يعني أن العالم لما أوجد كان وجوده جميعه بالقوة التي هي الكمال الأول في درجة التساوي في الحياة والعلم والقدرة التي فطروا عليها وأوجدوا على التشاكل فيها ، ولا يصح لأحد منهم الكمال الثاني إلا بالفعل المؤدي إلى ذلك .

والمثال على ذلك أن الشخص البشري يولد الكل منهم أطفالاً جهالاً لا علم لأحد منهم يفضل به سواه إلا كما قال الله تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً** ﴾ أي أن ذلك العالم كان متساوياً ، ومتكافياً من طريق العدل بالقوة في كمالهم الأول من حياة وعلم وقدرة ، ثم ظهور من ظهر منهم إلى الفعل الذي هو الكمال الثاني ، فلا يدخل على

من جلت قدرته في عدله ، الجور في اختيار شخص على شخص بغير علم ولا عمل في الخلق الجسمانية ما يدل على المبدأ الأول .

ومما لا شك فيه بأن الموجودات مستندة في وجودها الى علل سابقة عليها ، وإن كل موجود منها في ذاته فعلاً لما يتقدم عليه منها ، ومفعولا له من مادة ، وفاعلاً لغير دونه من مادة ، وإن وجود الموجودات ينتهي إلى علة ثابتة تنتهي إليها العلل ، لأنها فعل في ذاتها صادر عمن لا يستحق أن يقال أنه فاعل . وهي مفعولة لا من مادة ، وهي فاعلة لا في مادة هي غيرها .

واذا حاولنا تحليل الموجودات إلى عللها تنتهي إلى واحد وجوده لا بذاته بل عن غيره ، إلى انه وجد ان الانسان الذي هو آخر الموجودات وهو النهاية الثانية لها منحلاً إلى أشياء كثيرة مفعولة فيها هي كالمادة التي منها فعل وهي كلها دار الطبيعة ، وإلى أشياء كثيرة فاعلة صارت دار الطبيعة مادة لها تفعل فيها لإخراج ما من شأنه أن يوجد منها إلى الوجود مثل الأنسان وغيره ؛ وهي كلها قائمة بالفعل ؛ ولما كانت دار الطبيعة والفاعلين فيها منحلة إلى اشياء ليست في الكثرة مثلها بل أقل وهي الهيولى والصورة معاً ، صارت الهيولى والصورة مادة لها في تكوين الأفلاك والاستقصات بواسطة العنصر القائم بالفعل ، ودار الطبيعة والفاعلون فيها فاعلة للانسان وغيره من انواع الموجودات ومفعولة مما منه وجدت أما دار الطبيعة فمن الهيولى والصورة . وأما الفاعلون فمن فاعل مثلهم سابق عليهم ، وفعل للملك القائم بالفعل الذي هو سابق للجميع .

وعلى هذا الأساس يكون كل قائم بالقوة ناقصاً لا يستطيع الخروج إلى الفعل الذي هو درجة الكمال إلا بما يستند إليه ممن هو قائم بالفعل تام في ذاته وفعله ، ولما كانت أنفس البشر في دار الطبيعة قائمة بالقوة ناقصة ، فخروجها إلى الفعل لا يكون إلا بالذي هو قائم بالفعل ، تام في ذاته وفعله .

ولما كان الأنبياء والأوصياء والأئمة مجمعاً للفضائل ، صفراً من

الرذائل ، تامين بالفعل ، كان لهم القدرة على انهاض النفوس المستندة إليهم والمستمدة من فوائدهم وتأييدهم إلى درجة القيام بالفعل أي الكمال المطلق . وذلك عن طريق الاستفادة والاكتساب والتعليم والهداية .

المفتاح السابع
« النسخ والمسخ والتقمص »

التناسخ يعني بالمفهوم الديني لبعض الفرق والمذاهب انتقال روح الانسان بعد الموت إلى إنسان آخر أي أن الانسان فور مفارقة روحه جسده وقبل أن يدفن ذلك الجسد أو يحرق تتقمص تلك الروح جسداً آخر في مكان آخر .

وهذه العقيدة لا يقول بها جماعة أهل الحق ولا دعاتهم أو فلاسفتهم بل يذهبون إلى ان الانسان بعد موته يستحيل جسمه المركب من الماء والهواء والنار والتراب إلى ما يجانسه من هذه العناصر التي ركب منها يوم مولده ، وينتقل عنصره الروحاني (أروح) إلى عالم العقول ، فإن كان مؤمناً عارفاً فإن روحه تعود إلى الكل الذي انبثقت منه قبل تعلقها بالجسد ، وإن كان شريراً عاصياً لإمامه ومخالفاً لحدوده ودعاته هبطت إلى عالم المنكوسات .

أما المسخ فيعني انتقال روح الانسن بعد الموت الى حيوان أو نبات أو معدن من المعادن بحسب اكتساب تلك الروح عندما كانت في عالم الكون والفساد وهذا يعني بالنسبة لأهل الحق الخروج عن الدعوة ان كان من ابنائها وخالف تعاليم الإمام وحدوده الذين ينوبون عنه في جزائر الأرض المعروفة لدى أهل الحق .

ونلاحظ ونحن نستعرض عقائد أهل الحق بأن القواعد الفلسفية التأويلية التي أوجدوها للمعاد والثواب والعقاب والدنيا والآخرة أنهم لا يقولون بالتقمص بل نراهم يسخرون من هذه العقيدة ويقولون بأنها لا تمت

إلى الاسلام بأية صلة ويذهبون إلى أن المخالف للحق المعادي تحصل عنده من عداوة أهل الحق وأعمال الشر صورة ظمانية . فاذا كان عند موته تجردت له تلك الظلمة فأفزعته وارعبته ، واسوحش منها وارتاع بالترائي . وذلك أول عذابه ، كما أن سرور المؤمن بترابي صورته واشراقها عند موته أول ثوابه .

وفي اعتقادهم كما أشرنا في المفتاح الذي تحدثنا فيه عن المعاد والثوب والعقاب ليست الأجساد سوى ثياب للأنفس ترتديها إبان وجودها في هذه الدنيا ومتى بليت هذه الثياب وفارقت الأجساد نفوسها حيث تتقلب بالبرازخ بحسب إكتسابها من الخيرات والعلوم والمعارف . فمن هذه النفوس من يستحق أن يكون في موضع لقلب ، ومنها في موضع الدماغ ، ومنها في موضع العين والاذن واليد وارجل ، ومنها بمنزلة الشعر والظفر واسفل الرجل كل بقدر عمله واستحقه لا ظلم لأحد ولا محاباة له ، بل كل يجزى بقدر ما اكتسب . فلا تزال تلك النفوس العارفة المطيعة ترد إلى عالم العقول وتبتنى عنده إلى ان يكمل ذلك فيصير هيكلاً نورانياً قدسانياً .

وفي رأي أهل الحق أن كل مؤمن اذا فارقت نفسه جسده بقي في جسمه أثر من النفس النامية ، وهي الحرارة الغريزية ، فتتكون في الجسم داخلة . فاذا قبر الجسم ، ظهرت منه تلك الآثار الباقية فيه من النفس النامية بعد ثلاثة أيام . حيث تتلفها الكواكب والافلاك فتحركها وتتفاعل وإياها حسب درجة اكتسابها .

أما أنفس المخالفين التي تفعل الشرور وتخالف التعاليم فإنها عندما تفارق الاجساد بعد الموت تجول في الهواء وتأوي الى البوادي والقفار والى المواضع القذرة وتحرض الناس على افعال الشر وعداوة أهل الحق . ثم تصعد بعد ذلك إلى ذنب التنن ، وهي ظلمة تسمى الرأس والذنب خارجة عن نطاق الفلك ، وأصها أخس تلك الظلمة الهابطة بالخطيئة من عالم الابداع . وهذه الظلمة التي هي الرأس والذنب هي مغناطيس لهذه

الصورة الخبيثة لما بينهم من المناسبة ، فتقيم هنالك ، ويكون فيها من الأفعال الضارة بالعالم ما يطول شرحه .

وتنتقل النفس الخبيثة الغير مكتسبة العلوم والمعارف بعد الموت في برازخ العذاب الأدنى ، ثم تصير الى العذاب الأكبر . واذا وفت المدة المقدرة لها واستحقت العقاب لحقت بالسحيق حيث العذاب حتى تتوب فتصعد في البرازخ المحمودة من المعدن والنبات والحيوان إلى أن تحصل في الصورة البشرية .

ويكون تنقلها في برازخ العذاب بالاستحالة مرة بعد مرة والاغتذاء والولادة لا كما يراه أهل التناسخ أن النفس تنتقل من جسم الميت عند موته إلى جسم مولود عند ولادته فهذا خطأ وجهل لا يجب اعتقاده ، بل معتقد ذلك حسب رأي أهل الحق هالك ومخالف للتعاليم الإلهية ، ولما ورد في الكتب السماوية لأن الباري سبحانه وتعالى عادل لا يظلم العباد ولا يخلف الميعاد . والغرض كله استخلاص النفس مما وقعت فيه من الخطيئة والأنكار . فمن تخلص صعد ، ومن أبى واستنكر ارتكس وهبط .

ويعتقد أهل الحق أن النفس الانسانية عندما ارتبطت بالجسد كانت الغايةمن هذا الارتباط بقصد تقويم النفس وحثها على عمل الخير، وتجنب الشرور ، والابتعاد عن المعاصي ، وفعل الطاعات وأداء الامانات ، والوفاء بالعهود ، وصحة المعاملة . والتزود بالعلوم والمعارف والدراية من أجل أن تستقيم ذاتها ، وتكمل صورها ، وتخرج من حد القوة والكمون إلى حد الفعل والظهور ، لتستكمل فضائلها من عرفانها أمر المحسوسات ، وتخيلها رسوم المعقولات ، وتخرج مشبعة بالآداب والرياضيات والنظر في العلوم الطبيعيات والإلهيات .

أما النفوس الضالة الغير عارفة ولا متعلمة فإنها ترتكس وتهبط وتتقلب في برازخ العذاب حتى تتوب وتستقيم وتطلب الصعود إلى دار

المعاد حيث الأبدية والخلود في عالم العقول .

ويرى أهل الحق ان حياة النفس مع الجسد في عالم الكون والفساد خلال وجـودها فيه كافية ووافية لأعداد هذه النفس للاكتساب بما يكون زادها ليوم المعاد . أما ما يقول به أصحاب نظرية التقمص مـا دام للحساب يومه الأخير ، فالنفس تبقى متحدة بجسدها حتى ذلك اليوم مستمرة التواصل والتنقل في اعمار متجددة جيلاً بعد جيل ، متطورة في أدوار الامتحان والتصفية ، والتكامل ، وفاقاً لناموس التطور الذي سنه الله لجميع الموجودات الحية ، وكأنها في هذا التواصل مستمرة في عمر واحد لا تنتقل منه .

وهذا يعني ان النفس حسب اعتقاد أهل التقـمص لا تفارق الجسد إلا إلى جسد سواه ، بالولادة ، ولا شأن لها إلا مع الجسد . به امتحانها ، وبلاؤ ها . وتطورها بالنقلة المتواصلة بالاجساد .

ويذهب بعض الغلاة إلى أن الأرواح تنسخ في أربعة أجناس هي : النسوخ يعني نسخ بدن انسان إلى انسان آخر . المسوخ نقل ارواح البشر الى البهائم والسباع والطيور ، الفسوخ نقل الأرواح إلى دواب الأرض الحقيرة كالحيات والعقارب والخنافس والدود والسلاحف . والرسوخ أي نقل ارواح البشر الى انواع الشجر والنبات والمعادن .

الحلقة الخامسة

وتضم التبني الروحي ، الآباء والامهات ، الرضاع في الباطن ، المفيد والمستفيد ، الإخاء ، وحدة الأديان ، الشمول

المفتاح الأول
« التبني الروحي »

أعطى علماء أهل الحق التبني الروحي أهمية خاصة باعتباره من الدعائم المتينة التي يرتكز عليها تنظيم الدعوة الأخوي، الهادف إلى المساواة والمحبة، لأن الأبوة الروحانية في اعتقادهم لا ينقطع نسبها بل يظل سرمداً إلى أبد الآبدين، أما النسبة الجسدانية، فيرون أنها تنقطع اذا اضمحلت الأجسام وفارقت النفوس، أما جواهر النفوس فتبقى خالدة بعد فراق الأجساد.

ويبدو من خلال مؤلفات أهل الحق العرفانية أنهم اعتمدوا في أفكارهم عن التبني الروحي على أقوال الرسل والأنبياء، والأئمة، من أهل البيت، وعلى ما ورد في الكتب السماوية. فطبقوها على أنفسهم واخوانهم وبلوروا هذه الأفكار وطبقوها في مجتمعاتهم. حيث كانت تجري عملية التبني الروحي عندما يستجيب المريد للدعوة ويتلقى علومه الأولية على يد المكاسر الذي يعتبر استاذه ومفيده ومعلمه وأبوه الروحي الذي يفتح مداركه على علوم الدعوة ومعارفها.

وذهبوا في اعتقادهم في الأبوة الروحية إلى القول بأن الأب الروحي أفضل من الأب الجسماني لأن الأول يرضع المريد رحيق المعرفة ويفتح مداركه على العلوم النافعة التي تفيده في الدنيا والآخرة وتنقله إلى اجواء السعادة الدائمة. أما الأب الجسماني فإنه يرضعه الغذاء الجسماني الذي يفيد جسده في الدنيا فقط وسرعان ما تتبخر هذه الأفادة عندما يشب الطفل عن الطوق فقد تأتيه ظروف يتخلى بها عن والده الجسماني وقد تنشب بينهما خلافات دنيوية تؤدي إلى الفرقة ومناصبة العداء والبعد والجفاء. بينما

الابوةالروحانية لا يمكن مهما اعترضتها من أزمات وتفاعلات إلا أن تظل متماسكة قوية تشد الأب إلى الأبن وتظل مستمرة بدون انقطاع حتى أبد الآبدين تربطها ما زرعه الأب في نفس ولده من مناقب وأفكار عقلانية هذبت نفسه ونقلتها من الأجواء المظلمة المغلقة إلى الآفاق الفكرية العرفانية التي نقلتها من حد القيام بالقوة إلى حد القيام بالفعل والكمال المطلق .

ولقد أثبت تاريخ الدعوة الحقانيـة في مختلف العصور والمـراحل التطورية التي مرت بها أن التضحيات الكبرى والأقدام والجرأة التي قام بها الأفراد والجماعات حيث ضحوا بأجسادهم في سبيل جمع الشمل ورص الصفوف بأن الأبوة الروحية والأرتباطات العقلانية كنت الحافز الوحيد الذي يهيب بهم للتضحية بالأجساد رخيصة من أجل الارتفاع بالقيم الروحية والخلقية الى العلاء حيث السعادة في الدنيا والآخرة .

ولقد أوجبت قوانين الدعوة وأنظمتها التعاون بين الأفراد والجماعات وتنمية روح الأخوة والمحبة لنصرة الدين وطلب المعاش ، والتضحيـة بالأجساد من اجل صلاح الأنفس ونصرة الدين ، وذلك أن النفس بعد مفارقتها الجسد تصعد الى ملكوت السماء ، وتدخل في زمرة الملائكة وتحيا بروح القدس ، وتسبح في فضاء الأفلاك ، فرحة مسرورة ، منعمة ملتذة ، مكرمة مغتبطة ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله** ﴾ .

وفي اعتقاد جماعة أهل الحق ان حالة النفس مع الجسد انما تشفق على الجسد وتصونه ، اذا لم تعلم بأن لها وجوداً خلواً من الجسد ، وان ذلك الوجود خير وأبقى ، وألذ وأحسن من هذا الوجود والبقاء بصحبة الجسد ، فإذا استتمت النفس علومها وكملت صورتها ومعارفها ، على يد الآباء من الدعاة والحدود ، انتبهت من نوم غفلتها ، واستيقظت فأحست بغربتها في هذا العالم الجسماني ، وأنها في أسر الطبيعة ، في بحر الهيولى ، تـائهة في قعـر الأجسام ، مبتـلاة بخدمـة الأجساد ، مغـرورة بـزينـة

المحسوسات ، فعرفت حقيقة ذاتها ، وتبين لها فضيلة جوهرها ، ونظرت إلى عالمها ، وشاهدت تلك الصورة الروحانية المفارقة للهيولى ، وأبصرت تلك الألوان والأصباغ والملاذ العقلية ، وعاينت تلك الأنوار والبهجة والسرور والروح والريحان ، هانت عليها مفارقة الجسد ، وسمحت بأتلافه في رضى الله ونصرة الدين وصلاح الأخوان .

وهذه الآراء إلى جانب الغوص في العلوم الماورائية التي كان يزود بها الأب أبنائه من المستجيبين جعلت الدعوة بمضمونها مضرب الأمثال في التضحية والاقدام والفداء ، والطاعة الغير محدودة التي اكسبتها شهرة واسعة سطرت في صفحات التاريخ الاسلامي آيات رائعة من الكفاح والنضال في سبيل الدين وصلاح الاخوان .

والجدير بالملاحظة ان اعتقاد أهل الحق في الابوة الروحية جاء كما يقولون من قول النبي (ص) لعلي (ع) : « أنا وأنت أبوا هذه الأمة » وقوله : « المؤمن أخو المؤمن من أبيه وأمه » وقول ابراهيم (ص) : « فمن تبعني فإنه مني » وقوله تعالى : لنوح : **﴿ان ابني من أهلي قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح﴾** وقال تعالى : **﴿فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾** .

ومن هذه المنطلقات بالأضافة الى الأفكار العقلانية الفلسفية صاغوا عقائدهم بالتبني الروحي واعتبروا البنوة الروحية أفضل من البنوة الجسدانية لأنها دائمة ومستمرة بينما البنوة الجسدانية موقتة وزائلة .

المفتاح الثاني
« الآباء والأمهات »

تنطلق نظرية الآباء والأمهات لدى جماعة أهل الحق من عقيدة الابداع والانبعاث وما يجري في العوالم الروحانية والجسمانية من تحركات وتفاعلات بعضها مع بعض ، ومطابقات ومقابلات بين الأجرام والأفلاك والكواكب، وبين عالم البنوة وعالم الجسم .

وفي اعتقادهم أن الأب والأم في الروحانيات هما آية الليل والنهار لأن النفس المتحركة الحساسة كائنة في الجسد من القوة الكائنة بالأمر المتحد بالحد الثاني المتحرك بالقوة المنبعثة منه بالوجه الناطق بالأمر الجزئي ، المتحرك كحركة الذكر ، لتبدو منه بالشوق النطفة الكائن منها جسم الانسان ، كذلك الأبوان العلويان ، تحدث من الأول حرارة قوية منبثة من نوره ، متصلة ببرودة تحدث من الأم التي هي الثاني ، أي ان الموجودالأول الذي هو المبدع الأول الذي سبق كافة العقول في التوحيد والتجريد والتنزيه وعرف بالسابق ، الذي يقابله في عالم النبوة الناطق تحدث منه حرارة التعليم والافادة للعقول المستجيبة للدعوة متصلة ببرودة المنبعث الأول أو العقل الثاني الذي هو الموجود الثاني (التالي) بالعرف الحقاني . فبإمتزاجهما واتصالهما وأفادتهما النفوس المستجيبة تكون النفس متصلة بالجسد ، وتكون الولادة والظهور من القوة إلى الفعل ، من بين الأبوين ذكر وأنثى ، أي ان الناطق وما يتمتع به من قوة التأييد والمعرفة العقلانية ، وما يسري في نفسه الطاهرة من علوم يماثل الذكر الذي يستطيع بما يفيد النفس المستجيبة من العلوم أن ينقلها من حد القوة إلى حد الفعل ، كما يوافق ويطابق ما يفعله الأب الجسماني الذي يكون سبب

الولادة الجسمانية ، فاذا ظهر الولد وهو كامل البنية ، مستقيم الخلقة ، تام الصورة ، يسلمه والداه ، الجسمانيان ، اللذان ولدا جسمه إلى والدين روحانيين بالفعل ، ليخرجاه بالتعليم والافادة والتأييد من حد القوة إلى حد الفعل ، فيظهر ما يكون في نفسه ويولد عقله ويتعلم الحقيقة .

فالمعلم الذي يعلم الطفل ويفيده العلوم الالهية والتنزيلات الربانية ، ذات التأويلات النبوية ، والسياسة الفلسفية ، بمنزلة الأم ، والمعرف له بطرق السموات والآراء العقلانية بمنزلة الأب ، فيعود الخلق إلى أوله ، وهو على غاية الكمال ، ونهاية التمام والجمال ، إذا استكمل هذه الخصال ، فأبواه في البداية الشمس والقمر ، وأبواه في ولادة الدنيا الأنثى والذكر ، وأبواه عند خروجه إلى دار الآخرة معلم حميد واستاذ رشيد ممن يعمل في الشرائع النبوية ، والصنائع الفلسفية ، فبهذه الولادة يكون التمام ، والبلوغ إلى درجة الكمال .

ولقد فضل علماء أهل الحق الأبوة الروحانية على الأبوة الجسدانية بإعتبارها تفتح مدارك الانسان على إدراك ما يحيط به من أفكار وعلوم ومعارف تصقل مواهبه وتبعده عن الأمور الدنيوية وشهوات الدنيا ، لذلك فهي باقية خالدة بينما الأبوة الجسدانية تموت بموت الجسد .

لذلك اوجبوا على المستجيب ان يكون مخلصاً مطيعاً لمعلمه الذي تولى نفسه بالتربية والتهذيب وأفادها العلوم والمعارف التي بواسطتها يمكنها فتح الابواب المغلقة المستعصية والانتقال من حد القوة إلى حد القيام بالفعل حيث الكمال المطلق الناهد إلى الارتشاف من ينابيع الحقيقة التوحيدية .

ويستدل مما تركه جماعة أهل الحق من مصنفات عرفانية أنهم اعتمدوا في افكارهم عن التبني الروحي على اقوال الرسل والأنبياء ، وعلى ما ورد في الكتب السماوية . فطبقوها على انفسهم واخوانهم ،وبلوروهذه الأفكار وجسدوها في مجتمعاتهم . ويروون ان النبي (ص) قال لعلي (ع) : « أنا

وأنت أبوا هذه الأمة » بإعتبار ان النبي حسب المفهوم العرفاني الحقاني يماثل العقل الأول الذي هو أب عالم العقول ، بينما الإمام علي (ع) يقابل العقل الثاني الذي هو مماثل للعقل الثاني الذي هو المنبعث الأول أم عالم الأنبعاث .

المفتاح الثالث
« الرضاع في الباطن »

رشف رحيق المعرفة ، والعب من ينابيع الحقيقة العرفانية ، يفتح مدارك الإنسان على إدراك العلوم الماورائية ، وتقصي حقائق الوجود والموجودات التي أبدعها ونظمها المبدع بشكل دقيق وعجيب حير عقول البشر منذ وجود الإنسان الأول .

ولقد ربط الباري سبحانه وتعالى كافة الموجودات بعضها ببعض من أصغر موجود في هذا العالم الى اكبر المخلوقات بحركة دائمة مستمرة تدل على مقدرة الصانع وحسن قيادته وتوجيهه وترتيبه .

ومن الواضح الجلي ان الله سبحانه وتعالى أوجد لكافة الموجودات العلوية والسفلية ، ولجميع العوالم والأفلاك والكواكب امثلة وممثولات ، لتدل هذه الأمثلة والممثولات على قدرة الباري وعظمته ، ولتكون موافقة ومطابقة على عالم الدين وما فيه من أنبياء ورسل وأئمة ودعاة إلى توحيد المبدع وتجريده وتنزيهه .

ولما كان الانسان منذ وجوده على هذه الأرض مفطور على البحث عن الموجودات التي تحيط به ، ينهد دائماً وأبداً إلى معرفة أسرار المخلوقات ، ويتطلع بنهم وشوق إلى خفايا الحقائق الكونية لمعرفة الأسرار الكامنة وراء الأمور الغامضة ، والمشاكل المبهمة لإشباع غريزة التساؤل وحب المعرفة والطموح الفكري .

فقد شملت تأملاته وأبحاثه الكون والوجود والموجودات العلوية والسفلية ، ومظاهر الطبيعة ، والنظام الدقيق الذي يربط بين موجوداتها .

وكان في كل جهد يقوم به واقعيا ، وكانت واقعيته في أن لا يؤمن بواقعية الواقع !! .

ورقي الانسان متجاوزاً السؤال : ما هذا ؟ إلى السؤال الأعم : لماذا ؟ وراح العقل يفلسف ويعلل ويناقش . وكان شعاره ان يحترق في ذاته ليستمد منها وقوداً أزلياً يدفع به صعداً إلى الأعلى ، فيتمثل الأمثل من خلال الممثول ، ويتجسد المعنى من خلال التبصر بالشكل !!

لقد أدرك الانسان الضعيف أن مفتاح الكنوز المرصودة ، وسفينة المعرفة الحقة ، هي النفوس الانسانية عندما تلتقي بالضياء العقلي ، والنور السرمدي المشع على هذا الكون يعطيه الضياء الروحاني الذي ينقله من حد القوة إلى حد الفعل حيث الكمال المطلق والهدف الأكمل . فأستلهمه في كل أموره ، وتعبد له في شغف ووله شديدين ، تجاوز الأسباب إلى المسببات ، وتخطى المعلول إلى العلة ؛ وقاسى حرباً مريرة لم تنتهِ بعد ، وهو كلما أحرز إنتصاراً ، أو تقدم خطوة شعر بالحاجة الملحة إلى المزيد . فاكتوى بلافح الشوق إلى المعرفة العقلية والحسية ، وتحلبت روحه المتعطشة لاغتراف المزيد .

ومنذ البدء ، وعندما كانت النفس الانسانية لا تعرف شيئاً من أسرار الحياة ، كالورقة البيضاء التي لم يكتب عليها شيء ، وإلى حيث تستمر الحياة ، تبقى الحرب مستعرة بين الانسان والحقيقة ، ويظل الانسان جندياً شجاعاً لا يعرف التراجع ، وملاحاً مغواراً لا يعرف الهزيمة .

وتمتد نشاطاته عبر الأكوان والموجودات ، ويحكم ربط الحلقات في سلسلة روحية علمانية يتخذها سلماً لعقله المتفتح ، وتضيق دائرة الكون أمام همته وطاقته الروحية ، فينعطف على نفسه التي أهملها أجيالاً عديدة ؛ فإذا بها الآفاق الشاسعة التي لا تحد ، واذا بها الصلة الأزلية الكبرى ، فيرتمي فرحاً على أعتابها ، ويغوص في عالمها ، ليستخرج من بحرها المتلاطم الجواهر النفيسة ، والدرر الثمينة التي يزين بها حياته .

وليس الرضاع في الباطن في العرف الحقاني سوى خطوة أولى يسلكها المستجيب في طريق الدعوة المليء بالعلوم والمعارف ، التي تكشف له ماهية الوجود والموجودات وارتباطها بعالم الإبداع ، والعقول النورانية الروحانية ، ومطابقتها مع مراتب الدعوة الحقانية . لذلك نلاحظ بأن علماء الدعوة قد فرضوا على المستجيب أن يرضع علوم الدعوة كما يرضع الطفل حين ولادته حليب أمه ، وأوجبوا ان تكون الرضاعة عن طريق المرضع أي عن طريق المعلم الذي يحمل أصغر رتبة في الدعوة ثم يتدرج في رضاعة العلوم رشفة رشفة حتى يبلغ أشده ، ثم ينتقل إلى مرضع آخر يكون أعلى رتبة وأرفع درجة ، وهكذا دواليك حتى يبلغ طور الصبا والشباب وتستمر الرضاعة حتى تنتقش نفسه بكافة العلوم الماورائية فترتسم فيها الصور العقلانية التي تنقلها من حد القوة إلى حد الفعل حيث السعادة الأبدية ، والاشعاعات الملكوتية السرمدية ، التي تكفل لنفسه الخلود في عالم الأرواح النورانية . والعقول الشعشعانية ، المعراة من الأشخاص الهيولانية في دار البقاء وبساتين العقول ، حيث تتنزه فيها النفوس العارفة ، وتتنسم بها الأرواح عبير الحقيقة السرمدية .

والرضاعة بالباطن كما يشير اليها علماء الدعوة في مصنفاتهم الارتسام بالأخلاق الحميدة ، وتنزيه النفس عن تعاطي الأوزار والفواحش والمآثم ، ولزوم العدل والانصاف ، واستكمال الذات بأكتساب الفضيلة الانسانية ، والاخلاق الملكوتية ، والمعلومات العلوية الربانية ، ليصير المستجيب بوجود ذلك موجوداً . بما هو انسان ، بعد ان كان موجوداً بما هو حيوان ، لأن نفسه علامة بالقوة فعالة بالطبع ، والشيء الموجود بالقوة ، معدوم بالفعل ، فإذا رضع لبان العلوم والمعارف وتدرج في معارج الحقيقة صار موجوداً بالفعل وحاز الوجود والتمام ، ومتى سقط الانسان عن فعله الخاص به ، اذا لم يكن مجتهداً على أفضل أحواله وعاملاً بأنفع أعماله ، لم يكن إنساناً موجوداً بما هو أنسان ، فإذاً بالرضاعة والحكمة ، وتعلم العلم ، واخراج ما في القوة إلى الفعل ، تكمل الصورة الانسانية ، ويصير

على صراط مستقيم . وطريق قويم ، ينتقل من أدون المنازل إلى أشرفها ، ومن أسفلها إلى أعلاها ، حتى تصير نفسه ملكاً كريماً . فيرقى الى درجات سلم المعارج فيعرج به مع الملائكة ، وروح القدس ، إلى مكان الكرام ، ومجاورة الرحمن في الجنان ، ذات الروح والريحان .

ومن هذه المنطلقات يمكننا أن نقول بأن الرضاع في الباطن هو علم كل نافع ، ولزوم كل عدل جامع ، وصعود سلم النجاة ، وكنز العفاة ، وسراج الهدى ، ومفتاح باب الرشاد ، وحياة العباد ، وصلاح الانسان ، وتخلقه بالاخلاق الحميدة .

والرضاع غرضه واهدافه معرفة حقائق الأشياء الموجودات بما هي موجودة ، ومعانيها ودلائل ظواهرها المشاهدة بالحواس ، وما تحتها من المعاني الدقيقة ، والاشارات الخفية ، والرموزات اللطيفة ، عن طريق معلم أو مرضع يتدرج بالطفل الذي هو المستجيب الى تعلم الحكمة وارتشافها رشفة رشفة ، ويحببها إلى نفسه ، التي تكون سعادتها ، وبتعلمها يكون كمالها ، وبكمالها جمالها ، وبجمالها انتقالها إلى دار المحاسن العلوية ، والاخلاق الملكية والمقامات العالية ، والدرجات السامية ، وبذلك تنال النفس درجات الخلود والبقاء الدائم ، والملك المقيم ، والنجاة من العذاب الأليم .

وبوقوف الانسان منذ وجوده في عالم الكون والفساد على العلوم والمعارف الحقانية ورضاعتها على يد أب روحي وأم روحية بالتدريج وحسب تسلسل هذه العلوم كما وضعها دعاة أهل الحق ، تتهذب نفسه ، وتصلح أحوالها وتكون تلك المعارف زاداً لها في الفترة المقررة لها في هذا العالم ، ومعين لها على الوصول والبلوغ إلى درجات العلماء ومنازل السعداء الذين سبروا أعماق الحكم الربانية والعلوم الإلهية .

وكما أن الطفل يتغذى بالحليب عند ولادته الجسمانية من والدته الجسمانية ، كذلك يجب أن يرضع لبان المعرفة الحقانية من أمه الروحانية

حتى يترقى في درجات سلم النجاة ، ويدخل في زمرة الحكماء الذين وقفوا وجودهم لايجاد مجتمع مثالي وفق مبادىء فلسفية انسانية ، تهدف إلى أسعاد الفرد وبناء صروح المجتمع السليم ، على أسس من العدالة المنبثقة من تعاليم القرآن وارشادات النبي العظيم واحفاده الأئمة الأطهار .

وتتخلص الأنفس من أدران عالم الكون والفساد ، وتنال السعادة الأبدية ، والفوز بالبقاء والخلود في عالم العقول عندما تتهذب هذه الأنفس من امارات الطبيعة وظلمتها التي هي الغضب والظلم والطمع وقلة الرحمة وغير ذلك مما هو طبيعي لها من الرذائل لتصير بخلوها من هذه الرذائل والدنايا مطابقة لما يرد عليها ذاتها عند التصور من الصور الإلهية التي هي الاحاطة بما سبق عليها في الوجود من أعيان العقول الابداعية والانبعاثية ، والأجسام العالية والسفلية ، لتصير في ذلك إلى الحد الذي تستقيم به ، وبما تصورته عقلاً كعين المتصور لا فرق بينهما من تلك الجهة .

ولما كانت الأنفس في بدء وجودها غير متهذبة ولا متهيئة لقبول الصور العقلية المكسبة إياها كمالها ، كالأجسام المعدنية المتقاصرة عن درجة كمالها في كونها ذهباً التي لا يكون لها قبول للصنع الذي لا يبلغها كمالها إلا بعد تهذيبها من أوساخها ، وتهيؤها بتحليلها وتسليط النار عليها لتصير بذوبانها وانحلال اجزائها متهيئة لقبول ما يرد عليها من الصنع الجاعل إياها في رتبة كمالها .

لذلك وجب على المستجيب المريد تخليص نفسه مما علق بها من عالم الطبيعة وتهذيبها وتهيئتها لتتصور بصور العلوم وتصبح في أفق ما يريد أن يصير إليه ويتصوره ، فينجع فيه كما ينجع الصنع في الذهب المذاب ، وإلا فلا يتم له أمر كما لا يتم للمستجيب أن يصنع جسماً وهو لم يذوبه بالنار ، اذ الشيء إذا اخذ من طريقه تيسر ، واذا طلب من غير طريقه تعسر .

واذا علمنا كما أشرنا سابقاً أن النفس الانسانية في بدء وجودها كانت

عاطلة عن الصور ، خالية من العلوم التي هي صور الموجودات كالورق الأبيض الخالي من الكتابة ، ومن صور المعلومات ، وكان المبدع قد أوجد لها من يعلمها وينقشها بمعالم توحيده ، ومعارف حدوده ، ويخرجها بأيداعها هذه الصورة من حد القوة إلى حد الفعل ودرجة الكمال ، وجب إرضاع النفس ، وتهذيبها وتهيئتها لقبول المعارف الحقانية ، والعب من ينابيع الأفكار العقلانية التي تكفل لها السعادة والخلود في جنات النعيم .

المفتاح الرابع

« ألمفيد والمستفيد »

تعتبر الإفادة والتعليم ، وفتح المدارك الانسانية على ما يتفاعل في عالمنا من مصنوعات ومخترعات وابداعات من صميم الأفكار الحقانية التي عالجها علماء الدعوة وكتبوا عنها الكثير ، لذلك نرى من واجبنا أن نتعرض لهذه الناحية الهامة بكثير من الدقة والتبسيط ، لنبين للقارىء الكريم المهمات الفكرية الملقاة على عاتق المعلم أو المفيد وما يجب أن يتمتع به من مُقدرة علمية تخوله تهيئة المتعلم أو المستفيد إلى رسم صورة جلية لما يحيط به من موجودات علوية وسفلية ، وليتسنى له توحيد المبدع الذي أبدع هذه الموجودات ورتبها ونظمها وحركها ، وفق قانون الخلقة ومطابقاتها بعضها مع بعض .

والمفيد بالنسبة لحدود دعوة أهل الحق يجب أن يتمتع بمقدرة علمية فائقة واطلاع مكين على كافة العلوم الباطنة والظاهرة المعروفة في عصره وخاصة ما يتعلق منها بالأفكار الفلسفية والشرعية والتأويلية بالأضافة إلى علم الأفلاك وتحركات الكواكب والنجوم وتفاعلها بعضها مع بعض ضمن نظام كوني دقيق شامل .

وعلى المعلم أن يحاول بقدر طاقته جذب النفوس المستجيبة إلى طريق المعاد تعليماً ، واظهار ميزان الحكمة في السنة الإلهية ليرتقي بتلميذه إلى ذروة الملكوت حيث تجاور نفسه الأئمة الأبرار ، ويحيط بدار العزة والجبروت ، تصوراً للموجودات ، وتحققاً للعلل منها والمعلولات .

ويكون المفيد قدوة حسنة لأولئك الذين يتتلمذون عليه ،

ويستفيدون من علمه لصلاح أمورهم وسعادتهم ، واصلاح نفوسهم بعلمه لتنال غايتها وخلودها في الآخرة . وفق مبادىء الموجودات ومراتبها في الوجود والدلالة عليها من مباني الصنعة النبوية التي بها ومن وجهتها الاحاطة بصورتها ، فترتقي النفس المستفيدة الى مجاورة الملأ الأعلى ، وتسعد بمعاني المرموزات في الصحف الأولى ، قياماً بحكم التعاون في العبادة والترافد ، في اداء الغرض والتوازر في الدين والتعاضد ، وقضاء لحق النعمة فيها أولاه إلى الله في أرضه من بركاته التي يصبح بها في نعمة تامة ، وروضة مدهامة ، ماؤها معين ، وهواؤها على المراد معين ، تشتاق اليها العقول القائمة بالقوة ، وفي وصولها اليها راحتها ، فتشرق شمس ايمانها فلا تكسف .

وتكتسب النفس عن طريق المؤثرين فيها تعليماً ، سداد الطريق ، ومعرفة الحقيقة ، فتعتصم بالأمور السرمدية التي تحفظ عليها وجودها ، واعتلاقها يكون باحاطتها ، بمراتب الموجودات تصوراً لها وأحاطتها بذلك يكسبها البقاء والراحة ، وتصبح النفس بذلك كالشمع الذي نالته حرارة فأستعد بها لقبول النقش .

إن ما ينقشه المفيد في النفس المستفيدة من الحكم والمعارف ، ويميض عليها من الأخلاق والفضائل ، حيث تتخلق بأخلاقه الجميلة ، وتتأدب بآدابه الصحيحة التي تكون علة لحياتها فتكسبها الكمال والاستنارة والبقاء واللذة ، والتعقل إلى عللها الأبدية في سعادة سرمدية ، وتعطيها الصورة الأبدية التي يتعلق وجودها بوجود العبادة والتهجد والفناء في الذات الابداعية .

فيشرق جوهرها ، وتشع أنوارها ، بما حملته من الفضائل ، والمبادىء الأبدية ، وتطير مع الملائكة المقربين في أرض دار الإبداع عند استتمام المتبوع للاتباع ، وتحصل في روضة ترتع في زهرها ، وتمتص من رحيق ثمارها ، الحياة الأبدية ، والسعادة السرمدية ، بجوار الأنوار القدسية

الملكوتية .

ونلاحظ بأن جماعة أهل الحق ينظرون إلى المعلم أو المفيد والاستاذ نظرة خاصة فيها كل معاني التعظيم والتبجيل والاحترام . لأن المفيد المعلم الحكيم العارف ببواطن الموجودات يستطيع أن ينقل النفس الانسانية ، بما يبذره فيها من الحكم والمعارف ، من حد القيام بالقوة إلى حد القيام بالفعل ، حيث كمالها وسرمديتها في البقاء والخلود .

وفي رأي جماعة اخوان الصفا وخلان الوفا أن النفس الطالبة الافادة والتعليم تتشبه بمعلمها واستاذها الذي يفيض عليها الخيرات والفضائل ، فيقولون : « . . . واشتهى وتمنى وطلب من يفيض عليه من تلك الخيرات ، والفضائل ويفيده إياها . فإذا وجد تلميذاً يعلم انه يقبل منه تأديبه ، ويفهم علمه وحكمته ، أقبل عليه بالفيض والإفادة طمعاً في أصلاحه ، وحرصاً في تعليمه ورغبة في تأديبه ، تشبهاً بأستاذه في افعاله وصنائعه ، مثل ما كان يفعل استاذه به ، تشبهاً بأستاذه ومعلمه ومخرجه الأول ، الذي أدبه وخرجه وهذب جوهره وصفى عنصره . فإذا فرغ من تعليمه وتثقيفه بتأديبه ، أقبل عند ذلك على عبادة ربه ، وطلب الخلوات لمناجاة ربه ، وتمنى اللحوق بأسلافه وأقاربه ، والدخول في زمرة ملائكته . . . »[1] .

ويعتقد جماعة اخوان الصفا وخلان الوفا ان اصحاب هذه المناقب من المفيدين أو الأساتذة هم الأنبياء والحكماء والعلماء الربانيين الذين يزرعون الحكمة الحقانية في النفوس الانسانية لما فيه سعادتها وخلودها . لذلك وجب على العلماء والحكماء والمفيدين ، اذا أرادوا فتح أبواب الحكمة للمتعلمين والمستفيدين ، وكشف الأسرار للمريدين ، أن يروضوهم أولاً ، ويهذبوا نفوسهم بالتأديب ، كما تصفو وتتطهر أخلاقهم .

---

(١) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفا جـ ٣ ص ٣٥٥ .

ويشبهون المعرفة بالعروس التي تنشد لها مجلساً خالياً لأنها كنز من كنوز الآخرة : « وان الحكيم اذا لم يفعل ما هو واجب في الحكمة من رياضة المتعلمّين قبل أن يكشف لهم أسرار الحكمة . فيكون مثله في ذلك كمثل حاجب ملك أذن لقوم بُله بالدخول على الملك من غير تأديب ولا ترتيب ، فإنه يستحق العقوبة عليه ان فعل ذلك ، فاذا هو فعل ما قد يجب من تأديبهم ثم لم يفعلوا هم ولا قبلوا منه ، فقد بريء الحكيم من اللوم ، ولزمهم الذنب،لأنك اذا قدمت الطعام والشراب الى الجائع فقد أشبعته، فإذا هو لم يأكل حتى مات جوعاً ، فهو المأخوذ بدمه » ، « ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ﴾ .

ومن أعظم السعادات التي تسيطر على المستفيد وأثمنها أن يتفق له معلم رشيد عالم ، عارف بحقائق الأمور والأشياء مؤمن بيوم المعاد ، عالم بأحكام الدين ، بصير بأمور الآخرة، خبير بأحوال المبدأ والمعاد ، مرشد ومفيد له اليها .

ومما لا شك فيه بأن المفيد المعلم أب للنفس المستفيدة وسبب لنشؤها وارتقائها وعلة لحياتها ، كما أن الوالد الجسماني أب للجسد الانساني ، وسبب لوجوده، وذلك كونه أعطى الانسان الصورة الجسدانية ، ومفيده أعطاه الصورة الروحانية ، لأنه يغذي نفسه بالعلوم ويربيها بالمعارف ، ويهديها إلى طريق النعيم واللذة والسرور والأبدية والراحة السرمدية ، كما أن الأب الجسداني كان سبباً لكون الجسد في دار الدنيا وتربيته وارشاده إلى طلب المعاش فيها التي هي دار الفناء والتغيير والسيلان ساعة بساعة ، وليس على الانسان إلا أن يفتش وينقب عن معلم هادي رشيد سديد عارف بالأسرار الإلهية ، والحكم الربانية ، جيد الطبع ، حسن الخلق ، صافي الذهن ، محب للعلم ، طالب للحق ، غير متعصب لرأي من المذاهب ، ومتى وجده يصل بفضل تأثيره وتربيته على السعادة القصوى ، والغاية السامية .

ويذهب جماعة أهل الحق بأن أفكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلوم وأعتقاد من الآراء ، تكون كالورق الناصع البياض الذي لم يكتب فيه شيء آخر ، حقاً كان أم باطلاً ، فقد شغل المكان ، واستحال أن يكتب فيه شيء آخر ، ويصعب حكه ومحوه . وهكذا تكون النفوس التي سبق لها وتعلمت علماً من العلوم ، أو أعتقدت بعض الآراء ، أو أعتادت عادة من العادات ، حقاً كانت أو باطلاً ، فيصعب قلعها ومحوها .

وبالأضافة إلى كل هذا يصرون على ضرورة اختيار المستفيدين المتعلمين من بين الشباب السالمي الصدور ، الراغبين في الآداب ، المبتدئين بالنظر في العلوم ، الناشدين طريق الحق والدار الآخرة ، والمؤمنين بيوم المعاد ، المستعملين شرائع الأنبياء ، الباحثين عن أسرار كتبهم ، التاركين الهدى والجدل غير متعصبين على المذاهب والأديان .

وفي رأي جماعة أهل الحق أن الله تعالى ما بعث نبياً إلا وهو شاب ، ولا أعطي لعبد حكمة إلاّ وهو شاب ، كما ذكرهم سبحانه ومدحهم فقال: **﴿انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ . وقال ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم﴾ وقال أيضاً : ﴿ وإذ قال موسى لفتاه ﴾ .**

ولقد وضع علماء أهل الحق تنظيمات خاصة حددوا بموجبها مهمة المفيد المعلم ، وواجبات المستفيد المتعلم نحو استاذه ومربيه . فنرى فيلسوف الدعوة الحقاني « أبو يعقوب السجستاني » يفرد في كتابه « الينابيع » الينبوع الأربعون ليتحدث عن كيفية التأييد والمؤيدين في العالم الجسداني فيقول : « ان اتصال التأييد بالمؤيدين في العالم الجسداني أشرف وألطف من اتصال قوى الاجرام العلوية بالمواليد السفلية . . . »[1] .

ويعتبر السجستاني التأييد لامعاً من العالم الروحاني ، لأنه في رأيه لا يوجد في شخص من أبناء البشر غير أشخاص الرسل من يمكنه استخدام

---

(١) كتاب الينابيع ص ١٧١ تحقيق مصطفى غالب منشورات المكتب التجاري بيروت

العالم الروحاني واستخراج منافعه المقدرة فيه من المبدع .

ويظهر ابتداء التأييد بالمؤيد ، عندما يصبح قادراً على استنباط الأشياء من غير طريق الحواس ، التي هي الأصول ، والاستدلال بالظواهر على الخفيات ، بل يجد نفسه بأيسية من المحسوسات زاهدة فيها راغبة في المعقولات التي لا تعلق لها بالأشياء الهيولانية .

ويذهب السجستاني إلى ان هناك فرق بين العالم ، والمؤيد ، لأن العالم بأعتقاده مضطر في حفظ علومه وحكمه الى المحسوسات الهيولانية ، والمؤيد يستغني عنها ليتصور في خاطره ما يعجز العالم أن يستخرجه ، من جهة الاستدلال بالدلائل الحسية .

أما الداعي أحمد حميد الدين الكرماني فإنه ينحو أتجاه آخر حيث يجري بعض المطابقات والمقابلات العلوية والسفلية ، التي يدل فيها على صحة ما يذهب إليه في هذا المجال ، فيذكر ان الأنفس التي هي دون الناطق والقائمين مقامه في عالم الدين مرتبة في مراتب أربع ، بعضها أول قائم بتعليم العبادات الظاهرة العملية ، ومنازل الحدود السفلية ، التي بها تتهذب الأنفس وترقى إلى المعالي الأبدية ، وبعضها ثانٍ قائم بتعليم العبادات الباطنة العلمية ، ومنازل الحدود العلوية ، التي بمعرفتها تنال السعادة السرمدية ، وبعضها ثالث في طريق التعليم والتنبيه واكتساب الفضيلة وقبول العلم وإقامة العمل واحسان الاتباع ، وبعضها رابع في طريق النفار وقلة الأئتمار والقبول والتردد بين الشك والنفاق ، وهو المقصود بالاصلاح ، وجميع ذلك الحجج والدعاة ومن دونهم، وعن جملتهم توجد المواليد الروحانية بتأثير بعضها في بعض .

ولما كان كون القائمين دون الأئمة في عالم الدين بقبول أنوار العلم والملكوت أربعة : ثلاثة منهم متعلمون ومعلمون ، وهم : الباب ، والحجة ، والداعي ، وواحد متعلم وهو نفس البشر ، وكذلك الاجسام القائمة دون الأفلاك التي هي الأجسام المؤثرة بقبول آثارها أربعة : منها

مؤثرة فيها ومؤثرة ، وهي النار ، والهواء، والماء ، ووواحدةمنها قابلة آثار الكل وهي الأرض .

وكان كون الامام الذي هو بمنزلة الناطق مؤثراً من جملة من حوله من الأصحاب والأتباع في رجل واحد هو أقرب الناس اليه وأشبه الناس به جسماً ونفساً فيقبل عليه بالأفادة والتعليم والارتقاء إلى درجة الكمال الذي به هو يستنير جوهره . ويعلو كل نفس دونه ، وبه تحصل المعرفة بالأمور الشرعية السياسية ، وبه تقع القدرة على جذب من دونه من الأنفس الى المراتب ديناً ودنياً فيقيمه بتهذيبه إياه باباً له . . .[1] » .

هذه خلاصة آراء جماعة أهل الحق المتعلقة بالمفيد والمستفيد ومهمة كل منهما في حقل الإفادة والتعليم أوردناها كما عثرنا عليها في مصنفاتهم ، تنويراً للأذهان ، وخدمة للعلم والحقيقة .

---

(١) راحة العقل للكرماني ص ٣٣٤ تحقيق مصطفى غالب منشورات دار الأندلس - بيروت .

المفتاح الخامس

« وحدة الأديان »

يعتقد جماعة أهل الحق بأن جميع المذاهب والأديان مهما اختلفت في سلوكها وتفكيرها ، جوهرها واحد ، لأن لها غاية واحدة ، هي التعلق بالمثل العليا الفاضلة ، والتشبه بالإله على قدر الطاقة الانسانية .

ومهما اختلف الناس في أرائهم ومذاهبهم ، كما هم مختلفون في صور أبدانهم ، وأخلاق نفوسهم ، وأعمالهم وصنائعهم ، فأنهم متفقون في توحيد المبدع سبحانه ، والإقرار بقدرته ، وتوحيده ، وتجريده وتنزيهه . فالأديان كلها ، مهما تباينت عقائدها ، وتنوعت مذاهبها ، تؤدي إلى الطريق الواحد المستقيم .

ولا بد لنا قبل التعرض إلى وحدة الأديان ، ومفهوم هذه الوحدة بالنسبة لدعوة أهل الحق ، من الأتيان على أخلاق الناس ، واختلاف آرائهم ، ومذاهبهم ، وصور أبدانهم ، وأعمالهم ، وصنائعهم . ويرد سبب اختلاف الناس في أخلاقهم إلى أربع جهات : إحداهـا من جهة اختلاف تركيب الأبدان ، ومزاج اخلاطها . والأخرى من جهة اختلاف ترب البلاد ، وتغييرات أهويتها ، والأزمان التي تنشأ فيها . والثالثة من جهة نشوء الإنسان على عادات آبائه في سنن دياناتهم ، وعلى عادات من يربيه ويؤدبه . والرابعة من جهة أشكال الفلك ، ومواضع الكواكب في أصول الولادة ومسقط النطفة .

وعلى ضوء هذه الاختلافات ، لا بد أن يكون هناك اختلافات في الآراء ، والمذاهب ، والأفكار ، اختلف حولها العلماء الذين أصلوها

وفرعوا منها أنواع المقالات ، والأحكام ، وهي حسب مفهوم جماعة أهل الحق على ثلاثة أنواع : أولها في الترتيب الأمور المحسوسة ، وثانيها الأمور المعقولة ، وثالثها الأمور الإلهية المبرهنة .

أما الأمور المحسوسة التي هي أولها كما نوهنا أعلاه فهي صور في الهيولى تدركها الحواس المباشرة لها ، وتنفعل عنها . وأما الأمور المعقولة ، فهي رسوم تلك المحسوسات التي أدتها الحواس إلى القوة المتخيلة ، اذا بقيت مصورة في الأوهام ، بعد غيبة المحسوسات عن مباشرة الحواس لها .

وأما الأمور الإلهية المبرهنة فهي أشياء لا تدركها الحواس ، ولا تتصورها الأوهام ، ولكن بالدليل والبرهان الصادق يمكن للعقول الاقرار بها ، والقبول لها .

إن أمثال هذه الأمور الإلهية معروفة عند العلماء ، والحكماء ، والمفكرين ، خاصة اقرار الموحدين لله ، والعارفين به ، بأنه تعالى ، حي ، عالم ، حكيم ، خالق ، صانع ، مبدع ، لا يوصف بالقيام ولا بالقعود ، ولا الدخول ولا الخروج ، ولا الحركة ولا السكون ، وما شاكل ذلك من الأوصاف مما توصف بها النفس ، والعقل الفعال ، والصور المجردة من الهيولى ، وما شاكلها من الجواهر البسيطة المسمين الملائكة ، والروحانيين .

فهذه الأمور التي ذكرناها لا تدركها الحواس ، ولا تتصورها الأوهام ، بوجه من الوجوه ، ولا بسبب من الأسباب . لذلك يكون الحكم فيها بميزان العقول ، مستعملين الدليل والبرهان ، للاقرار ، بها ، وقبلوها ، وإن كانت لا تدركها الحواس ، ولا تتصورها الأوهام ، لأن الإقرار بالحق أولى ، من التمادي في الباطل .

ولما كان الإختلاف يدور حول إدراك هذه الأمور الثلاثة التي أشرنا اليها ، والتي تعلم وتعرف من ثلاث جهات : احداها دقة المعاني ، ولطافتها وخفاؤها ؛ والثانية فنون الطرق المؤدية اليها الأسباب المعينة على إدراكها ، والثالثة تفاوت قوى النفوس الدراكة لها في الجودة ، والرداءة ،

وهي الأصل والسبب في اختلاف العلماء ، والفلاسفة، والفقهاء ، في الآراء والمذاهب ، وسائرها فروع عليها . كان إدراك الإنسان الذي هو مجموعة من جسد جسماني ونفس ، روحانية ، بحسب تقوية نفسه الروحانية لادراك المعقولات ، كما أنه باعضاء جسده الجسماني يتعلم الصنائع ، والحرف ، ويدركها ويبرع فيها .

فالعلوم بمجموعها مهما كانت متنوعة ومختلفة بأزاء قوى نفوس جميع الناس ، فإنه لا يتهيأ لانسان واحد بقوته الجزئية الاستنباط بجميع العلوم ، والإحتمال لسائر الصنائع ، وذلك لأن لنفسه قوى كثيرة ، وله بكل قوة منها أفعال عجيبة ، كما أن لجسده مفاصل كثيرة ، وأعضاء طريفة ، وله بكل عضو من جسده حركات مختلفة . لذلك فإن الناس متفاوتون في الدرجات في هذه القوة بين الجودة والرداءة في ادراكهم المعلومات ، تفاوتاً بعيداً ، وهذا التفاوت بأعتقادنا أحد أسباب اختلافهم في الآراء والمذاهب . ومن تفاوت افعال قوى النفوس يكون اكثر اختلاف الناس في معلوماتهم ، ومنازعات العلماء ، والفلاسفة ، والفقهاء ، في آرائهم ومذاهبهم .

ومن الأسباب المؤدية إلى اختلاف الناس في معلوماتهم ، استعمالهم القياسات المتنوعة ، وسلوك طرق الاستدلالات المتفاوتة ، المتفرعة المتشعبة ، لذلك يتعرضون خلال حياتهم الى الذم والمدح والثواب والعقاب .

ومن هذه المنطلقات يتبين لنا أن كل حاسة من الحواس البشرية تحتاج في ادراكها محسوساتها الى شروط معدودة ، وأسباب مفهومة ، لا زائدة ولا ناقصة ، فمتى فقد الانسان شرط من تلك الشروط أو بعض منها ، أو زاد أو نقص عن المقدار الذي ينبغي عوق حاسته عن ادراك محسوساتها على حقائقها .

ومن البديهي أن يكون لكل حاسة من الحواس محسوسات خاصة

بذاتها ، ومحسوسات خاصة بالعرضَ ، والحاسة التي تكون محسوساتها بالذات لا تخطىء في المدركات ، ولكنها تخطىء بالتي لها بالعرض . ومثال ذلك البصر فإن الذي له من المدركات بالذات هي الأنوار والظلمة ، وهي التي لا تخطىء في ادراكها في جميع الظروف والأوقات . فأما ادراكها الألوان والأشكال والأوضاع والأبعاد والحركات ، فهي تدركها بتوسط النور والضياء . وقد يدخل عليها الخطأ والزلل في ذلك ، اذا نقصت الشروط التي تحتاج اليها . وعلى هذا القياس يجري حكم سائر الحواس ومحسوساتها .

ولا بد لنا أيضاً من الاشارة الى الأمور التي تعلم وتعرف بأوائل العقول ، التي بعضها ظاهر جلي ، وبعضها يحتاج الى قليل من التأمل ، وبعضها يحتاج الى تدقيق النظر وتأمل عميق ، وتفكير مستمر . والمثال على ذلك ، الجميع يعلم بأن الكل أكثر من الجزء . وهذا ظاهر عند الحكماء في أوائل العقول السليمة .

وان الأشياء والأمور المختلفة اذا زيدت عليها أشياء متساوية ، كانت كلها في جميع أوائل العقول السليمة ، فتحتاج الى قليلٍ من التأمل والتفكر . واذا كانت أربعة مقادير على نسبة واحدة ، فإن في الأول من أضعاف الثاني مثل ما في الثالث من أضعاف الرابع . فهذا من الأشياء التي يكون تعلمها بأوائل العقول ، ولكن يحتاج الى بحث أعمق ، ونظر أدق .

وعلى هذه الصورة يتبين لنا أن اكثر العلماء يرون بأن الأشياء التي تعلم ماهيتها مركوزة في أوائل العقول ، فنسبتها لما تعلقت بالجسم ، تحتاج الى التذكار ، لذلك يطلقون على العلم تذكراً ، ويحتجون بقول « افلاطون » : العلم تذكر .

وهذا في اعتقادي خطأ لأن أفلاطون أراد بقوله : العلم تذكر ، يقصد أن النفس علامة بالقوة ، فتحتاج الى التعليم حتى تصبح علامة

بالفعل ، لذلك قال : العلم تذكر . ثم ان أول طريق التعاليم هي الحواس ، ثم العقل ، ثم البرهان ، فلو لم يكن للانسان حواس ، لما أمكنه أن يعلم شيئاً ، لا المبرهنات ، ولا المعقولات ، ولا المحسوسات .

والمثال على صحة هذا الرأي ان كل ما لا تدركه الحوس بوجه من الوجوه ، لا تتخيله الأوهام ، وما لا تتخيله الأوهام ، لا تتصوره العقول . واذا لم يكن شيء معقول . فلا يمكن البرهان عليه ، لأن البرهان لا يكون إلا من نتائج مقدمات ضرورية مأخوذة من أوائل العقول ، والأشياء التي هي في أوائل العقول أنما هي كليات أنواع وأجناس ملتقطة من أشخاص جزئية بطريق الحواس . ويستدل على ذلك أن الطفل لولا أنه قدر أن عشر جوزات أو برتقالات اكثر من خمس ، أو مسطرة طولها عشرة سنتات أطول من أخرى طولها ستة سنتات ، لما كان يمكنه أن يعلم أن الكل اكثر من الجزء ؟

ومن هذا المنطلق يحكم على سائر المعقولات لأن أوائلها مأخوذة من الحواس . لذلك يعتبر من كان اكثر تأملاً للمحسوسات ، أعمق نظراً في أمور الموجودات ، واكثر بحثاً في الخفيات ، وأجود تجارب للأمور الدنيوية ، وأحسن تقديراً لأهلها ، وأرجح عقلاً من أبناء جنسه ، وأكثر علماً من أهل طبقته .

ومع هذا يكون العقلاء متفاوتو الدرجات في عقولهم تفاوتاً بعيداً جداً ، لا يقدر قدره إلا الله سبحانه وتعالى الذي أوجدهم وفضل بعضهم على بعض ، كما اقتضت حكمته ، وسبق علمه في خلقه

واذا درسنا هذه الآراء خلصنا إلى أن الأديان والمذاهب التي وجدت في هذا العالم ، وبشر بها الأنبياء بحسب اختلاف سننهم ، وتاريخ وجودهم ، بحسب الأزمنة ، والأمم التي وجدوا فيها ، واحدة تستقي من ينبوع رباني واحد ، إنما يختلفون في الشرائع التي هي أوامر ونواه وأحكام وحدود وسنن ، لقوله تعالى : ﴿ ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾

وقوله : ﴿ لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه﴾ .

ومما لا شك فيه أن اختلاف الشرائع ليس بضار ، طالما الدين واحد ، بأعتباره طاعة وانقياد للرئيس الآمر فيما يأمر ، وينهي المرؤوسين ، بحسب ما يليق بكل واحد منهم ، وما يرى أنه يصلح لهم ويصلحون فيه ، باعتبار أن أوامر أصحاب الشرائع ونواهيهم مماثلة لأمر الطبيب الشفيق ، فيما أمر المريض من الحمية وتناول الدواء وما يرتأيه يعود عليه بالفائدة ويمنحه الصحة والعافية .

ومن الطبيعي ان تختلف شرائع الأنبياء ، وكذلك سنن وقواعد النواميس ، لأن أصحاب الشرائع هم أطباء النفوس التي تصيبها علل وأمراض مختلفة من الأخلاق السيئة ، والعادات الفاسدة ، كما تصيب الأجسام العلل والأمراض ، لذلك اختلفت أدوية الأطباء وعلاجاتهم .

وعلى هذا النسق يكون اختلاف شرائع الأنبياء بمقتضى أهل كل زمان وما يليق بكل أمة ، مثل شريعة نوح ، فهي في زمانه ، وشريعة ابراهيم بعده بزمان آخر وقوم آخرين غير الذين وجدوا أبان شريعة نوح ، وشريعة موسى جاءت في وقت آخر ولقوم آخرين ، وشريعة عيسى بن مريم بعده في زمان آخر ولقوم آخرين ، وشريعة محمد جاءت في زمان آخر ولناس آخرين ، فهؤلاء الأنبياء كلهم دينهم واحد ، وان كانت شرائعهم مختلفة .

وأما الاختلافات التي وقعت وتقع بين اصحاب شريعة واحدة ، كالذي بين طوائف اليهود ، وبين النصارى ، وبين الطوائف الاسلامية ، فهي تعود إلى اجتهادات العلماء ، واختلافهم في تفسير المعاني ، وشروحات احكام الشريعة وسنن الدين .

وفي اعتقادنا أن خلافات العلماء والفقهاء ، في الآراء والمذاهب لها فوائد كثيرة ، توقظ النفوس من نوم الجهالة ، وتنبهها من السهو والغفلة .

وبالرغم من تضارب الأقوال وكثرة الآراء والاختلافات في المذاهب ، فالحق موجود في كل دين من الأديان ، وعلى كل لسان جار ، وان الشبهة دخولها على كل انسان جائز ممكن .

ومن الواضح الجلي بأن العقلاء مجبولون على أن لا يترك أحدهم ديناً ومذهباً قد نشأ عليه وأنس به ، وقد اعتاد التعبد على سنته ، وأخذه عن آبائه ومعلميه ، من غير أن يتبين له بطلانه ، لذلك لا يرغب في الدخول في دين آخر لم تتوضح له معالمه ، ولم تصح له حقيقته ، ولا قامت عنده حجته .

لهذا لا نلوم الناس على تمسكهم بدين آبائهم ، ومذاهب اسلافهم . فدين الحق الذي ندين به يستغرق المذاهب كلها ، ويضم العلوم جميعاً . لذلك لا نحمل حقداً على أحد ، ولا نعادي علماً من العلوم ، ولا نعزف عن مطالعة كتاب من الكتب ، ولا نتعصب على مذهب من المذاهب ، فدين الأنبياء ، دين واحد ، بالرغم من تباعد الأزمان فيما بينهم ، واختلاف لغاتهم ، وموضوعات شرائعهم ، فهم باعتقادنا العميق متفقون على رأي واحد ، ومقصد واحد ، هدف واحد ، فيما ينهدون اليه في دعوتهم بين الأمم إلى أمر الآخرة ، واحوال القيامة ، وجزاء الاعمال فيها ، إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً .

ومهما تعددت الطرق ، واختلفت المسالك ، وتنوعت الدروب ، فالأديان كلها ، مهما تباينت عقائدها ، وتنوعت مذاهبها ، تؤدي الى طريق واحد مستقيم ، يوصل الانسان إلى الكمال المطلق ، والهدف الأمثل . لذلك فنحن نجلها ونحترمها ونقدر غاية التقدير العاملين فيها الذين ينظرون للغير نظرة محبة واخاء تنعكس على سلوكهم وتصرفاتهم تجاه أنفسهم وتجاه الغير . فالأديان السماوية التي بشر بها الأنبياء والمصلحين وجدت لاسعاد البشرية وانقاذها من الجهل ، لا شقاوة الانسان وترديه في التهلكة .

المفتاح السادس
« الإخاء والمحبة »

الإخاء الروحي ، الواعي المدرك لحقائق المحبة ، الأرادي المنتصر ، الناهد إلى المثل العليا ، والكمال الأفضل ، يتبوأ مكان الصدارة لدى جماعة أهل الحق ، الذين كونوا مجتمعهم العلمي والديني على أسس متينة من الأخوة الصادقة ، والمحبة الخالصة .

ولقد جعلوا للأخوة والمحبة مبادىء وشروط يجب أن تتوفر في من يختاروه لهذه الغاية ، وشددوا على ضرورة اختيار الأخ بعد دراسة أحواله ، والتعرف على كل شاردة وواردة من أخباره ، واخضاعه لتجارب أخلاقية قاسية ، والبحث الدقيق عن مذهبه واعتقاده ، ليتبين مدى صلاحه للصداقة ، وصفاء المودة ، وحقيقة الاخوة ، لأن بين أبناء البشر أناس طبائعهم متغايرة خارجة عن الاعتدال ، وعاداتهم المكتسبة من مجتمعاتهم ورفاقهم رديئة مفسدة ، ومذاهبهم مختلفة جائرة .

ولما كان اتخاذ الاخوان ، واختيار الاصدقاء من أجل الأمور الحياتية واعظمها ، يجب على من يريد أن يتخذ أخاً ، أو صديقاً ، أن ينتقده كما تنتقد الدراهم والدنانير ، والأرض الطيبة التربة للزرع والغرس ، وكما ينتقد ابناء الدنيا أمر التزويج والمصاهرة ، وشراء السلع والأمتعة ، التي يحاولون اقتناؤها . بأعتبار أن اخوان الصدق والمحبة ، هم الأعوان على أمور الدين والدنيا جميعاً ، وهم أعز من الكبريت الأحمر ! فإذا وجد منهم واحداً يجب التمسك به ، لأنه قرة العين ، ونعيم الدنيا ، وسعادة الآخرة ، لأن اخوان الصدق نصرة على دفع الاعداء ، وزين عند الأخِلاَّء ، ودعائم قوية يعتمد عليهم عند المصائب والبلوى ، وظهر يستند

إليه عند الشدائد ، في السراء والضراء ، وكنز مذخور ليوم الحاجة ، وجناح خافض عند الملمات ، وسلم للصعود إلى المعالي ، ووسيلة الى القلوب ، عند طلب الشفاعات ، وحصن حصين يلتجأ اليه يوم الروع والفزعات . فإن غبت حفظك ، وان تضعضعت عضدك ، وأن رأى عدواً لك قمعه . والواحد منهم كالشجرة المباركة تدلت أغصانها اليك بثمرها ، وأظلتك أوراقها بطيب عبيرها ، وسترتك بجميل فيئها ، فإن ذكرت أعانك ، وان نسيت ذكرك ، يأمرك بالبر ويساقبك اليه ، ويرغبك في الخير ويبادرك اليه ويدلك عليه ويبذل ما له ونفسه دونك .

فإذا وفق الانسان خلال وجوده في دار الدنيا بمن هذه مناقبه ، فليبذل له نفسه وماله ، ويق عرضه بعرضه ، ويفرش له جناحه ، ويودعه سره ، ويشاوره في أمره ، ويداوي برؤ يته عينه ، ويجعله أنسة ، اذا غاب عنه ذكره وفكر في أمره ، وان هفا هفوة غفر له ، وان زل زلة صغرها عنده ، فلا يوحشه فيخاف من حقده ، فيستعرض سالف احسانه ، عند اساءته ، ليأنس به ، ويأمن غائلته ، فإن ذلك أسلم لوده ، وأدوم لأخائه وصداقته .

ومن الطبيعي ان هناك من أبناء البشر من لا يصلح للصداقة ، والأخوة ، فأنظر من تعاشر وتصادق ، ولا تغرك ظواهر الناس من غير أن تسبر أعماق بواطنهم ، ولا بحلاوة العاجل قبل النظر في مرارة العواقب ، فإذا وددت اتخاذ أخ أو صديق ، فأعتبر أولاً أحواله ، واختبر أخلاقه ، وسله عن مذهبه واعتقاده ، وانظر في سجيته وعاداته ، وشمائله وحركاته ، فإنه لا يخفى على المتفرس بواطن الأمور ، اذا شاهد ظواهرها .

ومن الناس من يلبس لكل حالة لباسها ، ويتستر بشكل الصديق ، ويظهر المحبة ، ويبطن الخداع والمراوغة ، فلا تغتر به ، ولا تنخدع بالمظاهر الخلابة ، لأن أغلب ابناء البشر عاشوا في بيئة مليئة بالرياء والنفاق ، والبخل والشح ، والحسد والحقد ، والدس والنميمة ، فحاول

الابتعاد عن أمثال هؤلاء الذين تمرغوا في الوحل ، واكتسبوا الاخلاق الفاسدة ، والطبائع الرديئة .

لأنك تختلف بما تحمله في قلبك من مناقب سامية ، واخلاق عالية ، عن هؤلاء ، فالصداقة والأخوة الحقة لا يمكن ان تتم بين مختلفين بالطبع والأخلاق ، لأن الضدين لا يجتمعان . مثال ذلك الكريم والبخيل ، فأنهما متضادان في الطبع ، فلا تتم بينهما الصداقة ، ولا تتعمق الأخوة ، ولا تصفو لهما المودة ، لأنه اذا فعل الكريم شيئاً مما يوجبه كرمه ، من بذل المال أو المعروف ، رآه البخيل بصورة المضيع قد فعل ما لا ينبغي ولا يجوز . واذا فعل البخيل بطبعه شيئاً من امساك المال مما يوجبه بخله ، رآه الكريم بصورة قائمة سوداء ، فيصير ذلك سبباً ليعيب كل واحد منهما على صاحبه ، حتى يعتقد البخيل في الكريم سخف العادة ، وبعثرة الأموال ، وترك النظر في العواقب ، ويعتقد الكريم في البخيل النذالة والدناءة ، وصغر النفس ، فإذا تكررت الأحداث ، وازدادت المشاكل ، صارت وحشة ونفوراً ، وربما تصبح عداوة ، وتصير العداوة صرامة وانقطاع ، وهذا المثل ينطبق على كل خلقين مختلفين متضادين ، فأنهما يوجبان المنازعة ، والمنازعة توجب المغالبة ، والمغالبة تنتج المغايظة ، والمغايظة توجب المباغضة ، والمباغضة عكس الأخوة والصداقة .

وفي اعتقاد أهل الحق استناداً إلى خبرتهم ودرايتهم ، أن الصديق ، أفضل من الأقارب ، والأبناء ، والأخوة الذين جاءوا من الآباء ، وحتى الزوجات ، الذين يحبون من أجل منفعة تصل اليهم ، أو من أجل مضرة تدفع عنهم ، فإذا استغنوا عنها زهدوا في صاحبها وخذلوه ، وقد يكون احوج ما يكون اليهم . فأما من يتمتع بالشمائل التي وصفنا فإنه يرى ويعتقد انه وصاحبه أو صديقه ، من نفس واحدة في جسدين متقابلين ، يسره ما يسر صاحبه ، ويغمه ما يغمه ، يريد له مثل الذي يريده لنفسه ، لأن قلبه صافٍ ،ونفسه طاهرة ، ولا تخفى عليه بواطن الأمور ، لأنها تتراءى له كما تتراءى في أعين البصراء ظواهر الأمور . فلا يضمر الأخ

الصادق المحب لأخيه النقي الصافي من عيوب المجتمع ، المستحق للصداقة والمحبة ، خلاف ما يظهر له ، لأن ذلك لا يخفى عليه ، ولا ينكتم عنه . فكن من العقل والتمييز وحرية النفس وصفاء الجوهر ، بحيث تكون معاضداً لأخوانك لأن جوهرك من جوهرهم ، ونفسك من نفوسهم ، وصلاحك من صلاحهم .

ومن الواضح ان قضية الإخاء والمحبة قد تحدث عنها علماء وفلاسفة وحكماء منذ أجيال عديدة ، وبشروا بالمودة والصداقة منذ قرون ، وقرون ، ولذا لا بد لنا من تقديم لمحة خاطفة من أقوال وآراء بعض الذين تحدثوا عن هذه الناحية الهامة بالنسبة للمجتمع البشري .

ففي رسالة بولس الرسول الأولى الى أهل كورنتوس يقول : « ان كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة . ولكن ليس لي محبة ، فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن . وان كانت لي نبوة واعلم جميع الأسرار وكل علم ، وان كان لي كلّ الايمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس لي محبة ، فلست شيئاً . وأن أطعمت كل أموالي ،وان سلمت جسدي حتى احترق ، ولكن ليس محبة ، فلا انتفع شيئاً . المحبة تتأنى وترفق . المحبة لا تحسد ، المحبة لا تتفاخر ، ولا تنتفخ . ولا تقبح ، ولا تطلب ما لنفسها ، ولا تحتد ، ولا تظن السوء ، ولا تفرح بالأثم ، بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شيء ، وتصدق كل شيء ، وترجو كل شيء ، وتصر على كل شيء . المحبة لا تسقط أبداً . . . أما الآن ، فيثبت الايمان ، والرجاء ، والمحبة ، هذه الثلاثة ، ولكن أعظمهن المحبة . . . » .

وفي الاصحاح الثاني عشر من رسالة بولس الرسول الى أهل كورنتوس ، يقول في التضامن ، والتعاون ، والإخاء : « وأما من جهة المواهب الروحية ، أيها الاخوة ، فلست أريد أن تجهلوا . أنتم تعلمون أنكم كنتم أمماً منقادين الى الأوثان اليكم كما كنتم عشاقون . لذلك أعرفكم ان ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أنا ثيما . وليس

أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاّ بالروح القدس . فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد . وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد . وأنواع اعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل للكل في الكل . ولكنه لكل واحد يعطي اظهار الروح للمنفعة . فإنه الواحد يعطي بالروح كلام حكمه . والآخر كلام علم بحسب الروح الواحد . والآخر عمل قوان . والآخر نبوة . والآخر تمييز الأرواح ... لأنه كما ان الجسد واحد وله اعضاء كثيرة وكل اعضاء الجسد واحد اذا كانت كثيرة هي جسدواحد كذلك المسيح ايضاً ، لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا الى جسد واحد . » .

وفي الاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا يقول السيد المسيح : « أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام . كل غصن فيّ لا يأتي بثمر ينزعه . وكل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر. أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به . اثبتوا فيّ وأنا فيكم . كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته ، ان لم يثبت في الكرمة ، كذلك أنتم أيضاً أن لم تثبتوا فيّ . أنا الكرمة وأنتم الاغصان . الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير... وصيتي ان تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم . ليس لأحد حب أعظم من هذا ، أن يضع احد نفسه لأجل أحبائه . انتم أحبائي أن فعلتم ما أوصيتكم به » .

ويبدو ان كافة الأديان السماوية والرسائل الحكمية قد اجمعوا على التبشير بالمحبة والاخاء لما فيه من سعادة لابناء البشر .

ولقد أفرد جماعة اخوان الصفاء وخلان الوفاء في رسائلهم عدة ابحاث تتعلق بالأخوة وكيفية معاملة الأخوة واختيارهم ، وتنمية روح المودة والمحبة بينهم ، ومما ذهبوا إليه قولهم : « ليس من جماعة يجتمعون على المعاونة في أمر من أمور الدين والدنيا أشد نصيحة بعضهم لبعض ، ولا أحسن من معاملة اخوان الصفاء . وذلك ان كل واحد منهم يرى ويعتقد

أنه لا يتم له ما يريده من اعلاء الدين إلا بمعاونة أخيه ، وكل واحد منهم يريد ويحب لأخيه ما يحب ويريد لنفسه ، وكذلك يكره له ما يكره لنفسه . . . » .

وعلى هذه الأسس المتينة من المحبة والمودة كون جماعة اخوان الصفاء وخلان الوفاء اخوتهم الحقة الصادقة ، ونظموها تنظيماً دقيق فأصبح لهم في كل بلد من بلدان العالم الاسلامي جماعة وبين كل طبقة من طبقات المجتمع اخوان اوفياء ينشرون دعوتهم ، ويبشرون بآرائهم ، ومبادئهم الدينية والفلسفية والاجتماعية .

وليس أدل على صدق اعتمادهم على اخوتهم الموزعين في شتى أقطار الأرض بين مختلف البيئات والطبقات ، من قولهم : « اعلم ايها الأخ ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن لنا اخواناً وأصدقاء من كرام الناس وفضلائهم ، متفرقين في البلاد ؛ فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والكتاب والعمال ، ومنهم طائفة من أولاد الأشراف ، والدهاقين ، والتجار ، ومنهم طائفة من أولاد العلماء ، والأدباء ، والفقهاء ، وحملة الدين ، ومنهم طائفة من أولاد الصناع والمتصرفين وأمناء الناس .

وقد ندبنا لكل طائفة منهم أخاً من اخواننا ممن ارتضينا في بصيرته ومعارفه ، لينوب عنا في خدمتهم ، بالقاء النصيحة اليهم بالرفق والرحمة ، والشفقة عليهم ، وليكون عوناً لأخوانه بالدعاء لهم الى الله والى ما جاءت به أنبياؤه ، وإلى ما أشارت إليه أولياؤه من التنزيل والتأويل لاصلاح امر الدين والدنيا أجمعين .

وقد اخترناك أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وأيانا بروح منه ، لمعاونتهم ، وارتضيناك لمشاركتهم ، لما آتاك الله من فضله من العقل والفهم ، والتمييز ، وحرية النفس وصفاء جوهرها ، لتكون مساعداً لأخوانك ، ومعاضداً لهم ، لأن جوهرك من جوهرهم ، ونفسك من

نفوسهم ، وصلاحهم صلاحك .

فأمض على بركات الله وحسن توفيقه إلى أخ من اخواننا ، وتوصل اليه بالرفق على خلوة وفراغ من مجلسه ، وطيبة من نفسه ، فأقرأ عليه من التحية والسلام ، وبشره بما يسره من نصيحة الاخوان ، وعرفه شدة شوقنا إلى اخائه ومودته وولايته » .

ومن تصفح المصنفات الصوفية في الإسلام نلاحظ بأن هذه الجماعة ينهجون في سلوكهم الديني والدنيوي نهج كل من بشر بالأخوة ، وسار على طريق المحبة ، فهم يرون أن من أراد ثبات الاخوان على محبته ، القاصي منهم والداني ، أن يثنوا عليه بكل لسان ، فيقابلهم بالحلم والغفران ، وليتأمل في قوله تعالى : ﴿ **ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد بعده انه كان حليماً غفوراً** ﴾ فأخبر سبحانه وتعالى انه ليس بعد الحليم الغفور من يمسكهما !!

ومما يعرف عن الحلاج ، الفيلسوف الصوفي الكبير ، انه كان ينهد إلى ايجاد كتلة شعبية تدعو الى اخوة روحية في الله ، وتستهدف وحدة العالم الاسلامي ، والنهوض به خلقياً ودينياً حتى يعود الى منهج الصدر الأول وقوته ، وروحانيته وايمانه . اخوة روحية تنبثق منها الوحدة الكاملة في الشعور والمثل ، والمناهج والغايات .

ويمكننا أن نعتبر الشيخ محي الدين بن العربي من دعاة الأخوة والمحبة ووحدة الأديان على أسس من الود والصفاء ، حيث يقول من قصيدة له في باب الاشارات العلوية :

ألا يا حمامات الأراكة والبان
ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني
ترفقن لا تظهرن بالنوح والبكا
خفي صباباتي ومكنون أحزاني

* * *

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه فالحب ديني وإيماني
لنا أسوة في بشر هند وأختها
وقيس وليلى ثم مي وغيلان

المفتاح السابع

« الشمول »

الشمول في العقيدة والمذهب ، لا يعني الوحدة الفعلية على أسس من المصالح المتبادلة بين الأطراف المتحدة ، بل يعني بالنسبة لدعوة أهل الحق ان الأصل العميق الجذور الذي يمد الفروع ولا يستمد منها هو الذي يشمل بطبعه ، ومن ذاته القدسية كافة الفروع العقلانية والروحانية التي شعت ، أو انبثقت منه ، بالامدادات العقلية الفاعلة التي تؤلف بينهما جميعاً وحدة روحية عقلانية كاملة في مجال الابداع ، والانبعاث ، وما يتبعهما من تفاعلات وامدادات عقلانية روحية .

فالأصل في عقيدة أهل الحق هو الموجود الأول ، أو المبدع الأول ، أو العقل الأول ، الذي كان أول موجود أوجده الله سبحانه وتعالى من ذاته ليكون الموجود الأول في عالم الابداع والعقل ، ويمد بالقدرة الروحانية ، كافة العقول التي تترتب بعده ، ولا يستمد منها أي قوة فاعلة ، لأنه أصلها وموجدها عن طريق الإنبعاث ، فهو يمدها روحياً ولا يستمد منها أو من غيرها لكماله وتمامه بالذات .

لذلك شملت قواه الروحية كافة القوى المنبعثة في عالم الابداع لأنه أصلها وممدها ومؤيدها ، وليست القوى التي تتمتع بها تلك العقول سوى قبس من أنواره الابداعية الشاملة ، التي تكفل لها البقاء ، والتمام ، والكمال ، دفعة واحدة بلا زمان ، ولا حركة لشدة روحانيته الذاتية .

ويعتبر جماعة أهل الحق أن أول موجود أوجده الباري سبحانه وتعالى جوهر روحاني في غاية التمام والكمال ، والفضل ، شملت صورته جميع

الموجودات العلوية يسمى العقل الأول ، ومن ذلك الجوهر انبعث جوهر آخر دونه في الرتبة يسمى المنبعث الأول ،أو العقل الثاني ، وانبعث من المنبعث الأول جوهر آخر يسمى المنبعث الثالث ، وهكذا يتم انبعاث العقول العشرة بعضها من بعض ، وجد كل منها عن الآخر صاعداً إلى العقل الأول الذي هو علة الموجودات . ، وهو عين الابداع وعين المبدع من ناحية ، وعين الوحدة وعين الواحد من ناحية اخرى.

والعقل الأول جوهراً محيطاً بالأشياء كلها ، سبق في وجوده كل محاط به ، يشبه الواحد الذي هو أول الأعداد ، ولم يسبقه شيء من الأعداد ، لا من الأفراد ولا من الأزواج ، بل الأعداد كلها انما تتكثر من الواحد وبالواحد ، وكذلك العقل الأول واحد ، وهو الذات لجميع المعقولات .

والعقل الأول يمد بالتأييد كافة العقول الروحانية التي هي دونه ، ويخرج النفوس من حد القوة الى حد الفعل بإعتباره قائم بالفعل بالذات ، ولم يسبقه في عالم الابداع شيء ، لأنه شيئية الاشياء كلها ، وعين العلم والعقل والعمل ، ومجمع الحروف ، وأول طالع من الظلمة لظهور الأيسيات ، وبه نصاب الحياة الروحية الأبدية.

ولما كان العقل الأول ينبوع التركيب ، وكانت النفس قد تصورت من جوهر العقل وضيائه يقال لها : الصورة كما يقال للنفس والعقل الأصلان . وبواسطة الأصلين اللذين هما السابق والتالي ، أو العقل والنفس ، وجدت المخلوقات كلها العلوية الروحانية ، والسفلية الجسمانية .

ولما كان انبعاث العقول الروحانية من العقل الكلي ، والنفس الكلية ، لذلك كانا في مرتبتيهما يشملان كافة العقول الروحانية التي تستمد منهما هذه القوى ، ولما كان العقل الأول أو السابق ممثول للناطق في عصره ، الذي هو علة تشمل كافة الموجودات الدينية ، تبين لنا أن نظرية الشمول تعني بالنسبة لدعوة أهل الحق ان العقل الأول في عالم العقول

الروحانية يعتبر المحور الذي تمتص منه كافة الحدود الروحانية قبس التأييد وضوء المعرفة ، لأنه ينبوع التأييد ، والمولد الذي تشع منه كافة الأنوار الروحانية ، لذلك فهو يشمل كافة الحدود التي تحتاج اليه وتستمد منه قواها ، بينما نراه لا يحتاج إلى أحد ولا يستمد من أحد .

كذلك الناطق أو النبي في عالم الدين يماثل العقل الأول فيزود كافة الحدود التي هي دونه بالعلم والمعرفة والارشاد ، لأنهم بحاجة اليه ، وهو بدوره ليس بحاجة إلى أي واحد منهم ، لأنه كامل تام لا يستمد من أحد ، ونوره يشمل كافة الأنوار الدينية .

من هذه المنطلقات الروحانية والدينية صاغ جماعة أهل الحق نظريتهم في الشمول وجعلوها تشمل كافة المذاهب والأديان ضمن برامج عقلانية تضم تحت لوائها ممثلي جميع الأمم وجميع الآراء والعقائد الدينية ، ووفقوا بين عقيدتهم وكافة الأديان السماوية ، التي سبقت الأسلام وبين ما جاء به الاسلام .

وذهبوا إلى أن الإسلام الذي جاء آخر الأديان السماوية شمل في منطلقاته وعقائده كافة المنطلقات والعقائد الأخرى ، وعبد الطريق المستقيم الهادف إلى اسعاد ابناء البشرية في الدنيا والآخرة لتنصب فيه كافة المسالك والدروب التي تقود إلى هدف واحد مهما اختلفت وطالت وتعرجت تلك المسالك والدروب فنقطة التقائها واحدة توصل جميع سالكيها إلى الهدف الأكمل والأمثل .

فالأنبياء والرسل الذين بشروا بالشرائع والمذاهب والأديان غرضهم واحد ، وهم يعبون من ينبوع واحد ، وينتهون إلى نقطة التقاء واحدة مهما اختلفوا في طريقة السير ونوعها وماهية الزاد الذي يتزودون به خلال عبورهم واجتيازهم العقبات التي تتكوم في معارج الطريق .

ولا بد للصورة الدينية الواحدة التي أوجدها جماعة أهل الحق ، من إطار روحاني يشمل كافة المبادىء العقلية التي تتجسد في العقل الأول الذي

يمدها ذاتياً بالحركة ،و النمو ، والكمال ، باعتباره المحرك الذي يحرك كافة المتحركات العلوية والسفلية للعبادة والتصور ، ويكسب النفس الخلود في النعيم ، والراحة في المعاد القويم ، والإرتقاء الى درجة العقلانيات المحاذية للعقول في دار الابداع ، . من نور سرمدي وضياء عقلي ، يعطيها الاشعاع السرمدي ، ويحرسها من الاستحالة والتغير بأرتفاعها عن سلطان الطبيعة ، واكتسابها بكمالها القيام بالفعل ونيل الأزل ، فتحيط ذاتها بذاتها بما اكتسبته من المعارف الإلهية .

وهذه الصورة الدينية تكون بمثابة علة لوجود الموجودات الدينية كالواحد الذي هو أول الاعداد وعلة وجودها ، والعقل الأول الذي هو أصل عالم العقول وعلة وجودها ، وكذلك كالناطق الذي هو أول حدود دوره ، الفاعل بالأنفس صور التوحيد بكونه الأول الذي يحرك جميع المتحركات في عالم الدين إلى القيام بتوحيد خالقها وموجدها ، فهو سبب لوجود جميع الموجودات في عالم الدين في دوره ، مستغنياً بكماله في وضع شرائع العبادة وتأسيس قواعد العبادة عن غير به يستعين .

فالأول حسب المفهوم العقلاني لأهل الحق لا يحتاج في فعله إلى غير سواه ، لأنه عقل في ذاته ، وعاقل في ذاته ، وعاقل لذاته بذاته ، ومعقولة ذاته له بذاته ، لا يحتاج في اصدار فعله إلى غيره .

وهو بهذه المثابة كُل تجتمع إليه كافة الأجزاء التي انبثقت منه ، وتكون قواه شاملة على كافة قوى وفاعلية تلك الأجزاء ، وهو أساس نوراني تشع منه جميع الأنوار الروحانية التي يمدها بالفيض المستمر الذي يكفل لها السعادة والبقاء .

ولما كان النبي محمد (ص) قائماً من الخلقة الدينية الكبرى مقام العقل الأول أو المبدع الأول في عالم الابداع الروحاني ، كانت له من القوة والظهور . وواصله من ضياء دار القدس والنور ، وما فاق به متقدميه ، من الأنبياء أصحاب الشرائع ، وزاد به على سابقيه بالزمان وسالفيه ،

وصار شاملاً لقواهم ، جامعاً لأنوارهم ، لقربه من النهاية ، ودنوه من الغاية .

فأهل الحق العاملون بموجبات أوامره ، المنتهون عن مناهيه وزواجره ، المتحققون لجميع الخلقة على جبلتها ، المستخرجون شواهدها على صحة دعوة الناطق وحقيقتها ، ليصح تقابل الدين الخلق ، شملت عقيدتهم التوحيدية كافة العقائد التي اعتقدها أبناء البشر منذ البدء وحتى المعاد الأخير ، وانصهرت في بوتقتهم العقلانية الروحانية الفاعلة كافة عقول عالم الأرواح ، والآباء والأمهات ، من الأفلاك والكواكب والأركان .

فالأفلاك التي هي أُكر وهمية شفافة بعضها في افق بعض ، فأعلاها وأشرفها وأصفاها وألطفها الفلك المحيط ، وفي ضمنه وتحت دائرته ، فلك البروج ، وفيه جميع النجوم المسماة بالكواكب الثابتة ، تشمل قواه كافة قوى الأفلاك ، ويحيط بها من جميع الجهات ، ويحوي على الخلقة بأسرها .

ولما كانت الأفلاك والكواكب التي هي الآباء ، والأركان (الماء والنار والتراب والهواء) التي هي الأمهات ، ومن تفاعلهما مع بعضهما البعض ، كتفاعل الذكور والأناث ، تكون المواليد ، وآخر هذه المواليد وصفوتها ، وزبدتها وخلاصتها ، الشخص البشري المأمور المنهي المخاطب من العقول ، بالوسائط من الصفوة البشرية ، الممدة بالمواد الملكوتية التي لأجلها خلقت السماء والأرض .

واذا حاولنا دراسة كافة عقائد جماعة أهل الحق وتنظيماتهم العلوية والسفلية ، وجدنا أن نظرية الشمول التي قالوا بها تنطبق على كافة التنظيمات العلوية والسفلية ، وعلى تحركات الأفلاك والكواكب وتفاعلها مع الأركان . بحيث رتبوها ونظموها لتوافق ما يذهبون اليه في قولهم : الكل يشمل الأجزاء ويمدها بالتأييد والقوة ، وأن مصير هذه الأجزاء العودة أو بالأحرى المعاد إلى الكل الذي انبثقت منه ، لأنه أصلها ، والأصل يحتوي على الفروع ويصهرها في بوتقته .

الحلقة السادسة

« وتضم العلل والمعلولات ، الموجود والموجودات ، العشق الإلهي ، المدينة الفاضلة ، الحروف العلوية ، الأركان الأربعة ، المواليد الثلاثة

المفتاح الأول

«العلل والمعلولات»

تعتبر معرفة علل الموجودات ، ومعلولاتها ، من أصعب العلوم وأدقها ، لا يصل إليه الانسان ، ولا يسبر غوره ، إلاَّ المرتاضون بالعلوم الإلهية ، والحكمة الربانية ، المأخوذة عن الحكماء العقلانيين ، وخلفاء الأنبياء والمرسلين ، تقليداً وإيماناً وتسليماً .

ولا بد للباحث في أمر العلل والمعلولات ، من الاعتماد على اقوال الفلاسفة ، والحكماء ، من أهل الفلسفة العقلانية ، والشريعة الدينية ، المتفقين في جواباتهم في المعاني الحقيقية . فأول ما يبادر إلى ذهن الباحث وهو يتطلع إلى ماهية العلل والمعلولات ، معرفة علة العالم التي حدث عنها ، وكانت سبب وجوده عنها ، وكيف كان هذا الوجود عن العلة الأولى ، وظهور الأشياء بعضها من بعض .

قد يتوهم من ينظرون في مبادىء الموجودات ، بأن صور المعلومات في علم الباري جل ثناؤه لم تزل مثل صور المصنوعات في أنفس الصناع قبل إخراجها لها ، ووضعها في الهيولى المعروفة في صنائعهم ، وأمثل صور المعقولات في أنفس العقلاء ، وتصورهم لها ، من الواضح انّ الأمر ليس كما توهموا .

إذ أن الحقيقة التي لا غبار عليها في هذا المجال ، هي ان صور المصنوعات حصلت في أنفس الصناع ، بعد النظر منهم في مصنوعات من تقدمهم وسبقهم إلى وصفها ، وعلمها . والسابقون لهم ، المخترعون ، فإنما أخذوا ذلك بذكاء نفوسهم ، ولطافة أذهانهم من مفعولات الطبيعة ،

وبدائع صنعة المبدع ، بالتأمل ، والتفكر فيها . وعلى هذه الصورة يكون حكم صور المعقولات ، في أنفس العقلاء ، حصلت فيها بعد نظرهم إلى المحسوسات ، وتأملهم لها ، فتصورت في عقولهم صور الاكتساب ، بالنظر إلى موجودات تقدمت لاكتسابهم إياها ، والباري سبحانه يتنزه عن هذا القياس ، ويتعالى عن هذا المثال ، لأن علمه من ذاته ، كما أن العدد من ذات الواحد ، والمثال يجب أن يكون موافقاً ومنسجماً مع ما يمثل به في أكثر المعاني وأعمها ، لا أقلها ولا أنقصها ، فمثاله سبحانه الواحد ، والمبر وآت كالأعداد ، وهذا المثال اكثر مطابقة للحق من غيره من المثالات .

وكل موجود تام هو علة لما دونه ، وذلك أن كل موجود تام ، يفيض عنه على ما دونه فيضاً تاماً ، وان هذا الفيض هو من جوهره ، أعني صورته المقدمة التي هي ذاته ، والمثال في ذلك النار ، وما يفيض منها ، على ما حولها ، من الحرارة ، والتسخين للأجسام القريبة منها ، وكذلك يفيض من الماء الترطيب ، والبلل ، على الأجسام القريبة منه قرب الحاجة إليه والمجاورة له . والرطوبة هي جوهرية الماء ، وهي صورته المقومة لها ، ومثل ما يفيض عن الشمس ، من النور والضياء . وهو صورتها ، المقومة لذاتها . وكما تفيض من النفس الحياة على الأجسام . لأن الحياة جوهرية لها ، وهي الصورة المقومة لذاتها .

وما دام الفيض على المفاض عليه ، متواتراً متصلاً ، فإنه باقٍ على ما هو به ، فإن قصر عنه بطل وجوده.

كذلك وجود الأشياء ، عن موجدها متواترة ، خارجة من العدم ، إلى الوجود بجوده وفضله ، فلو توقف ذلك الجود لبطل الوجود . والمثال في ذلك تواتر اتصال الأنوار بالهواء ما دام متصلاً به ، متواتر القدوم عليه ، يضيء ويشرق ، واذا انقبض النور والضياء عنه ، أظلم كما يحجب ضوء الشمس الغمام الذي يحول بينها وبين الهواء ، فيعدم النور ، وتحل الظلمة بغيبة الشمس ، كذلك فيض العقل على النفس ، وفيض النفس على

الأجسام ، والمادة متصلة بالأولِ لأنه من المبدع سبحانه . وكما أن النفس اذا فارقت الجسد ، عدم الحياة ، ووقع به الموت ، وبطلت حركته ، كذلك الموجودات كلها ، لو عدمت فيض مبدعها عليها ، ونظره اليها ، نظرة الإرادة الملكوتية المكونة لها ، على ما هي كائنة ، جارية على مراده ، ومشيئته ، وقدرته ، لبطل وجودها ، وهوت في هاوية العدم .

وهذا يدلنا على أن ابداع المبدع سبحانه ليس بتركيب ، ولا تأليف ، بل إبداع واختراع ، وإخراج من العدم إلى الوجود ، والمثال على ذلك كلام المتكلم ، وكتابة الكاتب ، فإن أحدهما يشبه الإبداع ، وهو الكلام ، والآخر يشبه التركيب ، وهو الكتابة ، فمن أجل هذا إذا سكت المتكلم ، بطل وجود الكلام ، واذا أمسك الكاتب لا يبطل وجود الكتابة ، فكذلك إذا قبض المبدع جوده ، بطلت الموجودات دفعة واحدة ، وبهذا البرهان ، صح أن خلق الخالق المخلوقات ، إبداع واختراع ، وليس بتركيب ولا تأليف ، إذ التركيب والتأليف باقٍ إن أمسك المؤلف عن تأليفه ، ويقطع المركب بعد تركيبه ، كما يمسك الكاتب عن كتابته ، وتبقى صورة حروفه .

هذه مجمل آراء جماعة أهل الحق في معرفة العلل والمعلولات ، وهم يرون أن العلة والسبب هما اسمان لمسمى واحد . وذهبوا إلى ان العلل ضرورية لوجود الموجودات ، إذ لا بد لكل موجود من سبب أو علة أدت إلى وجوده . لأن جميع العلل مرتبطة بعضها ببعض ، ومتصلة بعضها ببعض ، لذا أوجبوا أن تصدر هذه العلل عن علة أولى سابقة لجميع العلل . وهذه العلة الأولى أزلية فاعلة أولى للوجود ، وصانعة ومبدعة لكافة الموجودات ، وهي المبدأ الأول أو العقل الأول ، أو الموجود الأول ، الذي وجوده لا بذاته بل بإبداع واختراع المتعالي سبحانه ، وان كافة الموجودات مستندة في وجودها إلى علل سابقة عليها ، وإن كل موجود منها في ذاته فعلاً لما يتقدم عليه منها ، ومفعولاً له من مادة ، وفاعلاً لغير دونه من مادة ، وان وجود الموجودات ينتهي إلى علة ثابتة تنتهي إليها العلل ، لأنها فعل في ذاتها صادر عمن لا يستحق أن يقال انه فاعل ، وهي مفعولة

لا من مادة ، وهي فاعلة لا في مادة هي غيرها . وإنما قالوا أنه فعل في ذاته لكونه أول موجود .

وفي رأي جماعة أهل الحق أن لكل واحد من الموجودات أربع علل هي : علة فاعلة ، وعلة مصورة ، وعلة متممة ، وعلة هيولانية ، فإذا اعتبرت جميع الموجودات كلها لا بد لها من هذه الأربع العلل : مثال ذلك الكرسي علته الفاعلة النجار ، والهيولانية الخشب ، والصورية التربيع ، والتمامية الجلوس عليه ، وأما الجسم المطلق فعلته الهيولانية هي الجوهر البسيط الموضوع فيه قوه القبول ، التي بها قبل الطول والعرض والعمق ، فصار بها جسماً ، وعلته الفاعلة هي الباري ، وعلته الصورية العقل ، لأن الطول والعرض والعمق إنما هي صورة عقلية ، وعلته التماميةهي النفس ، لأن الهيولى من أجلها خلقت ، لكيما تفعل فيه ومنه ما يفعل ويصنع لتتم الهيولى وتكمل النفس . وهذا هو الغرض الأقصى من رباط النفس بالهيولى . واما الهيولى الأولى التي هي جوهر بسيط ، فلها ثلاث علل : الفاعلة ، وهي الباري ، والصورية وهي العقل الأول ، والتمامية وهي النفس . وأما النفس فلها علتان ، وهما الباري ، والعقل . فالباري علتها الفاعلة المخترعة لها ، والصورية هي العقل الذي يفيض عليها ما تقبله من الباري . وأما العقل فله علة واحدة ، وهي الباري الذي أفاض عليه الوجود ، والبقاء ، والتمام ، والكمال ، دفعة واحدة ، بلا زمان .

ولنستمع إلى الشخص الفاضل صاحب الرسائل ماذا يقول في رسالة الجامعة حول البحث عن العلل : « واعلم يا أخي بأن أصعب الأجوبة عن اللمية ، الذي يبحث عن العلل ، والعلل كثيرة ، مفننة ، وعلمها غامض دقيق ، يحتاج الى بحث شديد ، وفهم صادق ، ونفس زكية ، ونظر دقيق ، واعلم بأن المباحث ، والمطالب في معرفة حقائق الأشياء ، تسعة أنواع ، والسؤالات عنها أيضاً تسعة أنواع : أولها هل هو ، وما هو ، وكم هو ، وأي شيء هو ، وكيف هو ، وأين هو ، ومتى هو ، ولِمَ

هو ، ومن هو؟ ولكل سؤال جواب خاص به لا يشبه الآخر فمن تعاطى معرفة حقائق الأشياء ، وأنه يخبر عن عللها وأسبابها ، فيحتاج ان يكون قد عرف هذه المباحث التسعة ، والجواب عن هذه السؤالات واحدة بعد واحدة بحقها وصدقها . » .

وفي مجال البحث عن العلل والمعلولات نلاحظ أن جماعة اخوان الصفاء وخلان الوفاء الذين ساهموا بصورة فعالة في تركيز دعائم دعوة أهل الحق من منطلقات عقلانية روحانية رفيعة ، يفردون فصلاً خاصاً للسؤال عن العلل والمعلولات ، ويتولون الاجابة على كل سؤال من الأسئلة التي طرحوها فيقولون :

« ما العلة ؟ هي السبب الموجب لكون شيء آخر . ما المعلول ؟ هو الذي لكونه سبب من الأسباب . كم العلل ؟ أربعة انواع : فاعلية ، هيولانية ، صورية ، وتمامية . كم المعلول ؟أربعة انواع وهي : المصنوعات كلها ؛ فمنها مصنوعات بشرية حيوانية ، ومنها طبيعية : المعادن والنبات والحيوان ، ومنها نفسانية بسيطة ، وهي : الأفلاك ، والكواكب ، والأركان ، ومنها الروحانية الإلهية وهي : الهيولى ، والصورة المجردة والنفس ، والعقل .

ما الصنعة ؟ هي اخراج الصانع ما في نفسه من الصور ونقشها في الهيولى ، وكل صانع حكيم فله في صنعته غرض ، والغرض هو غاية تسبق في علم العالم أو في فكر الصانع ، ومن اجله يفعل ما يفعله ، فإذا بلغ اليه قطع الفعل وأمسك عن العمل . . . » .

ولما كانت الموجودات التي أوجدها الموجد تتألف من كليات وجزئيات ، فقد رتبها المبدع سبحانه بدقة ونظام عجيب ، فجعل الكليات مرتبة من أشرفها الى أدونها ، أما الجزئيات فقد ابتدأها من أدونها إلى أتمها ، وأكملها رتبة . لذلك استطاع الحكماء والفلاسفة ، أن يسبروا أعماق علل الكليات ، ويتحدثوا بأمعان وروية عن أسبابها ، وأما

الجزئيات فلا يمكن للعقل البشري مهما بلغ من الذكاء فهم عللها ، وأسبابها ، لأن معرفته تقصر عنها ، وعن الصورة التي رسمها المبدع لها ، لعجز العقل عن إدراكها ، لأتقان الحكمة ، واحكام الصنعة ، ما لا يبلغ فهم البشر كنه معرفتها .

ولا بد لنا من الاشارة إلى ان الباري سبحانه عندما أبدع الموجودات ، واخترع الكائنات ، رتب الكليات والجزئيات ونظمها كمراتب الأعداد المفردات ، فجعل مرتبة الكليات الأشرف منها علة لوجود الأدون ، وسبباً لبقائها ، ومتمماً لها ، ومبلغاً إلى أقصى غاياتها ، وأكمل نهاياتها . اما الجزئيات فجعل مرتبة الناقص منها علة للكامل وسبباً لبقائه ، والأدون خادماً للأشرف ومعيناً ومسخراً له .

ومن الملاحظ ونحن ندرس كتب أهل الحق العرفانية ان جميع العلماء والدعاة والفلاسفة قد تعرضوا في ابحاثهم العقلانية الماورائية الى العلل والمعلولات فأشبعوها درساً وتمحيصاً ومطابقة فلم يتركوا أي موجود من الموجودات العلوية والسفلية إلا وتكلموا عن علته وسبب تكوينه ووجوده ، وكان همهم الأكبر موجهاً بدقة وامعان إلى اثبات العلة الأولى التي انبثقت عنها وبواسطتها كافةالموجودات .

فالموجود الأول الذي هو العقل الأول حسب اعتقادهم علة أولى بها يتعلق وجود ما سواها من الموجودات متوجهاً فيه نحو النهاية الثانية . كما يكون الواحد في وجود الأعداد مترتباً أولاً ثابتاً بكونه نهاية أولى وعلة أولى بها يتعلق بوجود ما سواه من الأعداد متوجهاً فيه نحو النهاية الثانية ، هذا اثباته من جهة ترتيب الموجودات . ومن جهة اتجاه الفعل وصدوره الى الوجود ضرورياً ، فأن الأول ان لم يثبت وجوده لم يكن للثاني طريق إلى الوجود ، والثاني اذا لم يثبت وجوده لم يكن للثالث طريق الى الوجود ، واذا لم يكن للثاني والثالث إلا بثبوت وجود ما يكون أولاً لهما وسبباً لوجودهما . لذلك ينبغي وجود أول لهما ثابت ، وسبب لولاه لما وجد ما سواه ، فقد

ثبت أن للموجودات بوجودها مبدأ أول عنه ترتبت في الوجود ، وذلك المبدأ الأول يسمى العقل الأول . أو الموجود الأول ، الذي وجوده لا بذاته بل بابداع المتعالي سبحانه إياه .

المفتاح الثاني
« الموجود والموجودات »

كنا قد أشرنا فيما تقدم من مفاتيح وحلقات إلى أن أول ما ترتب أولاً في الوجود هو المتصور أنه لم يكن فوجد على طريق الإبداع لا من شيء ، ولا على شيء ، ولا في شيء ، ولا بشيء ، ولا مع شيء ، لأنه هو الشيء الأول . الذي يكون وجوده عن طريق الترتيب وجوداً ثابتاً ووجوداً أولاً ، بكونه نهاية أولى ، وعلة أولى بها يتعلق وجود ما سواها من الموجودات ، متوجهاً فيه نحو النهاية الثانية ، ومثله في هذا كمثل الواحد في وجود الأعداد مترتباً أولاً ثابتاً بكونه أولة وعلة أولى بها يتعلق وجود ما سواه من الأعداد متوجهاً فيه نحو النهاية الثانية .

وجعل دعاة أهل الحق ذلك المبدأ الأول ، الموجود الأول الذي وجوده لا بذاته بل بإبداع الباري سبحانه وتعالى ، وقالوا أن كافة الموجودات مستندة في وجودها إلى علل سابقة عليها ، وأن كل موجود منها في ذاته فعلاً لما يتقدم عليه منها ، ومفعولاً له من مادة ، وفاعلاً لغير دونه من مادة ، وان وجود الموجودات ينتهي إلى علة ثابتة تنتهي اليها العلل ، لأنها فعل في ذاتها صادر عمن لا يستحق أن يقال انه فاعل ، وهي مفعولة لا من مادة ، وهي فاعلة لا في مادة هي غيرها . وإنما قالوا انه فعل في ذاته لكونه أول موجود .

ولما كان الله سبحانه وتعالى ، بموجب حكمته أوجد الموجودات دفعة واحدة ، بالقوة ، في إبداعه الأول ، ثم أخرجها من القوة الى الفعل ، بالتدريج ، فكانت البداية في العالم الروحاني العلوي ، العالي بأفضلها الذي هو أولها ، وسبب وجودها بوجوده عن موجده . فهو بدوامه يبقى ،

فلذلك اعتبره أهل الحق مبدأ الوجود ، وقابل الجود ، مستكمل الفضائل والخيرات ، تام الأنوار والبركات ، معرى من الشوائب والتغييرات ، مبرأ من الصور المختلفات ، فهو الذي يرتب كل موجود في مرتبته ، وينزله في منزلته ، ويعطيه بقدر سعته وطاقته في لزوم النظام ، والبلوغ الى درجة الكمال والتمام ، ولذلك جعل فيه القوة الحافظة لسائر الموجودات وجوداتها العاقلة ، لتتم ذواتها الخاصة بواحد واحد منها مما تستحقه أو يليق بها ، فلذلك يشار إلى ذاتها الخاصة باسم الفعل الصادر عنها بالفعل ، إذ فعله ذاته وصورته تأثيراته .

ويعتقد أهل الحق بأن الموجود أوجد الموجودات على أن تكون البداية في خلق العالم الروحاني العلوي من الجواهر العالية التي جعلها أصل للعالم الجسماني ، والخلق التركيبي فكان قوامه بوجودها فيه ، لأنه السابق بأعتباره أول موجود أوجده الباري سبحانه ، فأنبعثت منه النفس الكلية ، والهيولى ،والطبيعة .

ولما تركبت الأفلاك العالية ، ودارت بالقوة الحركة المحكمة المنبعثة من النفس الكلية ، سرت في الجسم المطلق القوى الباعثة للأشياء من حال القوة الى حال الفعل ، بالهيولى الأولى ، فأبتدأت الأشياء تظهر من الطبيعة لما تم المركز ، واستقرت عليه الطبائع المختلفة ، وامتزجت الأمهات بالحركة الفلكية الدورية ، وأشرقت الكواكب النورانية ، ورمت بأنوارها إلى المركز ، ودارت الأفلاك ، فكانت الدورة الأولى دورة نفسانية متحركة بحركة إرادية تركب بها الفلك المحيط ، وهو أول ما تركب من القوة النفسانية ، فصار مبدأ الحركة الجسمية ، فارتبطت به النفس الكلية ، ودارت بالشوق الى باريها ، تطلب اللحوق بدرجة الإبداع الأول الذي هو علتها ، والوصول الى درجة الكمال ، والبقاء على أشرف حال ، ثم دار الفلك المحيط وتركب ما دونه كذلك فصار دونه في الحركة فصار المحيط حائطاً بما تركب منه ،! ثم دار الفلك الذي دونه فتركب منه ما دونه حتى كان فلك القمر ، ثم وقف الدوران الفلكي عن أن يكون فلك

دون فلك القمر إلّا ما دونه ، فكانت دائرة المركز وما هو محيط بها ، وماسك لأجزائها من الدوائر ، مثل الهواء ، والماء ، والأثير ، والزمهرير ، واتحدت القوى الطبيعية في المركز ، وامتزجت بالدوران ، وأشرق عليها النيّران الأعظمان الشمس والقمر ، ومطارح شعاعات الكواكب .

وقبل المركز التأثير العلوي ، فكان أول شيء بدا من الأرض ، المعدن ، ثم صورة النبات ، وكان صورة الأشياء الحيوانية كلها فيه بالقوة لما قدر الباري سبحانه فيه من أنه غذاء لكل حيوان ، الكائن بعد كون النبات ، وجعل النبات متقدم الوجود على الحيوان ، لحاجة الحيوان اليه وانه لا غنى به عنه ، فكانت صورة النبات متقدمة الوجود على الحيوان لحاجة الحيوان إليه ، وجمعت في صورة النبات مجموعة فيها صورة الحيوان والانسان ، ثم بدا الحيوان وتركب منه الأدون ، والأقل ، بما هو آلة مستخدمة لمن يأتي بعده ، وكانت البداية في الخلق الأول بالأفضل الأعلى ، إذ كان عالم الجواهر النورانية التي لا تركيب فيها ، ولا مخالفة ، ولا تغاير ، ولا تباين إلّا بشرف السبق في الرتبة ، والقرب من المبدع لأنها خارجة عن الزمان ، ومستغنية عن المكان .

ولما كان الخلق الجسماني والعالم الطبيعي يقبل الكون ، والفساد ، والتغيير ، والاستحالة ، ويتكون في الزمان ، ويحتاج الى المكان ، ويغتذي ، كانت البداية في الأدون حتى تكون النهاية بالأفضل . فلذلك كان ظهور الإنسان بعد كون المعادن ، والنبات ، والحيوان ، لما له فيها من المنفعة والمصلحة .

ولقد فسر علماء أهل الحق لفظة الوجود فقالوا انها مشتقة من وجد يجد وجوداً ، فهو واجد وذلك موجود ، وسبب وجوده لا يخلو أن يكون أحد طرق ثلاث : إما هو موجود بأحدى القوى الحساسة ، وأما بإحدى القوى العقلية التي هي الفكر ، والروية ،والتمييز ، والفهم ، والوهم

الصادق والذهن الصافي ، وأما بطريق البرهان الضروري . وليس للإنسان إلى المعلومات طريق غير هذه .

وذهبوا إلى أن معنى العدم هو ما يقابل كل نوع من هذه الطرق الثلاث من السلب . فأما ما كان بطريق الحس موجوداً فعدمه يكون بفقد الحس إياه ، وغيبته عن الحاسة المدركة له ، بما كانت تجده به . وأما ما كان موجوداً بطريق العقل ، فعدمه يقال عليه غير معلوم ، بحقيقة معرفة عقلية . , وأما ما كان موجوداً بالبرهان الدال على صدق القضية ، فعدمه يكون بالقول عليه ان لا برهان لوجوده

ويتبين لنا من خلال أقوال أهل الحق ان الموجودات كلها على نوعان : جسماني وروحاني . فالروحاني ما يتصور بالفكر ، وهو على ثلاثة أنواع : الهيولى الأولى الذي هو جوهر بسيط منفعل ، والثاني النفس التي هي جوهرة بسيطة فعالة علامة . والثالث العقل الذي هو منفعل من الباري فاعل الأشياء وعلتها . والجسماني ما يدرك بالحواس وهو على ثلاثة أنواع : الاجرام الفلكية ، الأركان الطبيعية ، المولدات الكائنة . والمبدع الخالق المصور لا يوصف بالجسماني ولا بالروحاني ، لأنه موجد ، ومبدع ، ومتم ، ومكمل ، وإنما يحتاج المخلوق إلى معرفة وجود الموجودات ، لأنه مخلوق محصور عن الإحاطة بالكل ، كاحاطة من له الخلق والأمر ، فصار محتاجاً ، ولحاجته لزمه النقص ، ولنقصه لزمه الانحصار ، وبانحصاره وجب له الاعتبار ، وباعتباره تتراءى له الأشياء بما هي أشياء . فعند ذلك يلزمه الإقرار بمبدعه ، والتوحيد لخالقه ، فيعبده حق عبادته ، وينفي عنه من الصفات ما يجده في نفسه من الحاجة ، والاستعانة بالشيء على الشيء ، واستعمال البعض في البعض ، لجر المنفعة ، ودفع المضرة ، والباري سبحانه غني عن ذلك ، محيط بالأشياء كلها ، إحاطة التدبير لها والقدرة عليها .

ولما كان علم الموجود والموجودات من أهم المعارف العقلانية التي

أولاها جماعة أهل الحق جل اهتمامهم ، وخصصوا لها الكثير من الجهد ، حتى توصلوا إلى اثبات الموجود الأول الذي كان سبباً لوجود كافة الموجودات . وبرهنوا عرفانياً أن كل موجود ينقسم الى جوهر وعرض ، لأن كل ذات لا يكون في موضوع فهو جوهر ، وكل ذات قوامها في موضوع فهو عرض . ولما كان الجوهر موجود لا في موضوع ، والموجود لا في موضوع لا يقترن وجوده بوجود المحل الذي يكون فيه ، وان كان هذا المحل قائماً بنفسه بالفعل ، مقوماً لها . غير أن هذا لا يمنع أن يكون الجوهر في محل ، دون أن يقوم هذا المحل إلا به بالفعل ، فليس كونه ، في محل ، يعني انه في موضوع ، ما دام الموضوع محلاً متقوماً ، في ذاته ، مقوماً لما يحل فيه ، والمحل غير متقوم بذاته ، بل بما يحل فيه .

ولما كان ذلك كذلك فإن الجوهر هو الموجود لا في موضوع لأنه متقوم بذاته ، ولا حاجة به إلى مقوم يقومه مثل الموضوع ، غير أنه بمقدوره أن يقوم المحل الذي يحل فيه . والشيء الذي يكون في محل دون أن يمنعه ذلك من أن يكون لا في موضوع ، فيكون إذا كان في محل هو فيه متقوماً به ، لا متقوماً بذاته . ومع هذا يكون مقوماً له لأنه الصورة التي لا يمكن أن يستغني في قوامه عنها .

والمحل الذي يتقوم بالصورة يعرف بأسم الصورة المادية . لأن الفارق بين الصورة والصورة المادية ، يعود الى امكانية استغناء المحل في قوامه عن الصورة ، أو عدم امكانية الاستغناء عنها .

ومن الطبيعي ان كل جوهر ليس في موضوع ، فهو اما أن لا يكون محل أصلاً ، وأما أن لا يكون في محل . وفي هذه الحالة يعرف بالصورة المادية في الحالة التي يكون فيها في محل ، ويكون ذلك المحل غير مستغن في قوامه عنه . ولكن في الحالة التي لا يكون الجوهر فيها في محل ، أصلاً ، فهو إما أن يكون له المحل من نفسه ، وإما أن يكون له المحل من غيره ، ففي الحالة الأولى لا بد له من ان يكون هو والمحل شيئاً واحداً بسيطاً ، بحيث لا يكون فيه أي تركيب ، فيعرف بالهيولى المطلقة .

وفي الحالة الثانية لا بد له من أن يكون شيئاً مغايراً للمحل الذي هو فيه ، فيكون إما مركباً أو غير مركب . ، ففي الحالة التي يكون فيها مركباً ، يكون جسماً مركباً من مادة وصورة جسمية ، أما في الحالة التي لا يكون فيها مركباً ، فإنه يكون جوهراً مفارقاً مثل النفس والعقل .

والعرض يختلف عن الجوهر لأن ليس قوامه ذاته في موضوع ، فمعنى هذا أن كل ما ليس بجوهر فهو عرض . لأن العرض اسم مشترك لا يطلق على شيء بعينه ، بل على جملةأشياء تشترك فيما بينها بصفة من الصفات ، ويقال عرض لكل موجود في محل ، مثل وجود الصورة في المحل ، ومثل حركة الأرض إلى اسفل ، أو الى أعلى ، ويقال عرض للمعنى المفرد الكلي ، المحمول على كثيرين حملاً غير مقوم ، وهو العرض ، مثل الأبيض الذي يحمل على النفس ، ويقال عرض لكل معنى موجود للشيء ، خارج عن طبعه ، ولكل معنى يحمل على الشيء لأجل وجوده في آخر يقارنه . وعلى هذا يمكننا أن نقول بأن العرض شيء طارىء يطرأ على شيء آخر ، وبإمكانه أن لا يطرأ عليه . أما الشيء الآخر الذي تطرأ عليه ، فهو الجوهر . وجميع الأعراض تكون لاحقة بالجواهر وطارئة عليها ، ومرتبة الجواهر في الوجود أسمى من مرتبة الأعراض لأن الأعراض ملحقة بالجواهر القائمة بذاتها .

وبعد هذا العرض الدقيق يمكننا أن نقول أن كافة الموجودات وجدت عن الموجود الأول بالضرورة الفعلية الحاصلة عن ذاتية المبدأ الأول ، لأن الوجود يوجد عنه كوجود النور عن الشمس ، أو الحرارة عن النور ، بمقتضى نظام إبداعي ، وقانون إلهي سرمدي لتطور الموجودات ، ويكون وجودها مطابقاً ومماثلاً لوجود الأعداد من الواحد إلى الكثير بالغ ما بلغ ، ومن الأول إلى العقول .

المفتاح الثالث

« الأركان الأربعة »

عرف علماء دعوة أهل الحق الأركان الأربعة ، التي هي : النار ، والماء ، والهواء ، والأرض ، فقالوا بأنها واسطة أوّله يكون بواسطتها اكتساب المعارف والملاذ الحسية ، لأن الانسان يدرك الموجودات القريبة ، أولاً بحواسه ، وحواسه لا تعمل إلاّ بوجود الأركان الأربعة ، واستعانتها بها ، مثل الأذن التي لا تسمع الأصوات المفهومة وغير المفهومة إلا بواسطة الهواء ، الذي لولاه لما سمعت شيئاً منها ، بدليل انها لا تسمع إذا لم تكن بينها وبين الأصوات فسحة هواء مع سلامتها ، ومثل العين التي لا تبصر الألوان والأشكال إلا بوساطة الهواء أولاً ، ثم ضوء النار ثانياً ، فلولاهما لما أدركت شيئاً منها ، بدليل أنها لا تبصر ضوء النهار أو ضوء النار معدوم .

ولقد أطلقوا على الأركان الأربعة اسم الاستقصات الأربعة ، والأمهات الأربعة ، وذهبوا إلى أن ضمن فلك القمر الذي هو أدنى العالم الجرماني كرة النار ، التي هي أعلى الأمهات وأقربها إلى عالم الأفلاك بالمكان . وهي دائرة تسمى الأثير . أفرطت فيها الحرارة واليبس من شدة حركة الأفلاك وقربها منها ، لأنه لا يتولد من كل حركة قوية إلا حرارة مفرطة ، ويبس .

وضمن كرة النار هواء يحيط بالأرض ذو حالات . فالأعلى منه مما يلي الأثير حار رطب لبعده من الحركة بعداً معتدلاً . والأسفل منه مما يلي الأرض بارد يابس لبعده عن الحركة والحرارة . وكان مما يلي الأرض من ذلك أشد برداً ويبوسة لبعده من الحركة وقربه من السكون الذي هو الأرض ، ثم كان ضمن كرة الهواء كرة الماء . وهو كرة رطبة سيالة محيطة بالأرض ، هي بالحقيقة كرة النسيم ومركز الماء وأصله المنحل عنه . ولذلك هو بالحقيقة محيطة بالأرض .

فأما الماء المنحل عنه ، المتولد منه ، فليس له إحاطة بالأرض كلية ؛ وفي ضمن كرة الماء كرة الأرض ، وهي اجزاء صلبة ومتداخلة أشد التداخل ، مفرطة في البرد واليبس . فصلحت بعناية المدبر أن تكون مركزاً لتستقر عليها المواليـد ، وكان وقوفها في ضمن الأكر الحاوية عليها ، واستمساكها مع كثافتها وصلابتها وثقلها وكون كل كثيف لا قرار له إلا بممسك يمسكه ، أو حامل يحمله ، بواسطة القدرة السارية في الأوتاد والقطبين ، وهي الأوتاد الجاذبة لها جذب حجر المغناطيس للحديد لقوة المناسبة بينهما ، والعناية السارية فيهما .

ويرى جماعة أهل الحق ان تركيب جسد الأنسان يشابه الأركان الأربعة ، التي هي الأمهات التي بها قوام الأشياء المولدات ، التي هي الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، وكذلك وجد في بنية الجسد أربعة أعضاء هي تمام جملة الجسد ، وأولها الرأس ثم الصدر ، ثم البطن ، ثم الجوف إلى آخر قدميه . فهذه الأربعة موازية لتلك ، وذلك أن الرأس موازٍ لركن النار من جهة شعاعات بصره وحركات حواسه ، والصدر موازٍ لركن الهواء ، من جهة نفسه واستنشاقه الهواء . والبطن موازٍ لركن الماء من جهة الرطوبات التي فيه . والجوف الى آخر الأقدام موازٍ لركن الأرض من قبل أنه مستقر عليه كأستقرار الثلاثة الباقية فوق الأرض وحولها .

وكما ان هذه الأركان الأربعة تتحلل البخارات ، فمنها تتكون الرياح والسحب والأمطار والحيوانات ، والنبات والمعادن . وكذلك بهذه الأعضاء الأربعة تحلل البخارات في بدن الانسان مثل ما يخرج المخاط من المنخرين ، والدموع من العين ، والبصاق من الفم ، والرياح التي تتولد في الجوف ، والرطوبات التي تخرج مثل البول والغائط وغيرهما .

فبنية الجسد بأعتقادهم كالأرض ، والعظام كالجبال ، والمخ فيه كالمعادن ، والجوف كالبحر ، والامعاء كالأنهار ، والعروق كالجداول ، واللحم كالتراب ، والشعر كالنبات ، والمنبـت كالبرية الطيبة ، وحيث لا ينبت الشعر كالأرض السبخة ، والوجه إلى القدم كالعمران ، والظهر

كالخراب ، وأمام الوجه كالمشرق ، وخلف الظهر كالمغرب ، واليمين كالجنوب ، واليسار كالشمال ،والتنفس كالرياح ، والكلام كالرعد ، والصوت كالصواعق ، والضحك كضوء النهار ،والبكاء كالمطر ، والبؤس والحزن كظلمة الليل ، والنوم كالموت ، واليقظة كالحياة ، وأيام الصبا كأيام الربيع ، وأيام الشباب كأيام الصيف ، وأيام الكهولة كأيام الخريف ، وأيام الشيخوخة كأيام الشتاء ، وحركات الجسد وأفعاله كحركات الكواكب ودورانها ، وولادته وحضوره كالطوالع ، وموته وغيبوبته كالغوارب ، واستقامة أموره وأحواله كأستقامة الكواكب ، وتخلفه وإدباره كرجوعاتها ، وأمراضه وأعلاله كأحتراقاتها ، وتوقفه وتحيره في الأمور كتوقفها ، وارتفاعه في المنزل والشرف كأرتفاعها في أوجاتها وأشراقها ، وانحطاطه في المنزل والسقوط كهبوطها وسقوطها في حضيضها .

والأمهات الكليات أو الاستقصات الأربعة كل واحدة منها مركبة من هيولى وصورة ، فهيولاها كلها هو الجسم وصورها هي التي بها تنفصل كل واحدة منها عن الأخرى ، وهي الصورة المقومة لذات كل واحدة منها . ولما كانت الصورة نوعين : مقومة ومتممة ، رأينا أن نصفهما ليعرف الفرق بينهما ، فنقول : إن الصورة المقومة لذات الشيء هي التي إذا فارقت هيولاها بطل وجود ذلك الشيء . والصورة المتممة هي التي تبلغ الشيء إلى أفضل حالاته التي يمكنه البلوغ إليها ، وإذا فارقت هيولاها لم يبطل وجود الهيولى . مثال ذلك السكون والحركة ، فإنهما إذا فارقا الجسم لا يبطل وجود الجسم ، وأما الطول والعرض والعمق ، فإذا فارقت الهيولى يبطل وجود الجسم .

وأن كل صورة مقومة لذات الشيء تتلوها أخرى متممة ؛ وكل صورة مقومة فاعلة لأخرى تابعة لها يتلو بعضها بعض كما يتلو العدد أزواجه أفراده وافراده ازواجه بالغاً ما بلغ . مثال ذلك الصورة المشاكلة في جرم النار المقومة لذاتها ، فهي حركة الغليان والصورة المتممة التابعة لها هي الحرارة ، وتتلوها اليبوسة ، ويتلوها تماسك الأجزاء . فلولا رطوبة الهواء المحيطة بالنيران التي تمنعها أن تفرط في اليبوسة ، لتماسكت اجزاؤ ها

وجفت كما تجف نار الصاعقة ، ولكن لو أصابها اليبس والجفاف لقل الانتفاع بها وهو الغرض الأقصى منها .

والهواء هو جوهر شريف فيه فضائل كثيرة ، وخواص عجيبة ، من ذلك أنه يمنع النيران برطوبته ، أن تيبس وتجف ، كما يمنع الأصوات بسيلانه أن تثبت زماناً طويلاً فيقل الانتفاع بها ، ويكثر الضرر منها ، وذلك أن الأصوات ليست تمكث في الهواء إلا ريثما تأخذ المسامع حظها ، ثم تضمحل ، ولو ثبتت الأصوات في الهواء زماناً طويلاً ، لأمتلأ الهواء من الأصوات ولعظم الضرر منها ، حتى لا يمكن أن يسمع ما يحتاج إليه من الكلام . وهكذا لو يبست النيران وجفت ، لما سرت في الاجسام ولم تنضجها ، وبقيت الأشياء التي يراد نضجها فجة غليظة .

ولقد جعل الباري سبحانه ثبات النيران بحسب مراد المستعمل لها ، فإذا استغنى عنها ردها إلى العدم بأسهل السعي ، فلو بقيت بحالها لعظم الضرر منها وقل الانتفاع بها ، ومن الصور المتممة لذات النار اللطافة التي تولدها الحرارة ، وتتلوها سرعة النفوذ في الأجسام . ومن الصور المتممة لذات النار أيضاً النور ويتلوه الإشراق . فقد اجتمعت في جرم النار عدة صور كلها متممة لها ، وهي الحركة والحرارة واليبوسة واللطافة والنور . وهي بكل صورة تفعل فعلاً غير ما تفعل بالأخرى .

وأما الصورة المقدمة لذات الأرض فهي السكون الذي هو ضد الغليان ، والتالية المتممة لها البرودة ، والتالية للبرودة اليبوسة ، والتالية لها تماسك اجزائها . ومن الصور المتممة لها أيضاً غلظة جوهرها ، ومن غلظة جوهرها تماسك اجزائها ، ومن تماسك اجزائها نشأت الكائنات على ظهورها من الحيوان والنبات والمعادن .

والصورة المقومة لذات الماء والهواء كليهما الرطوبة المتولدة من امتزاج الأجزاء المتحركة والساكنة ، وذلك أن اليبوسة ، لما كانت متولدة من شدة حركة اجزاء الهيولى كلها ، أو من شدة سكونها كلها ، وكانت الرطوبة ضداً

لها ، دلت على انها متولدة من مزاج الأجزاء المتحركة والساكنة .

وأما الصورة المتممة لذات الماء فهي كثيرة الاجزاء الساكنة الغليظة ، وقليلة الاجزاء المتحركة اللطيفة . ولما كانت الصورة المتممة لذات الماء كثيرة الأجزاء الساكنة الغليظة . وقليلة الاجزاء المتحركة اللطيفة ، صارت مشاكلة للأرض في البرودة ، وصار مركزها مما يلي مركز الأرض . وأما الصورة المتممة لذات الهواء فهي كثيرة الأجزاء اللطيفة المتحركة ، وقليلة الاجزاء الغليظة الساكنة . ولما كانت الصورة المتممة لذات الهواء كثيرة الاجزاء اللطيفة المتحركة ، صارت مشاكلة للنار في الحرارة ، وصار مركزها مما يلي مركزالنار .

ولما كانت الصورة المقومة للماء والهواء هي الرطوبة المتولدة من امتزاج الاجزاء المتحركة والساكنة ، وكانت الرطوبة مضادة لليبوسة ، صار موضعها ما بين المحيط والمركز . ولما كانت الصورة المتممة لذات الماء هي كثيرة الأجزاء الغليظة الساكنة فيه ، صار الماء مشاكلاً للأرض في البرودة ، وصار مركزه مما يلي مركزها . ولما كانت الصورة المتممة لذات الهواء كثيرة الأجزاء اللطيفة المتحركة ، صارت مشاكلة للنار في الحرارة ، وصار مركزها مما يلي مركزها . ومن هنا يتبين ان الأجسام بعضها مشاكل لبعض في طبيعة ما ، ومضاد في طبيعة اخرى .

وفي نهاية تحليل جماعة أهل الحق لتفاعلات الأركان الأربعة يخلصون الى القول بأن هذه الأركان الأربعة يستحيل بعضها إلى بعض ، فيصير الماء تارة هواء ، وتارة أرضاً ، وهكذا حكم الهواء ، فإنه يصير تارة ماء وتارة ناراً ، وكذلك النار ، إذا أطفئت وخمدت صارت هواء ، والهواء إذا غلظ صار ماء ، والماء اذا جمد صار أرضاً ، وعكس ذلك أن الأرض إذا تحللت ولطفت صارت ماء ، والماء اذا ذاب صار هواء ، والهواء ، إذا حمي صار ناراً ، وليس للنار أن تلطف فتصير شيئاً آخر ، ولا للأرض أن تغلظ فتصير شيئاً آخر . ولكن اذا اختلطت اجزاء هذه الأركان بعضها ببعض ، كان منها المتولدات الكائنات الفاسدات التي هي المعادن والنبات والحيوان. وذلك عندما تستحيل الأركان

الأربعة الى البخار والعصارات ، فيكون منها هيولى ومادة لسائر الكائنات الفاسدات التي تحت فلك القمر .

ولا بد من الاشارة إلى أن الأركان الأربعة التي هي الماء ، والنار ، والهواء ، والأرض ، يختص من بينها الهواء والماء بأن لا يكون لهما لون في ذاتيهما عوناً للنفس على إدراك كيفية ما تدركه بوساطتهما اللذين لو كانا ذوي لون لكان يلتبس عليها معرفته ، لأن العلة في إدراك ألوان الأشياء على حقائقها خلو الهواء من لون له في ذاته ، ومن رائحة فينطبع فيه لون ما يلقاه ورائحته فيؤديه إلى القوة الباصرة والقوة الشامة ، ولو كان لهما لون أو طعم أو رائحة لما أديا إلى الحاسة إلا ما في ذواتهما من دون ما يلقيانه ويجاورانه ، كما لا يؤدي الزجاج الذي له لون من لون ما فيه شيئاً إلا ما له في ذاته من حمرة كانت أو خضرة أو غيرها ، وانما ليس لهما ذلك لحركة اجزاء جوهرهما وسيلان عنصرهما .

والأركان الأربعة في اعتقاد أهل الحق باقية في ذواتها ، ومحفوظة في كميتها ، وإنها مستحيلة في أطرافها بعضها إلى بعض .

المفتاح الرابع

« المواليد الثلاثة »

تتولد من الأمهات الأربعة ، التي هي : النار ، والهواء ، والماء ، والأرض ، المواليد الثلاثة ، من النبات ، والحيوان ، والانسان ، وكل جسم معدني منعقد من اجزاء الأركان الأربعة ، ليس لها إلاّ البروز ، والتلون بحسب بقاعها ، وما فيها من الخصائص المجعولة فيها ، اللائقة بجوهرها ، وبحسب القوى الغريزية الطبيعية ، وتكونها بحسب ذلك وما فيها من الشدة والرخاوة ، واللين ، والخشونة ، والثقل ، والخفة ، والقبض ، والإمساك ، والقلة ، والكثرة ، والنبات يشاكلها في ذلك في حال كونه من الأركان والبروز ، ويزيد عليها ، وينفصل عنها بأنه جسم يغتذي من الأركان ، وينمى ويزيد في أقطاره ، طولاً وعرضاً وعمقاً وتلوناً ، وتشكلاً بأشكال مختلفة ، ويغتذي به الحيوان ، ويزيد في قوته وينمي منه وبه أعضاءه طولاً وعرضاً ، وعمقاً ، وليس للجواهر المعدنية مثل ذلك إلا أقل الأشياء منها ما كان مائعاً منحلاً غير منعقد ، ولا صامت كالحديد ، والنحاس ، والذهب ، والفضة ، والرصاص ، وغيرها من الكباريت والزرانيخ .

ولما كان النبات مشاكلاً للمعادن في البروز والتنفس ، والكون ، والتلون ، ويزيد عليه بالنمو والغذاء ، كان الحيوان مشاركاً له في مثل ذلك كله ، ويزيد عليه ، وينفصل عنه ، بأنه متحرك حساس ، مغتذٍ ، منه ، قادر عليه ، وأن النبات موهوب له ، ولما كان الحيوان كذلك ، كان الإنسان مشاركاً للمعادن في الكون ، والنبات في النمو ، وللحيوان في الحس ، وينفصل عن الحيوان ، ويزيد عليه بما فيه من القوة الناطقة ، والفكرة المميزة ، ولذلك قيل إن له اتصالا بمرتبة الملائكة ، ولذلك قيل إن للحيوان اتصالاً بمرتبة الإنسانية ،

وإن للنبات اتصالاً بمرتبة الحيوانية ، وإن للجواهر المعدنية اتصالاً بالأشياء النباتية .

ويرى جماعة أهل الحق أن النبات متقدم الوجود بالزمان على الحيوان ، لم يكن ذلك لفضيلة ينالها بالسبق ، وإنما كانت فضيلة للحيوان ، وذلك أنه يمتص رطوبات الماء،ولطائف أجزاء الأرض ، بعروقه إلى أصولها ، ثم يجذبها إلى ذاته ، ويجعل من فضل تلك المواد ورقاً وثماراً ، وحباً نضيجاً ، يتناول منه الحيوان غذاءً صافياً .

والحيوان متقدم الوجود على الإنسان بالزمان لأنه له ، ولأجله كان ، فالإنسان متقدم بالقوة ، لأنه كان آخراً بالفعل ، ولذلك قيل ما كان أولاً بالقوة ، كان آخراً بالفعل ، والجواهر المعدنية ترابية ، صافية ، طبيعية ، متحركة حركة مركزية ، بلا انفصال ، ولا تباين ، منخفضة ، غير مرتفعة ، كأرتفاع النبات ، وهي هيولى موضوع يقبل الصورة ، والصورة متممة لها لما ينتفع به منها ، وبالصورة تصير أشياء يقع عليها أسماء كثيرة مختلفة . والنبات أجسام منكوسة الانتصاب إلى اسفل ، لأن رؤ وسها نحو مركز الأرض . ومؤخرها نحو محيط الأفلاك ، وأن الإنسان بالعكس من ذلك ، لأن رأسه نحو المحيط ورجليه نحو المركز ، والحيوان متوسط بين ذلك ، لا منكوس كالنبات ، ولا منتصب كالإنسان .

والنبات هيولى يقبل الصورة ، وبالصورة ينفصل بعضه من بعض ، ويمتزج بعضه ببعض ، ويدخل بعضه في بعض ، والحيوان أيضاً هيولى يقبل الصورة ، لما يتخذ من إهابه ، وعصبه ، وشعره ، ووبره ، وصوفه غير ما ينتفع به من الغذاء ، الذي يتناوله الإنسان من لحمه ، وشحمه ، ولبنه . ولهذا كان ترتيب المعادن قبل النبات ليكون له قرار ،وترتيب صور النبات قبل الحيوان ليكون له غذاء ، والحيوان بموجب الحكمة متقدم الوجود على الإنسان بالرتبة في القوة .

ومن المعادن ما يكون رفيع القدر ، نفيس القيمة ، عظيم المرتبة ، مليح

في لونه ، نير في اشراقه ، مثل الياقوت والذهب ، وما شاكلهما من الجواهر المعدنية ، اللائقة بذوي الرتب العالية من ملوك الإنسانية . ومنها ما هي دونها ، لاحقة بها في الشرف والمنزلة ، كالفضة والبلور ، وغيرهما ، ومنها أشياء رذلة دنيئة ، منتنة الرائحة والطعم ، سموم قاتلة ، وصور مشوهة ، كالنفط ، والقير ، والكبريت الأسود .

ومن النبات الأشجار الطيبة ذوات الأثمار اللذيذة ، كالنخيل ، والأعناب ، والرمان ، وما هو غذاء للحيوان ، ومنافع للإنسان . ومن النبات الاشجار المرة الطعم ، المنتنة الرائحة ، التي لا ينتفع بثمرها ولا بورقها ، وليس لها إلا النار ، منها خلقت ، وإليها تعود ، كألدفلي ، والشوك .

والحيوان منه المحمود في أفعاله واعماله ، كالفرس ، والبقر ، والغنم ، وما هو لاحق بها في المنفعة كالجمال ، وحملة الأثقال ، ومنها ما هو دونها في ذلك ، ولاحقة بها ، ومنها الشريرة الطباع ، المذمومة الأفعال ، القبيحة الأحوال ، المتناهية في الشرية ، كالسباع ، والفهود ، والوحوش .

وأما الفاعل المحرك لهذه المواليد ، فهو قوة روحانية من قوى النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الأجسام من لدن فلك القمر إلى منتهى مركز الأرض ، وهي المسماة الطبيعة ، فهذه الأجسام الجزئيات من الحيوان والنبات والمعادن هي للطبيعة كالآلات والأدوات للصانع الفاعل ، يفعل بها وفيها ومنها أفعالاً مختلفة وأعمالاً مقننة بعضها ببعض .

وفي اعتقاد جماعة أهل الحق أن الغرض من الجواهر المعدنية هو منافع الناس والحيوان ، واصلاح أمر الحياة الدنيا ومعيشة الحيوان إلى وقت معلوم . لذا وجب على الانسان العاقل أن يتأمل أصناف المخلوقات من الحيوان والنبات والمعادن ، ويعرف تصاريف احوالها في الحر والبرد ، والليل والشتاء ، والصيف ، والنور ،والظلام ، وتصاريف الرياح ، والغيوم ، والأمطار ، وينظر بدقة وعناية الى كيفية دوران الأفلاك وطوالع البروج ، ومسيرات الكواكب ، وحوادث الأيام ، ونوائب الحدثان ، كل ذلك كيما تنتبه نفسه من

نوم الغفلة ، وتستيقظ من رقدة الجهالة ، وتتفكر فيما شاهدت ، وتعتبر بما رأت من أحوا ل الدنيا ، ؛ فتستعد إلى المعاد ، وتتزود للسفر قبل فناء العمر ، وتقارب الأجل .

وبالأضافة إلى ما قدمناه ، بخصوص المواليد الثلاثة من آراء وتطلعات حقانية ، يبدو أن الجماعة ينحون في بحوثهم مناحي فلسفية عقلانية أخرى ليؤ كدوا أن المعادن والنبات والحيوان ، لا وجود لشخص من أشخاص نوع من أنواعها ، إلا عن المزاج الحادث من الأركان الأربعة التي تقدم ذكرها بمفاعلة كيفياتها الأربعة التي هي : الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة ، بعضها في بعض ، وتأثيرات المؤثرات من فوقها .

ولما كان وجود المواليد الثلاثة على ذلك قلنا إن كون الأركان الأربعة فاعلة بعضها ببعض بقواها مغالبة إحداها للأخرى ، بحسب الساري فيها من نورالحكمة يوجب أن تكون الأربعة في كل موجود منها مرتبة على درجة غلبة كل منها وقوته وظهور الغالب منها بالفعل حتى يكون الضعيف منها المستبطن بالقوة هو المغلوب للغالب المتقدم عليه بالفعل .

وأول موجود منها في الترتيب ما يتقدم كونه منها ، وهو المعادن ثم النبات ثم الحيوان ، وحالها في ذلك كالحال في أمر الدين الذي مواليده ثلاثة : مولود يقبل التأييد من عالم الابداع فيصير سبباً لحياة الغير مثل الأنبياء والقائمين مقامهم من الحدود الذين يتقدم وجودهم في عالم الدين على غيرهم ممن يتبعونهم فيه ، فهو بمنزلة الذهب من المعادن الذي يتقدم على غيره في الشرف والوجود . ومولود يتلو ذلك في الوجود يقبل العبادة الأولى التي هي ظاهر الشرع والأمر والنهي وهو بمنزلة النبات التالي وجوده لوجود المعادن . ومولود يتلوه في وجوده التالي وجوده لوجود النبات . والمعادن أولها وهي أقرب إلى الأرض في الترتيب من غيرها ، وأول نوع منها ما لا ينطرق وهو كالجص ، وهو بالأرض أشبه التي منها وجوده دون غيره من الأنواع فهو مشترك ، يشبه الأرض بكونه مثل التراب ، ومن جهة المعنى المكتسب الذي به انسحق فامتاز عن الترابية يشبه

اخواته التي ليست بتراب ، ولا توجد إلا مخصوصة ببقاع معلومة ؛ ويعلوه في الشرف والأنواع عند الترتيب والإعتلاء إلى ان تنتهي في وجودها إلى وجود ما هو مشترك ، فهو من جهة حجر ومن جهة نبات ، مثل المرجان الذي هو نبات في البحر ، فإذا أخرج إلى الهواء تحجر ، وأشباهه مما يجمع هذا الجنس من أنواعه ، فهو أشرف من سائر هذه الأنواع بقوة النماء التي اختص بها ، وأدون من سائر أنواع النبات ، ؛ ولما كانت المواليد عن الأركان وجودها ، وكانت عن مزاج منها ، وقوى سماوية ممدة إليها جميعاً لتكومها ، وكان كل مولود بذلك يجمع أمرين : أمراً به وجوده جسماً به ذاته ، وأمراً به تتعلق حياته ، قلنا فيما كان معدنياً بما هو جسم ، أنه ينقسم إلى ما ينطرق وإلى ما لا ينطرق .

ولكل موجود من المعادن ما يجري منه مجرى النفس في الأمور المتحركة به حياته ، وبه في غيره تقع أفعاله ، وليس يحتاج في وجوده فيما هو فيه إلى أكثر مما له من القوة في حفظ ذاته بالانقباض عما يفسده ويخالفه ، والانبساط إلى ما يلائمه ويوافقه بكونه غير تام ولا قائم بالقوة فيحتاج إلى امتداد في الجهات التي لا تتم إلا بقوى كثيرة ، كحاجة الانسان إلى ذلك طلباً للنهاية التي فيها كماله ، فهو بماله من الطبع المجبول عليه في الخلق منتهي في الفعل بما هو فيه إلى ما يوجبه مزاجه على ما عليه الموجود الظاهر من أفعاله في انبساط بعضها إلى بعض ، وانقباض بعضها عن بعض ، وتعلق بعضها ببعض ، ومنافرة بعضها لبعض

ولما كان الذي يترتب في الوجود بعد المعادن النبات ، وان العناية الإلهية تعالت بأمور الموجودات فحفظتها على نظام ثابت فلا يغرب عنها شيء منها ، وهي التي بها يتعلق وجود الكل والجاعلة الكل للكل عوناً ، إما بواسطة أو بأكثر ، لتؤدي كل موجود إلى غايته وكماله ونهايته ، وكان من الحكمة في إيجاده أنها أقامت أسباباً لنزول الماء على وجه الأجزاء الظاهرة من الأرض عامة لتصير برطوبته على مكث ، وما يحدث عنها تارة بالتسخين وتارة بالتبريد مستحيلة عن طبيعتها مستقلة إلى حال يمكن بها كونها نباتاً ، وجعلت للحرارة الطبيعية عليها سلطاناً لتجذب تلك الأجزاء المستجنة من باطن الأرض إلى

ظاهرها للقاء الهواء الذي جعلته لها رفيقاً معونة لما يحدث فيها من النفس النامية ليسهل عليها البروز إلى حيث تدرك حظها من الأسباب الفاعلة فتكون الشمس بالقوة التي تكسبها ما لها أن تبلغه من تماميتها .

وغاية المواليد الثلاثة الحيوان الذي ينتهي بأنواعه إلى الإنسان الذي هو النهاية الثانية من الموجودات فلا وجود لشيء بعده أن يكون بعض الأجسام فاعلاً ، وبعضها مفعولاً به ، ليكون من فعل الفاعل في المفعول به منها ، واكتساب المفعول به بفعل الفاعل فيه قوى فاعلة يصير بها فاعلاً ، فيؤثر بعضها في بعض تضاعف الفعل والتركيب وكثرة الحركات المؤذنة بوجود ما كان في مضمار الحكمة وجوده ، فصار الأمر في وجود ما يوجد عن الأجسام العالية باختلاف احوالها وحركاتها وعن الأجسام السفلية بتبدل ذواتها استحالة في اجزائها ، أن كل موجود جسماني بعد في وجوده من المبدأ الأول فهو أكثر تركيباً مما قرب منه ، وكل موجود جسماني قرب في وجوده منه فهو أقل تركيباً ، ولما كان الكلام قد سبق على وجود المزاج وأقسامه ، ووجود ما يوجد منه أولاً من الأمور العالية ، وثانياً من المعادن والنبات ، قلنا على الحيوان إن وجوده عن المزاج الحادث من اختلاط اجزاء الأركان بتأثير بعضها في بعض ونفوذ قوى الأجسام المتحركة فيها الذي من مثله يكون النبات ، ويكون قد مازجه النبات بأجزاء انواعه المختلطة بعضها في بعض فصار الجميع شيئاً واحداً ومزاجاً آخر هو أوفر اجزاءً وأكثر تركيباً ، وكان الحيوان بذلك مترتباً في وجوده بعد النبات . وتركيب أشخاصه اكثر من التراكيب في أشخاص المواليد كلها وبقاؤه بما يمده من النبات باغتذائه منه الذي منه وجوده الثاني أعني التناسل . وأما وجوده الأول فمن الأرض كان ، لما اجتمعت في اجزاء السلالة انتفخت الأرض فحملت فخرج منها الحيوان .

المفتاح الخامس
« الحروف العلوية »

يستدل من ميزان دعوة أهل الحق الذي أوجدوه في نظامهم العقائدي المتعلق بأمر الدين وحقيقته أن هذا الميزان يزن ما جاءت به الأنبياء من السنن والشرائع ، وإقامة الحدود السفلية الذين يتحملون مشقة طلب الحق من دين الله ، وشرح وبيان الرموز والاشارات الموجودة في الدين .

ومطابقة هذه الأمور الدنيوية السفلية مع الحدود العلوية العقلانية ، ومعرفة الحد الأول لتكون وراء معرفته الاحاطة بمرتبته كونه القائم بالفعل في عالم الابداع ، الذي وجد عنه وعن المنبعث الأول عقول سبعة ، ووجود كل منها عن الآخر صاعِداً إلى المنبعث الأول ، وإن كلا من هذه العقول ساطع سار فيما وجد عن الأول من الهيولى والصورة التي منها وجود السموات والأرض وحركاتها ، بأعتبار أن لكل كائن تحت فلك القمر أربع علل لا يتكون شيء من الكائنات إلا بها كلها : احداها علة هيولانية ، والأخرى علة صورية ، وعلة فاعلة ، وعلة تمامية .

ولما كان وجوب وجود حروف عالية ليست في جسم ولا بجسم ، ذهب علماء أهل الحق إلى ضرورة معرفة مراتبهم واعدادهم الحقيقية عن طريق استعمال ميزان الديانة ، بالنظر في قانون الصنعة النبوية والسنة الإلهية ، وازنين ما جاء به الناطق وأقامه من مراتب الحدود السفلية ، وايجاب الأمثال بمثلها ، من جهة تطبيق نظرية المثل والممثول التي أشرنا اليها في غير هذا المكان . حكمنا من مقام الناطق في هذا العالم وكونه عقلاً تاماً سائساً لمن دونه ، جامعاً للفضائل النبوية ، والأنور الملكوتية ، مستغنياً عن غيره ، وسبباً لوجود الحدود السفلية ، على أن في عالم الابداع عقلاً محضاً مبدعاً مستغنياً عن

كافة عقول عالم الإبداع ، هو سبب لوجود الحروف العلوية خاصة ، ولوجود الموجودات عامة .

ومن اجراء الوزن والمطابقة يتبين لنا أن الموجود عن العقل الأول اثنان : أحدهما أشرف من الآخر ، وأن الموجود عن العقل الأول والمنبعث الأول عقول سبعة ، لا تمام الإنبعاث ووقوفه عن وجود المثل عند انتهائه إلى العاشر من العقول ، وقيام العاشر مقام الأول في تدبير أمر دار الجسم . وذلك موافق ومماثل للحدود الدينية ، وخاصة لمرتبة الوصي الذي أقامه الناطق مقامه ليكون القيم على جميع ما تركه ، ويكون تتمة دوره بأتماء سبعة ، وقيام كل منهم بنص من تقدمه صاعداً إلى الأساس ، وعمل كل منهم في كل ركن من أركان الدين الذي جاء به الناطق لإظهار الحكم والمعارف .

ومن تمامية الدور بالسبعة بعد الناطق والأساس وقيام العاشر في مقام الناطق بالدعوة إلى أمر جديد في دور آخر على نسق ما تقدم ، على وقوف الإنبعاث عن وجود المثل عند انتهائه إلى العاشر من العقول ، وقيام العاشر مقام الأول في تدبير أمر دار الجسم على تلك الصيغة ، ومن كون أئمة كثيرة فيما بين الاتماء السبعة ، كما بينا في بحثنا حول الإمامة ، على أن بين العقول المنبعثة ملائكة كثيرين بحسب كثرة الأكر في دار الجسم ؛ ومن كون مراتب الأئمة شيئاً واحداً من الإمامة والكمال ، على ان مراتب العقول شيء واحد في كونها برية من الأجسام والمواد .

والدليل على ذلك الأعداد ومراتبها في الوجود ، وذلك أن وجود الواحد كما كان بفردين هما عين ذاته أحدهما الوحدة ، والآخر حاملها ، وكان كل من الفردين يستحق من الفردانية ما يستحقه الآخر ، وكانا من هذه الجهة فرداً محضاً ، ومن جهة كون أحدهما حاملاً والآخر محمولاً فردين ، أوجبت الموازنة أن يكون المبدع الذي هو الواحد الأول في دار الإبداع وجوده عن فردين هما علة لوجوده ، ومنهما عين ذاته أحدهما الحياة التي هي الكمال الأول ، والآخر ما يتبع وجوده الذي هو الكمال الثاني .

وكل من الحامل والمحمول يستحق من الإبداعية ، ما يستحقه الآخر ، وهما من هذه الجهة فرد محض ، ومن جهة كون أحدهما حاملاً والآخر محمولاً فردان ، كما ان الناطق في دار الطبيعة ، ذو نسبتين : نسبة إلى عالم القدس بصورته ، ونسبة إلى عالم الطبيعة بمادته ، فهو من جهة ذاته فرد بأنه واحد ومن جهة نسبته إثنان ، وإنما صار الإبداع فرداً من جهة وزوجاً من جهة لتقدم الدلالة بوجود الإزدواج فيه الذي هو آية الإختراع في الوجود على انه لا أزلي الأول ، بل متناه في وجوده إلى مبدعه ، وليستبين البرهان بوجود الفردانية فيه بأنه أول الإختراع .

ولما كان محصول ضرب الفرد في الفرد واحداً كان ذلك موجباً أن الحاصل من طرفي الإبداع ـ أعني الفردين اللذين بهما عين الواحد ـ هو الواحد الجامع للوحدة والكثرة جميعاً ، هذا من جهة ، وهذه من اخرى . وإنما كان الفرد متقدماً على الواحد في الرتبة وعلة له لأن الفرد معناه في الواحدية اكثر ، فصار الفردان بذلك علة لوجود الواحد الذي هو ذات الفرد ، ولما كان محصول ضرب الواحد فيما عنه ذاته من الفردين اثنين ، كان ذلك موجباً أن يكون الموجود عن الإبداع الذي هو المبدع الأول بفعله في ذاته إحاطة بها ، ونظرة إليها التي هي على نسبتين وكمالين إثنين ، وهما المنبعثان الأولان أولاً وثانياً : اللذان هما العقل الثاني القائم بالفعل ، والعقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة ، كما أن الموجود عن الناطق إثنان ، الوصي القائم بالفعل ، مقامه ، والكتاب الذي هو إمام قائم بالقوة ، وهو بمنزلة الهيولى والصورة التي هي مادة تتضمن كل شيء .

ولما كان الطرف الأول من الاثنين أجل من الطرف الآخر بقربه مما عنه وجوده وبعد الطرف الآخر وإن كانا في الوجود معاً ، كان ذلك موجباً أن يكون احد الموجودين عن المبدع بقيامه بالفعل إحاطة بذاته وإغتباطاً بها الذي هو العقل الثاني أجل وأشرف من الآخر الذي هو الهيولى القائمة بالقوة المفعول به . كما أن الوصي القائم مقام الناطق هو أشرف من الكتاب المعمول به ، ولما كان محصول ضرب اثنين في اثنين اربعةوكانت مع الحاصل في الوجود ستة من

واحد وإثنين وثلاثةوعشرة، وكانت العشرة مكانها من العشرات كالواحد من الآحاد ، كان ذلك موجباً أن يكون ما وجد بالإبداع والإنبعاث من العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها عشرة ، ثم بها عالم الإبداع والإنبعاث الذي هو المبادىء الشريفة ، وقام العاشر منها لعالم الجسم مقام المبدع الأول في عالم الإبداع الأول والإنبعاث الأول ، كما أن الموجود في الدور من الحدود العشرة أولها الناطق والوصي وسبعة من الائمة الذين يتمون الأدوار الصغار ، والعاشر هو الذي يقوم مقام الناطق في دوره ، ثم يظهر بأمر جديد في دور جديد .

وفي مصنفات أهل الحق العرفانية أبحاث كثيرة ومتنوعة حول الحروف العلوية ووجودها عن المبدع الأول والمنبعث الأول ، عقولاً سبعة مفارقة للأجسام ، وجميع علماء الدعوة متفقون على أن الإنبعاث قد توقف بعد وجود العقول العشرة .

ولقد أطلقوا على هذه العقول ، الحروف العلويـة ، والمبادىء القدسية الشريفة ، التي أوجدها الباري سبحانه وتعالى رحمة بالأنفس وتتمة لنظام الكون وتفاعلاته مع الأفلاك ، والكواكب ، والأركان ، والمواليد ، وفي رأي فلاسفة الدعوة أن الحروف العلوية هي من الحدود المؤثرة في الأنفس ما يفيدها كمالها الذي فيه تمامها وانتقالها إلى درجة العقول خروجاً إلى الفعل من حد القوة ، وحصولاً في حيز البقاء والأزل .

والعقل العاشر بالنسبة للموجودات في عالم العقل هو نهاية العقول المنبعثة الصادرة عنها القوى في الأجسام لتكون عنها المواليد الجسمانية ، وهو نهاية وقف الإنبعاث ، وليس له إلا العناية بعالم الكون والفساد ، ومواصلة ما يتهيأ منه للقبول ومرافدته كالعاشر من الحدود السفلية الذي ليس له بالأنفس وجذبها إلى العبادة والطاعة .

ولما كان نظام الدعوة يقضي بترتيب الحدود السفلية في عالم الدين مثل ترتيب نظام الموجود في الأجسام العالية ، وكان نظام الاجسام العالية بكونه معلولاً عن عالم الابداع نسبياً للنظام الموجود فيه ومثلاً ، كان الموجود من

الحدود السفلية مثل الموجود من العقول العلوية في عالم الإبداع ، والانبعاث مثلاً بمثل ، وبذلك ثبت أن الموجود عن الإبداع الذي هو المبدع الأول من العقول في دار الإبداع مثل الموجود من الحدود في عالم الدين .

ومن هذه المنطلقات العقلانية الماورائية يتبين لنا أن الحروف العلوية في عالم العقول تماثل وتقابل الحدود السفلية في عالم الدين والصنعة النبوية ، لذلك أوجبت تعاليم وعقائد دعوة أهل الحق على المؤمن ضرورة تبجيل وتعظيم وطاعة هؤلاء الحدود لما لهم من الشرف والقدسية ، كونهم يجذبون الأنفس المستجيبة عن طريق الإفادة والتعليم وتنوير البصيرة إلى الكمال المطلق حيث يسهل عليها الإنتقال من حد القوة إلى حد الفعل حيث السعادة الأبدية .

المفتاح السادس
« العشق الإلهي »

العشق الإلهي أو حب الله ، متقدم على الطاعة كما نلاحظ ذلك في عقائد أهل الحق ونظرياتهم ، والعشق لا يكون إلا بعد معرفة وإدراك ، وهو لا يقتصر على المدركات بالحواس الخمس ، بل يكون بالعقل ، والقلب ، وبالنور الذي يقذفه الله في القلب أو بما شئنا أن نسميه من العبارات الدالة على البصيرة الباطنة . وفي الحقيقة لا محبوب ولا معشوق إلّا الله ، ولا مستحق للمحبة والعشق غيره . وكل ما نحبه من الموجودات فإننا نحبه لأننا نحب أصله وموجده . وبما أن الله هو موجد كل شيء فإذا أحببنا كل ما أوجده هو ، نكون قد أحببنا بذلك جميع المصنوعات والمخترعات والمبدعات ، وبما أن المحبة مبنية على المعرفة ، فالذين لا يعرفون الله حق معرفته يقتصر حبهم ، على الموجودات الحسية التي يشاهدونها .

وإن الذي يحب الله ليؤثر لذة حبه على كل لذة أخرى ، لأن اللذات الباطنة أغلب على ذوي الكمال العقلي من جميع اللذات الظاهرة المدركة بالحواس الخمس ، أما العارفون الذين بلغ كمالهم الباطني منتهاه ، فأنهم يجدون اللذة في معرفة الله وفي إدراك أسرار موجوداته ، فوق ما يجده جميع الناس في جميع لذاتهم الدنيئة كالطعام والشراب واللعب بالصولجان ، ثم فوق ما يجده جميع الناس في لذاتهم الشريفة كالجاه والرئاسة وسواهما .

ولقد أجمع الحكماء ، والعلماء ، والفلاسفة ، في مصنفاتهم ، وكتبهم ، عندما بحثوا في المعارف الإلهية على أن العشق أمر موجود في العالم ، مركوز في طباع النفوس ، دائماً لا ينقطع ما دامت الخليقة

موجودة . وعرفوا العشق بأنه الإفراط في المحبة ، وشدة الميل إلى نوع من الموجودات ، دون سائر الأنواع ، أو الى شخص دون سائر الأشخاص ، أو الى شيء دون سائر الأشياء ، بكثرة التحدث عنه ، وشدة الاهتمام به ، أكثر مما ينبغي .

ومن هؤلاء من ذكر العشق وذمه ، وعدد مساوىء أهله وقبح أسبابه ، ووصفه بالرذيلة ، ومنهم من ذهب إلى أن العشق فضيلة نفسانية ، ومدحه ، وذكر محاسن أهله ، وزين أسبابه . ومنهم من لم يقف على أسراره وعلله وأسبابه بحقائقها ودقة معانيها،فزعم أنه مرض نفساني ، أو جنون إلهي .

وفي الحقيقة يمكننا أن نقول بأن العشق يترك النفس فارغة من جميع الهموم إلاّ هم المعشوق ، وكثرة الذكر له ، والتفكر في أمره ، واصطحاب الفؤاد ، والولع به وبأسبابه ، وبأمكان العاشق المحب أن يدرك ماهية المعشوق بصفاء الذهن ، وحقيقة التمييز ودقة النظر ، وشدة البحث ، والشوق المتفاعل في الأعماق إلى الاتحاد بذات المعشوق ، والانصهار في بوتقته .

ولما كان الاتحاد بذات المعشوق هوىً نفسانياً ، وتأثيراً روحانياً ، رأينا أن نشير إلى انواع النفوس ، وصور معشوقاتها ، وعلل تلك وأسبابها ، لأن العلل كائنة في طباع النفوس ، والأسباب خارجة منها

من المعروف عقلياً وعرفانياً أن النفوس المتجسدة على ثلاثة أنواع ، لذلك كانت معشوقاتها أيضاً على ثلاثة أنواع : فمنها النفس النباتية الشهوانية ، وعشقها يكون نحو المأكولات والمشروبات والمناكح . ومنها النفس الغضبية الحيوانية ، ويكون عشقها نحو القهر والغلبة وطلب المعالي ، ومنها النفس الناطقة ، وعشقها يكون نحو العلوم والمعارف واكتساب الكمال والفضائل .

وفي اعتقادنا أنه ليس احد من الناس يخلو من نوع من هذه الأنواع الثلاثة التي اشرنا اليها ، أو يكون آخذاً بنصيب من كل واحد منها قل أو كثر . والعلة في ذلك أنه لما كان من شأن النفوس أن تتبع أمزجة الأبدان في إظهار أفعالها وأخلاقها ومعارفها ، وبخاصة ما كان أغلب منها في المزاج ، وأقوى في أصل التركيب .

ويرى علماء أهل الحق أن كل إنسان، يكون المستولي عليه ، في أصل مولده ، القمر أوالزهرة وزحل ، لذلك تكون القوة الغالبة ، على طبيعته قوة النفس الشهوانية نحو المأكولات والمشروبات وتوفير المال اللازم لها . واذا كان المستولي عليه المريخ والزهرة أو القمر ، فإن الغالب على طبيعته شهوة الجماع والمناكح ، وفي حالة كون المستولي عليه في أصل مولده الشمس والمريخ ، فيكون الغالب على طبيعته شهوة النفس الغضبية نحو القهر والغلبة وحب المعالي . وإن كان المستولي عليه ، في أصل مولده ، الشمس وعطارد والمشتري ، فإن الغالب على طبيعته تكون شهوات النفس الناطقة نحو المعارف واكتساب العدل والفضائل .

ويعتقد بعض الحكماء من أهل الحق إن العشق هو شدة الشوق إلى الاتحاد ، لأن الاتحاد هو من خصائص الأمور الروحانية ، والاحوال النفسانية ، بأعتبار أن الأمور الجسمانية لا يمكن فيها الاتحاد ، بل المجاورة ، والممازجة ، والمماسة لا غير . فأما الاتحاد فهو في الأمور النفسانية الروحانية .

وفي تعليقهم على أقوال من يزعمون بأن العشق جنون إلهي يذهبون إلى أن هذه المزاعم محض هراء ، لأن هؤلاء لم يجدوا الدواء لمعالجة هذه الحالة ، ولا وجدوا شربة يسقونها إياهم فيبرؤ ن مما هم فيه من المحنة والبلوى ، إلاّ الدعاء لله بالصلاة والصدقة والقرابين في الهياكل ، ورقي الكهنة ، وما شاكل ذلك ، كما ورد على لسان احدالعشاق وهو عروة بن حزام قتيل الحب :

بذلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد، إن هما شفياني
فما تركا من سلوة يعرفانها ولا رقية إلّا بها رقياني
فقالا : سقاك الله ! والله مالنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

ومما لا جدال فيه بأن مبدأ العشق وأوله نظرة أو التفاتة نحو شخص من الاشخاص ، فيكون مثلها كمثل حبة زرعت ، أو غصن غرس ، أو نطفة سقطت في رحم . وتكون باقي النظرات واللحظات بمنزلة مادة تنصب إلى هناك ، وتنشأ وتنمي على ممر الأيام ، إلى أن تصير شجرة أو جنيناً ؛ وذلك أن همة العاشق ومناه هو الدنو والقرب من معشوقه . فإذا اتفق له ذلك وسهل ، تمنى الخلوة والمجاورة . فإذا تحقق له ذلك طلب المعانقة والقبلة . فإذا توصل إلى ذلك تمنى الدخول وإياه في ثوب واحد ، والالتزام بجميع الجوارح أكثر ما يمكن . ورغم تحقق كل هذه الأماني فالشوق يظل على حاله لا ينقص شيئاً ، وربما ازداد ونما بقوة وعمق .

ولبيان علة العشاق وفنون المعشوقات يرى جماعة أهل الحق بأن الحكمة الإلهية ، والعناية الربانية ، قد ربطت أطراف الموجودات بعضها ببعض رباطاً واحداً ، ونظمتها نظاماً واحداً ، وذلك أن الموجودات لما كان بعضها عللاً وبعضها معلولات ، ومنها أوائل ومنها ثوان ، جعلت في جبلة المعلولات نزوعاً نحو علاتها ، واشتياقاً إليها ، وجعلت أيضاً في جبلة علاتها رأفة ورحمة وتحنناً على معلولاتها ، كما ينطبق ذلك على الآباء والأمهات بشأن الأولاد ، وعلى الكبار نحو الصغار ، والأقوياء تجاه الضعفاء لشدة حاجة الضعفاء إلى مساعدة الأقوياء ، والصغار الى الكبار .

وأما محبة النساء للرجال ، وعشق الأنثى للذكر ، فإن ذلك في طباع أكثر الحيوانات التي لها سفاد . وانما جعلت تلك في طبائعها لكيما يدعوها إلى الاجتماع والسفاد ، ليكون منها النتاج . والغرض منها بقاء النسل ، وحفظ الصورة في الهيولى بالجنس والنوع ، إذ كانت الأشخاص دائماً في السيلان .

والحكمة في المعشوقات وأنواعها مفننة ومتنوعة مركوزة في النفوس ، ومجبولة في الطباع ، والمعشوقات كثيرة لا يحصي عددها إلاّ الله سبحانه وتعالى ، والعشق فضيلة ظهرت في الخليقة ، وحكمة جليلة ، وخصلة نفيسة غالية ، غمر الباري سبحانه بها خلقه ، ليحرر نفوسهم من الشهوات ، ليشعروا بالسعادة ، والإطمئنان بعد أن تصبح نفوسهم مع الله شيئاً واحداً . ولا يصل إلى المعشوق الذي تشتاق اليه النفوس ، إلا من هذب نفسه وقومها على سلوك الطريق المستقيم ، وابتعد عن الشهوات الجسدانية ، واتحد في الله الـذي اوجد كافة الموجودات ويصبح معه واحداً في العدد . فالله هو الوجود كله ، ومتى تمت الوحدة بين العاشق والمعشوق أصبح كل ما في هذا العالم شيئاً واحداً .

ومتى أدرك العاشق حقيقة الوجود ، وأنها ليست شيئاً غير الباري سبحانه ، عشق فراق الجسد ، وأحب الارتقاء إلى ملكوت السماء ، حيث يتصل بالذات السرمدية، ويفنى في الذات الأحدية .

وفي الواقع العقلاني الملموس لدى جماعة أهل الحق ان كل عاشق لشيء من الاشياء ، يظل مشتاقاً إليه هائماً به ، ومتى وصل إليه ونال ما يهواه منه ، وبلغ حاجته من الاستمتاع به والتلذذ بقربه ، فإنه ولا بد يوماً من أن يفارقه ، أو يمله ، أو يتغير عليه . وتذهب تلك الحلاوة ، وتتلاشى تلك البشاشة ، ويخمد لهب ذلك الاشتياق ، إلا المحبين لله تعالى من العارفين والمشتاقين إليه ، فإن لهم كل يوم من معشوقهم قربة ومزيداً أبد الآبدين ، بلا نهاية ولا غاية .

والغرض الاقصى من وجود العشق في جبلة النفوس في اعتقاد أهل الحق ، إنما هو تنبيه لها من نوم الغفلة ، ورقدة الجهالة ، ورياضة لها ، وترقية من الأمور الجسمانية المحسوسة إلى الأمور النفسانية المعقولة ، ومن الرتبة الجرمانية إلى المحاسن الروحانية ، ودلالة على معرفة جوهرها ، وشرف عنصرها ، ومحاسن عالمها ، وصلاح معادها ، وكل ذلك أن جميع

المحاسن والزينة ، وكل المشتهيات من المرغوب فيها الذي يرى على ظواهر الأجرام وسطوح الأجسام ، إنما هي أصباغ ونقوش ، ورسوم قد صورتها النفس الكلية في الهيولى الأولى ، وزينت بها ظواهر الأجرام وسطوح الأجسام ، حتى اذا نظرت إليها النفوس الجزئية ، جنت اليها ، وتشوقت نحوها ، وقصدت لطلبها ، بالنظر إليها ، والتأمل لها ، والتفكر فيها ، والاعتبار لأحوالها ، كل ذلك كيما تتصور تلك الرسوم والمحاسن والنقوش في ذاتها ، وتنطبع في جوهرها ، حتى إذا غابت تلك الأشخاص الجرمانية عن مشاهدة الحواس لها ، بقيت تلك الرسوم والصور المعشوقة المحبوبة مصورة فيها أعين النفوس الجزئية ، صورة روحانية ، صافية ، باقية معها معشوقاتها ، متحدة بها ، لا تخاف فراقها ، ولا فواتها أبداً .

ويستدلون على صحة ذلك بأن من عشق يوماً من أيام عمره لشخص من الأشخاص ثم فقده ، أو تغير عليه ، ثم وجده صدفة وقد تغير عما كان عليه ، وعهده من الحسن والجمال ، وتلك الزينة والمحاسن ، التي كان رآها على ظاهر جسمه ، فإنه متى رجع عند ذلك ، فنظر إلى تلك الرسوم والصور ، التي هي باقية في نفسه منذ العهد القديم ، وجدها بحالها تلك ولم تتغير ، ولم تتبدل ، ورآها برمتها ، فتشاهد النفس في ذاتها حينئذٍ ، من تلك المحاسن والصور والرسوم ، ما كانت من قبل تراها على غير تغير ، وتجد في جوهرها ما كانت قبل ذلك تطلبه خارجاً عنها . فعند ذلك تبين له وعلم أن المعشوق والمحبوب بالحقيقة إنما هي تلك الرسوم والصور، التي كان يراها على ذلك الشخص ، وهو اليوم يراها منقوشة في نفسه ، مرسومة في جوهره ، مصورة في ذاته ، باقية لم تتغير ! فإذا فكر العاقل فيما وصفنا ، انتبهت نفسه من نوم غفلتها ، واستيقظت من رقدة جهالتها ، واستقلت بذاتها ، وفازت بجوهرها ، واستغنت عن غيرها ، وفضلت الفناء في ذات المبدع ، والاتحاد معه ، لأنه الهدف والغاية القصوى التي ينهد إليها العاشق :

أحب حبيب واحداً لست أبتغي   مدى الدهر عنه ما حييت بديلاً

فـإن ظفرت كفي بـه فهو بغيتي   وإن فات ما أبغي سـواه خليلاً

ويرى أهل الحق أن نفوس الحكماء والعلماء والفلاسفة تجتهد في افعالها ، ومعارفها ، وأخلاقها ، في التشبه بالنفس الكلية الفلكية ، وتتمنى اللحوق بها . والنفس الكلية ، فإنها تتشبه بالباري في إدارتها الأفلاك ، وتحريكها الكواكب ، وتكوينها الكائنات ، كل ذلك طاعة لباريها ، وتعبداً له ، واشتياقاً إليه . ومن اجل ذلك قالت الحكماء : إن الله هو المعشوق الأول ، والفلك انما يدور شوقاً إليه ومحبة للبقاء والدوام المديد على أتم الحالات ، وأكمل الغايات ، وأفضل النهايات .

والباعث للنفس الكلية ، على إدارة الأفلاك ، وتسيير الكواكب ، هو الاشتياق منها إلى إظهار تلك المحاسن والفضائل والملاذ والسرور التي في عالم الأرواح . وهذه المحاسن والبركات كلها إنما هي من فيض الباري واشراق نوره على العقل الأول ، ومن العقل الأول على المنبعث الثاني أو النفس الكلية ومن النفس الكلية على الهيولى . وهي الصورة التي ترى الأنفس الجزئية في عالم الأجسام ، على ظواهر الأشخاص والأجرام التي من محيط الفلك إلى منتهى مركزالأرض .

وسريان تلك الأنوار والمحاسن ، من أولها إلى آخرها ، كمثل سريان النور والضياء الذي في ليلة البدر منبعثاً من جرم جوهر القمر على الهواء ؛ والذي على جرم القمر من الشمس ؛ والذي على جرم الشمس والكواكب جميعاً ، من اشراق النفس الكلية ؛ والذي على النفس الكلية من العقل الأول ، والذي على العقل الأول من فيض الباري وإشراقه ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **الله نور السموات والأرض**﴾ .

ومن هذه المنطلقات الماورائية يتضح لكل عاقل ينهد إلى معرفة الحقيقة أن الله هو المعشوق الأول ، وأن كل الموجودات إليه تشتاق ، ونحوه تقصد ، وإليه يرجع كله . لأن به وجودها ، وقوامها ، وبقاءها ،

ودوامها ، وكمالها . بأعتباره الموجود المحض ، الذي له البقاء والدوام السرمد ، والتمام والكمال المؤيد .

والعشق الإلهي الرباني من ميزات الانسان العاقل المدرك ، الذي يهدف في حياته وبعد موته ، إلى الرجوع بحصيلة جيدة ، ومغانم رابحة ، إلى الكل الذي انبثق منه ، وشع نوره السرمدي العقلاني في ذاته ، لينقلها من عالم القيام بالقوة ، الى عالم القيام بالفعل حيث الاستبصار ، واليقين ونور الهداية الأبدية .

المفتاح السابع
« المدينة الفاضلة »

المدينة الفاضلة ، أو مدينة أهل الخير ، أو جزيرة صاغون ، كلها مسميات لغاية واحدة ، ولهدف واحد ، هو إيجاد مدينة فاضلة ، يسكنها مجموعة من المفكرين الأخيار ، موحدة الأهداف والكلمة ، ذات نظام اجتماعي روحاني سليم ، يهدف إلى ايجاد مجتمع صحيح ، وأخوية فلسفية روحانية عميقة الجذور ، تمهد لتعميم الأفكار الحرة في كافة المجتمعات، وتشجع الناس على المجاهرة بأفكارهم العقلانية ، في ضوء العقل السليم ، والمبادىء العرفانية الصحيحة ، والمساواة في الحقوق والواجبات بين جميع الأفراد والجماعات ، والأمم .

وحلم الفلاسفة والعقلاء ، الذين تخيلوا إمكان تحقيق فكرة المدينة الفاضلة ، ومجتمع أهل الخير والسعادة ، يماثل ويطابق ما تخيله أفلاطون في إمكان ايجاد جمهوريته المثالية ، وفردوسها الأرضي ، وحياتها المثالية الكاملة ، على أن تقوم دولة الحكماء بتقويم شرائع هذه الجمهورية ، وسن قوانينها الأجتماعية والسياسية ، والاقتصادية وفق أسس متينة من الحكمة والعدالة ، لتهب كل ذي حق حقه .

ولقد جسد علماء أهل الحق في كتاباتهم تجاربهم الحياتية ، وتفاعلاتهم النفسية والإجتماعية ، فجاءت كلها تعبيراً صحيحاً عن خلاصة تأملاتهم وأفكارهم في الوجود والحياة الأفضل ، والمجتمع الأمثل . وصورة واضحة عن نظرياتهم في العقول الإبداعية وصدورها عن المبدع ، وعلاقة الموجودات بعضها ببعض ، والابداع ، والإنبعاث والفيض ، والنفس ، والأرادة والاختيار ، والسعادة الأبدية في المعاد .

ولم يبخلوا هؤلاء العقلاء فعرفوا المدينة الفاضلة أو مدينة أهل الخير فقالوا : إن المدينة الفاضلة ، هي المدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة الحقيقية والأخوة الصادقة .

ومما لا شك فيه بأن علماء أهل الحق قد قاموا بدراسة تركيب ونفسية الانسان وفطرته الاجتماعية ونظام الهيئة البشرية ، وما يجب فعله لتوفير السعادة لها في عالم الكون والفساد ، وتنال المثال الأعلى الثابت في ذروة الكمال . لذلك نراهم يشددون على ضرورة تعاون الأفراد وتكاتفهم لنيل السعادة ، نظراً لحاجة الفرد الملحة إلى أبناء جنسه . ولولا تعاون الأفراد في مجالاتهم الاجتماعية لما كثرت الجماعات ، ولا عمرت الأرض .

ويرد جماعة أهل الحق على اولئك الذين يقولون بأن الاجتماع الإنساني إنما نشأ عن القهر ، لأن القاهر حسب زعمهم يحتاج الى مؤازرين ، فيقهرهم ويسخرهم ، ثم يقهر بهم أقواماً آخرين ، فيستعبدهم أيضاً لمنافعه واهوائه . وعلى الذين ذهبوا إلى أن الاشتراك في الولادة من والد واحد هو سبب الارتباط ، وان الاجتماع والائتلاف لا يكونان إلا به ، فإذا تباينت الآراء حصل التنافر . واذا تقاربت حصل الإشتراك والتعاون ، وكلما كان التباين أقل ، كان الارتباط أشد ، وكلما كانت القرابة أبعد كانت رابطة الإجتماع أضعف .

ومن البديهي أن يردوا على اولئك الذين يظنون ان الأرتباط إنما يكون بالتصاهر ، أي بزواج أولاد هذه الطائفة من أناث تلك الطائفة ، والعكس بالعكس . وعلى من يرى أن الارتباط الاجتماعي انما يكون بالإشتراك في رئيس واحد يجمعهم ويدبرهم . وعلى الذين اعتقدوا أن الارتباط هو بالايمان والتحالف والتعاهد ، على ما يعطيه كل إنسان من نفسه ، ولا ينافر الباقين ولا يخاذلهم .

وبعد أن يستعرضوا الروابط الاجتماعية يقسمون الجماعات بموجب روابطها إلى قسمين : الكاملة ، وغير الكاملة . والكاملة حسب رأيهم على ثلاثة انواع : عظمى ، ووسطى ، وصغرى . فالعظمى تعني اجتماع

الجماعات كلها في المعمورة ، وهي أكمل الجماعات ، والوسطى تعني اجتماع امة في جزء من المعمورة ، والصغرى اجتماع أهل المدينة في جزء من مسكن أمة .

أما الاجتماعات غير الكاملة، فهي اجتماع أهل القرية ، واجتماعات أهل المحلة ، ثم الإجتماع في سكة أو في منزل ، والخير الأفضل والكمال الأقصى انما ينال أولاً بالمدينة ، ثم بالمعمورة . لا بالإجتماع الذي هو أنقص من المدينة . وعلى هذه الصورة لا تنال السعادةفي الحقيقة إلا بالمدينة الفاضلة حيث يتعاون الأخوان ويجمعون قوة أجسادهم كقوة واحدة ، ويرتبوا تدبير نفوسهم تدبيراً واحداً ، ليبنوا مدينة فاضلة عقلانية ، ويكون بناء هذه المدينة في مملكة صاحب الناموس الأكبر الذي يملك النفوس والأجساد ، لأن من ملك النفوس ملك الأجساد ، ومن لم يملك النفوس لم يملك الأجساد .

ولما كان الجسد للنفس بمنزلة دار تسكن ، وما دامت هذه النفس مع هذا الجسد مربوطة به إلى الوقت المعلوم ، فلا بد لنا من النظر فيما تصلح به معيشة الحياة الدنيا ، وما تنال به النجاة والفوز في الآخرة .

وهذين الأمرين لا يتمان إلا بالمعاونة ، والمعاونة لا تكون إلاّ بين اثنين أو اكثر من ذلك ، وليس شيء . أبلغ على المعاونة من أن تجتمع قوى الأجساد المتفرقة ، وتصير قوة واحدة ، وتتفق تدابير النفوس المؤتلفة وتصير تدبيراً واحداً ، حتى تكون كلها كأنها جسد واحد ونفس واحدة ، فعند ذلك تغلب كل من رام غلبتها ، وتقهر كل من خالفها وضادها .

ولا يجتمع أثنان على أمر من الأمور إلا ولاجتماعهما علة تجمعهما وسبب ، يحفظهما على تلك الحال ، فما دامت تلك العلة باقية وذلك السبب ثابتاً ، دامت لهما تلك الحال ، وإن بطلت تلك العلة ، وانقطع ذلك السبب ، تفرقا بعد اجتماعهما وتنافرا بعد إلفهما .

وليس من جماعة يجتمعون على تعاون في أمر من امور الدنيا والآخرة أشد نصيحة بعضهم لبعض من تعاون أهل المدينة الخيرة ! لأن العلة التي تجمع بين

سكان هذه المدينة هي ان يرى ويعلم كل واحد منهم أنه لا يتم له ما يريد من صلاح معيشة الدنيا ، ونيل الفوز والنجاة في الآخرة ، إلا بمعاونة كل واحد منهم لصاحبه ، والذي يحفظهم على تلك الحال المحبة والرحمة ، والشفقة والرفق ، من كل واحد منهم ، والمساواة فيما يريد ويحب ، ويبغض ويكره لنفسه . ويدوم هذا الحال اذا علم كل فرد منهم بأن أنفسهم نفس واحدة ، وإن كانت أجسادهم متفرقة .

ويعتقد أهل الحق بأن العلل والأسباب التي تمنع الأخوة الحقة ، والصداقة الصافية ، هي أربع : إحداهـا أنهم لا يعرفون ما الفرق بين النفس والجسد ، والثانية أنهم لا يدركون كيف رباط النفس بالجسد ، والثالثة ، أنهم لا يدرون لم ربطت النفس بالجسد ، والرابعة انهم لا يعلمون كيف تنبعث النفس من الجسد ! فلا جرم أن النفس ما لم تنبعث من الجسد فلا تعرف الفوز والنجاة والخلود في النعيم .

وينبغي أن يكون أهل مدينة الخير قوماً أخياراً حكماء فضلاء مستبصرين بأمور النفوس وحالاتها ، لهم سيرة حسنة ، يتعاملون بها فيما بينهم ، على أسس من الصفاء والوفاء والصدق والأخوة الحقة ، وأن يكون لهم سيرة اخرى يعاملون بها أهل المدن الجائرة ، ولا ينبغي أن يكون بناء هذه المدينة في الأرض حيث تكون أخلاق سائر المدن الجائرة ، ولا يكون بناؤها على وجه الماء لأنه يصيبها من الأمواج والأضطراب ما يصيب أهل المدن التي على السواحل من البحار ،ولا ان يكون في الهواء مرتفعاً لكيلا يصعد إليها دخان المدن الجائرة فتكدر أهويتها ، بل ينبغي ان تكون هذه المدينة تطل على سائر المدن ليكون أهلها يشاهدون حالات أهل سائر المدن في دائم الأوقات ، على ان يكون أساس هذه المدينة مبنياً على تقوى الله ، والصدق في الأقاويل والتصديق في الضمائر ، وتتم أركانها على الوفاء والأمانة حتى تدوم ويصبح كمالها على الغرض في الغاية القصوى التي هي الخلود في النعيم . ومتى تم بناء هذه المدينة وفق ما ذكرناه بنينا سفينة النجاة، حتى تكون مستقلة بثقل الأجساد ، وتكون المدينة مأوى الأرواح .

ويرى علماء أهل الحق ان بناء هذه المدينة الفاضلة التي وصفوها مفروغ منه ، ولكن لا يمكن أحد أن يدخل اليها اذا لم يكن يتمتع بكافة المناقب الأخلاقية التي اشاروا اليها . وان يكون علمه ومعرفته مساوياً لسكان المدينة ، لأن حول هذه المدينة أربعة أسوار مبنية من جهالات الناس ، ما بين كل سورين خندق من سوء أعمالهم وفساد آرائهم ورداءة أخلاقهم ، لذلك يجب على من يريد الدخول اليها أن يعرف نفسه ، وماهية جوهرها ، فتفتح أمامه الأسوار ، ويعبر الخنادق ، الى حيث السعادة والهناء في اجواء المدينة الفاضلة .

ويخلص أهل الحق من كل هذه الأبحاث المتعلقة بالمدينة التي يفكرون بتأسيسها إلى الغوص في خضم التشبيهات والمطابقات للاثبات على جوهر مدينتهم الفاضلة التي يجعلونها صورة طبق الأصل عن البدن التام الصحيح الذي تتعاون اعضاؤه كلها لتتميم الحياة واستمرارها ، وان نسبة رئيس المدينة وأهلها كنسبة القلب الى البدن وأعضاء البدن . أو كالوجود ، لأن نسبة الموجود الأول إلى سائر الموجودات كنسبة المدينة الفاضلة إلى سائر اجزائها .

ومن هذا المنطلق رتبوا المدينة الفاضلة ، وأعضاؤها وسكانها ، وشوارعها واسوارها ، على صورة مطابقة لترتيب الموجودات واستمدادها بعضها من بعض القوى الروحانية السرمدية ، لأن أشرف مدينة وأكملها هي مدينة المبدع الخالق المصور ، لذلك يجب أن تكون مراتب مدينة أهل الخير منظمة ومرتبة وفقاً لنظام الكون الذي هو مدينة الباري ، فعلى هذا الترتيب تكون الموجودات كلها تقتفي غرض الموجود الأول . الذي أعطيت كل ما به وجودها من أول الإبداع . فقد إقتدى بها من أول أمرها اقتداء الأول ومقصده ، فعادت وصارت في المراتب العالية . وأما التي لم تعط من أول الأمر كل ما به وجودها ، فقد اعطيت قوة تتحرك بها نحو ذلك الذي يتوقع نيله . ويقتفي في ذلك ما هو غرض الموجود الأول . لذلك ينبغي ان تكون المدينة الفاضلة ، فإن إجزاءها كلها يجب أن تقتدي بأفعالها ومقصد رئيسها الأول .

ولقد أوجدوا لهذه المدينة قائداً ومعلماً ، أو حكيماً ورئيساً ، ليشرف على ادارتها وتنظيمها وترتيبها ، وأوجبوا الشروط القاسية لاختياره لهذا المنصب كرئيس للأمة الفاضلة الذي لا يجوز أن يكون فوقه رئيساً ، بل هو فوق الجميع لذا يجب أن يكون قد استكمل جميع الصفات الاخلاقية الحسنة ، فصار عقلاً ، معقولاً بالفعل ، وتكون القوة الروحانية قائمة بالفعل عنده بالذات .

فالحكيم المرشد القائد الذي حل فيه العقل الأول ، التام بالفعل ، الكامل بالذات ، هو الذي يصلح للرئاسة ، فيفيض عليه ما يفيض من الله على العقل الأول ، ويكون حكيماً وفيلسوفاً ، يتمتع في أكمل المناقب الانسانية ، تام الأعضاء جيد الفهم والتصور لكل ما يعرض عليه ، جيد الحفظ لما يفهمه ، ولما يراه ويسمعه ، ولما يدركه ، جيد الفطنة ذكياً . ، محباً للتعليم والاستفادة ، لا يؤلمه تعب التعليم ، ولا يؤذيه الكد الذي يناله منه ، محباً للصدق وأهله ، مبغضاً للكذب وذويه ، كبير النفس ، محباً للكرامة محتقراً للمال ، ولسائر أعراض الدنيا ، محباً للعدل وأهله ، ومبغضاً للجور والظلم ، عدلاً غير صعب القيادة ، لا لجوجاً ولا جموحاً إذا دعي إلى العدل ، بل صعب القياد ، إذا دعي إلى الجور ، قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل ، جسوراً مقداماً ، غير خائف ولا ضعيف النفس .

وهذه الشروط بأعتقادي لا تتوفر إلاّ للواحد بعد الواحد ، ولا تتجسد إلاّ في الأقل من الناس ، وعلى هذا لن يكون رئيساً لهذه المدينة إلاّ الإمام الذي يشرع الشرائع ويضع القوانين ويسهر على تنفيذها بدقة ، لأن هذه الشروط التي وضعها أهل الحق لا تتوفر إلاّ فيه بإعتباره يتمتع بالعصمة الذاتية .

الحلقة السابعة

وتضم الجواهر ، الأعراض ، الصورة ، الهيولى ، الأعداد ، الكواكب والأفلاك ، عالم الأجسام ، العرش ، الكرسي ، القلم ، الهندسة ، الموسيقى ، الأخلاق ، الإلهام والكشف .

المفتاح الأول
« الجواهــر »

أول ما يبحث عنه الانسان عندما يسبر أعماق العلوم الماورائية الإلهية هو معرفة جوهر النفس ، والبحث عن مبدئها من أين كانت قبل تعلقها بالجسد ، والفحص الدقيق عن معادها إلى أين تكون بعد فراق الجسد الذي يسمى الموت .

ومعرفة جوهر النفس هو جذر العلوم الإلهية ، وعنصر الحكمة ، وأصل الصنائع العلمية والعملية . لذلك أوجب علماء أهل الحق على كل مؤمن عاقل معرفة نفسه ، ومعرفة جوهرها ، والعمل الدآب المستمر على تهذيبها ، ونقلها من حد القيام بالقوة إلى القيام بالفعل ، حيث السعادة السرمدية .

ومما ذهب إليه بعض أهل الحق إلى أنه عندما أراد أن يعرف نفسه ، وماهية جوهرها ، قال : خلوت بنفسي وخلعت بدني ، وصرت كأني جوهر مجرد بلا بدن ، داخلاً في ذاتي ، خارجاً عن جميع الأشياء ، حيث أرى في ذاتي الحسن كله ، والبهاء الحقاني بكماله وتمامه ، فوجدت صور الموجودات العلوية والسفلية كلها في جوهرها ، فعند ذلك استغنيت عن الجسد .

واذا سألنا عن حقيقة الجوهر ، وما هو ؟ فنجيب على ذلك بأنه هو القائم بنفسه ، القابل للصفات ، والصفة عرض صافي في الجوهر ، وكل ما خلا ذلك من الصفات فهي الأعراض ، وكل عرض يحل بالجوهر من حيث هو فمنه ثابت ، كسواد الأسود ، وبياض الأبيض ، ومنه زائل كحمرة الخجل ، وصفوة الوجل . والجوهر الفرد هو الذي لا يتجزأ ولا يقبل الانقسام .

والجوهر قائم بذاته ليس بمكون من شيء آخر ، فهو لا يبيد ولا يفسد ، ولا يدثر ولا ينقص البتة . وهو مبسوط لا يتجزأ . وغير قابل للفساد ، ولا

للدثور ، وأنه أبتدع بلا زمان ، فهو أعلى وأرفع من الزمان ومن الأشياء الزمانية .

وكل جوهر ابتدع في زمان : إما أن يكون دائماً في الزمان والزمان غير فاصل عنه لأنه ابتدع والزمان سواء ؛ وإما أن يكون منفصلاً عن الزمان والزمان يفصل عنه لأنه ابتدع في بعض أوقات الزمان . وذلك أنه ان كانت المبتدعات يتلو بعضها بعضاً ، وكان الجوهر الأعلى إنما يتلو الجوهر الشبيه به ، لا الجوهر غير الشبيه به - كانت الجواهر الشبيهة بالجوهر الأعلى ، وهي الجواهر المبتدعة التي لا يفصل عنها الزمان ، قبل الجواهر التي لا تشبه الجواهر الدائمة ، وهي الجواهر المنقطعة عن الزمان المبتدعة في بعض أوقات الزمان . فلا يمكن أن تتصل الجواهر المبتدعة في بعض أوقات الزمان بالجواهر الدائمة ، لأنها لا تشبهها البتة . فالجواهر الدائمة إذن في الزمان هي التي تتصل بالجواهر الدائمة وهي المتوسطة بين الجواهر الثابتة وبين الجواهر المنقطعة عن الزمان . ولم يكن ممكناً أن تكون الجواهر الدائمة التي فوق الزمان تتلو الجواهر الزمانية المنقطعة عن الزمان إلا بتوسط الجواهر الزمانية الدائمة في الزمان . وإنما صارت هذه الجواهر متوسطة لأنها تشارك الجواهر العالية الدائمة في الدوام ، وتشارك الجواهر الزمانية المنقطعة في الزمان بالتكوُّن ، فإنها، وإن كانت دائمة، كان دوامها بالتكون والحركة .

والجواهر الدائمة بالزمان تشبه الجواهر الدائمة التي فوق الزمان بالدوام، ولا تشبهها في الحركة والتكون . وأما الجواهر المنقطعة عن الزمان فإنها لا تشبه الجواهر الدائمة التي فوق الزمان بجهة من الجهات . فإن كانت لا تشبهها ، فإنها لا تقدر أن تتناولها ولا تماسها . فلا بد إذن من جواهر تماس الجواهر الدائمة التي فوق الزمان ، فتكون مماسة الجواهر المنقطعة عن الزمان فتجمع بحركتها بين الجواهر الزمانية المنقطعة عن الزمان ، وبين الجواهر الدائمة التي فوق الزمان ؛ وتجمع بدوامها بين الجواهر التي فوق الزمان وبين الجواهر التي تحت الزمان ، أعني الواقعة تحت الكون والفساد ؛ وتجمع بين الجواهر الفاضلة وبين الجواهر الخسيسة ، لئلا تعدم الجواهر الفاضلة فتعدم

كل حسن وكل خير ، ولا يكون لها بقاء ولا ثبات .

فقد استبان من هذه الأدلة أن الدوام نوعان : أحدهما دهري ، والآخر زماني ؛ غير أن دوام أحدهما قائم ساكن ، ودوام الآخر متحرك ، وأحدهما مجتمع وأفاعيله كلها معاً لا بعضها قبل بعض ، والآخر سائل ممتد وبعض أفاعيله قبل بعض ؛ وكلية أحدهما بذاته ، وكلية الآخر بأجزائه ، التي كل واحد منها جزء مباين لصاحبه بنوع الأول والآخر .

فقد صح ووضح أن الجواهر منها ما هي دائمة فوق الزمان ، ومنها دائمة مساوية للزمان والزمان غير فاصل عنها ، ومنها ما هي منقطعة عن الزمان والزمان يفصل عنها من فوقها وأسفلها وهي الجواهر الواقعة تحت الكون والفساد .

ويرى جماعة أهل الحق ان الانسان إذا أمعن النظر في حقائق الموجودات ، وجد بعضها متبوعة مكتنفة بالأعراض ، وبعضها تابعة لاحقة لها ، والتابعة هي الأعراض ، والمتبوعة هي الجواهر . ويجمعها الوجود ، اذ هو المتجلي بصورة كل منها . والجواهر متحدة في ذات الجوهرية ، فهي حقيقة واحدة هي مظهر الذات الإلهية ، من حيث قوميتها وحقيقتها ، كما أن الأعراض هي مظهر الصفات لها ، أعني كما أن الذات الكلية لا تزال محتجبة بالصفات ، فكذلك الجواهر لا تزال مكتنفة بالأعراض . وكما أن الذات ، مع انضمام صفة من صفاتها ، تحصل اسماً من الاسماء ، كلية أو جزئية ، كذلك الجوهر ، مع انضمام معنى من المعاني الكلية ، يصير جوهراً خاصاً ، مظهراً لاسم من الاسماء الكلية ، بل هوذاته ؛ وبانضمام معنى من المعاني الجزئية يصير جوهراً جزئياً كالشخص . وكما أنه ، من اجتماع الاسماء الكلية ، يتولد اسم آخر . كذلك من اجتماع الجواهر البسيطة يتولد جوهر آخر ، مركب منها ؛ وكما أن الاسماء بعضها محيط بالبعض ، كذلك الجواهر بعضها محيط بالبعض .

والجوهر بحسب حقيقته هو ذات حقائق الجواهر البسيطة والممكنة ،

فهو حقيقة الحقائق كلها ، ينزل من عالم الغيب الذاتي إلى العالم الحسي ، فيظهر في كل العوالم بحسب ما يليق بذلك العالم .

ويعتقد أهل الحق بأن الموجودات كلها نوعان : جواهر وأعراض ، وإن الجواهر كلها جنس واحد قائمة بأنفسها ، وإن الأعراض تسعة أجناس ، وهي حالة في الجواهر ، وهي صفات لها ، وان الباري سبحانه ، ليس يوصف بأنه عرض ولا جوهر ، بل هو خالقهما وعلتهما الفاعلة . كما وان الصورة نوعان : مقومة ومتممة ، وقد أطلقوا على الصور المقومة جواهر ، وعلى الصور المتممة الأعراض .

وذهبوا إلى ان الجسد جوهر جسماني طبيعي ذو طعم ولون ورائحة وثقل وخفة ، وسكون ولين وخشونة وصلابة ورخاوة ، وهو متكون من الأخلاط الأربعة ، وهو منفسد ومتغير ومستحيل إلى الأركان الأربعة بعد الموت الذي هو مفارقة النفس الجسد وتركها استعماله .

وأما الصفات المختصة بالنفس بمجردها فهي أنها جوهرة روحانية سماوية نورانية حية بذاتها ، علامة بالقوة فعالة بالطبع ، قابلة للتعليم ، فعالة في الأجسام ، ومستعملة لها ، ومتممة للأجسام الحيوانية والنباتية إلى وقت معلوم .

ولجواهر النفوس عند الله منزلة وكرامة ليست لجواهر الأجسام ، وذلك لقرب نسبتها منه ، وبعد نسبة الأجسام ، وذلك أن جواهر النفوس حية بذاتها علامة ، وفعالة ، وجواهر الأجسام ميتة منفعلة لا مثال لها . لذلك حرص دعاة أهل الحق على لزوم معرفة الجواهر البسيطة العقلية ، العلامة الفعالة ، التي هي ملائكة الله ، وخالص عباده ، وهي الصور المجردة من الهيولى ، المستعملة للأجسام المدبرة بها ، لها ومنها أفعالها ، ومعرفة كيفية ارتباط بعضها ببعض ، وفيض بعضها على بعض ، وهي أفلاك روحانية ، محيطات بالأفلاك الجسمانية .

ولا بد لنا من الاشارة إلى ان لكل نوع أو جنس من الموجودات العلوية والسفلية ، جوهر يجب معرفته والتحقق منه ، ومن تفاعلاته وحركاته ، وماهية الأعراض التي تحل بالجواهر ، لأن الأعراض لا يكون قوامها إلا بالجواهر ، ولا توجد إلا فيها .

والصنائع العلمية ، التي يوجد فيها جواهر روحانية ، وهي أنفس المتعلمين ، تأثيرها كله روحاني يشع من جوهر المعلمين ، الذي يبين ماهية العلوم ، وكمية أجناسها ، وأنواع تلك الأجناس ، وكيفية اخراج ما في قوة النفس من العلوم إلى الفعل الذي هو الغرض الأقصى في العلوم ، وهو ينهد إلى اصلاح جواهر النفوس وتهذيب أخلاقها وتتميمها وتكميلها لتبقى خالدة في الآخرة .

وكما أن الجواهر المعدنية إذا استخرجت من معادنها من الذهب والفضة ، وعملت على ما ينبغي ، انتفع بها الناس ، وكان بها صلاح لمعيشة الدنيا ، كذلك اذا انتشر العلم ، ودُرست الحكم ، عرف بها الحلال والحرام ، وكان بها الوصول إلى الجنة ، وعمارة دار الآخرة .

المفتاح الثاني
« الأعراض »

عندما ذكرنا الجواهر في المفتاح السابق أشرنا إلى أن الأعراض مكتنفة بالجواهر ، كما أن الأعراض تابعة للموجودات لاحقة لها ، ويجمعهما الوجود المتجلي بصورة كل منهما ، والأعراض مظهر الصفات ، لكافة الموجودات ، حالة في الجواهر ، وهي صورة متممة لها ، لاقوام لها إلا بالجواهر ، ولا توجد إلا فيها .

واذا دققنا النظر في حقائق الموجودات تبين لنا بما لا يقبل الشك بأن بعضها مكتنفة بالأعراض ، وبعضها تابعة لاحقة لها ، والتابعة هي الأعراض ، والمتبوعة هي الجواهر . كما وان الأعراض الروحانية حالة في الجواهر الروحانية ، والمثال على ذلك إذا قيل : أين العلم ؟ فيقال : حال في نفس العالم ، ولما كان العلم من الأعراض الروحانية الغير محسوسة ، فقد حل في الموضع الروحاني الذي هو النفس ، وكذلك السخاء والشجاعة والعدل وما شاكلها من الصفات الحالة في النفس . فالعرض يجب أن يكون قائماً بموضوع موجود قبله بالذات ، فيلزم تقدم الشيء على نفسه ، لأن العرض محتاج إلى موضوع يحل فيه ، يكون بمنزلة المادة لحفظ وجوده ، والأعراض يبطل وجودها عندما تفارق محلها ، ولم يعد لها وجود البتة .

ولما كان جنس المضاف اضيفت إدارته دخل باقي الأجناس كلها فيه بالعرض ، لا بالذات ، وكان الجوهر موصوف بالأعراض ، والأعراض صفات له ، والصفة صفة للموصوف ، والموصوف موصوف بالصفة ، فإن الأعراض الملازمة لا تفارق الأشياء التي هي لازمة لها ، كما أن العلة لا تفارق معلولها .

والأعراض الملازمة ، وإن كانت لا تفارق ، فليست هي فاعلة لها . مثال ذلك أن الموت ، وان كان لا يفارق القتل ، فإنه ليس له بعلة .ولا القتل أيضاً علة للموت ، ذاتية ، إذ قد يكون موت كثير بلا قتل ، فلا يكون معلول بلا علة . وإذا قلنا بأن العلة تكون ذاتية للشيء ، فإنما قلنا ذلك للشيء الواحد الذي قد يكون له علل عرضية ، ولكنها لا تكون مستمرة في جميع انواع ذلك الجنس ، ولا جميع اشخاص النوع ، كالقتل الذي هو علة عرضية للموت غير مستمرة في جميع انواعه ، ولكن تحتاج أن تكون العلة ذاتية ، حتى تكون القضية صادقة ، قبل العكس وبعده كقولنا : كل ذي لون فهو جسم ، فإذا عكسناه وقلنا : وكل جسم فهو ذو لون ، لأنه لا يوجد شيء ذو لون إلاّ وهو جسم ، تحقق لنا أن الجسم علة ذاتية لذي اللون .

والأجساد المتفقة في الصور مختلفة بالأعراض ، والأعراض الطبيعية تكون مواصلتها من جهة الأمور الطبيعية لتتفاعل بها ، والأعراض مفتقرة في وجودها الى ما به تستعين على ثباتها ووجودها ، فلا يوجد إلا فيها .

ويرى جماعة أهل الحق بأن الجوهر الكلي البسيط هو ذات الجواهر الجزئية المركبة في الخارج ، وامتياز بعضها عن البعض انما هو بالأعراض اللاحقة ، والأعراض تسعة : الكم ، والكيف ، والأين ،ومتى ، والإضافة ، والوضع ، والملك ، وأن تفعل ، وأن تنفعل .

والعرض إما غير نسبي أو نسبي . والأول أن اقتضى القسمة لذاته فهو الكم ، والا فهو الكيف . والثاني إما أن يكون بين المتفاعلين أولاً . فالأول أن كان حصوله للشيء بالنسبة إلى ما يتأثر به ، فهو الفعل ؛ وإن كان بالنسبة إلى المؤثر فهو الأنفعال ،والثاني أما أن يكون للشيء بالنسبة إلى ما فيه زماناً ، وهو المتى ؛ أو مكاناً ؛ وهو الأين ؛ أو له ؛ وهو الملك ؛ أو إلى ما معه ، وهو الإضافة ؛ أو بنسبة بعض اجزائه إلى بعض وإلى ما خرج عنه ، وهو الوضع . وبذلك تكون أقسام الأعراض تسعة . والجواهر خمسة : العقل والنفس والصورة والمادة والجسم .

والعرض الذي هو الممكن يفتقر في وجوده إلى موضوع ، أي الى محل لا يتقوم إلا بما يحل فيه ، وهو إما أن يقتضي القسمة أو النسبة ، أو لا يقتضي أحداهما . والأول أما أن يكون بين اجزائه المفترضة حد مشترك ويسمى الكم ، وهو المقدار ، أو لا يكون ، ويسمى الكم المنفصل . والأول أما أن تكون اجزائه المفترضة بحيث يمكن اجتماعها في الوجود ، أو لا تكون ، والأول يسمى الكم المتصل القار الذات : وهو أما أن يفرض ذا بعد واحد ، وهو الخط ؛ أو ذا بعدين ، وهو السطح ؛ أو ذا أبعاد ثلاث ، ويسمى الجسم التعليمي . والثاني هو الكم المتصل الغير القار الذات ، وهو الزمان . وأما الكم المنفصل ، فهو العدد ، وأما المقتضى للنسبة فهو الأين ، وهو الحصول في المكان . ومتى ، وهو الحصول في الزمان ، والملك ، وهو كون الشيء محاطاً بغيره وينتقل بانتقاله ، كالتسلح والتقمص . والوضع ، وهو النسبة الحاصلة للجسم بسبب بعض اجزائه إلى بعض وإلى الأمور الخارجة عنها ، كالتربيع والانبطاح . وأن يفعل ، وهو التأثير حالة وجوده ، كالقطع والسخونة . وأن يتفعل ، وهو التأثر ، كالتقطع والتسخين .

وأما ما لا يقتضي قسمة ولا نسبة من الأعراض ، فأما أن يكون مجرد نسبة وهو الأضافة ، فإن حقيقتها نسبة الشيء إلى غيره ، نسبة تتكرر مع الطرفين ، ؛ وأماأن لا يكون كذلك وهو الكيف . والكيف هو كل هيئة قارة للشيء لا يقتضي تصورها تصور أمر خارج عنها ، وعن حاملها ، ولا يقتضي قسمة . وهو اما أن يتعلق بوجود النفس أو بغيرها . والكيف الذي يتعلق بغير النفس ، إما أن يتعلق بالكميات ، أما بالكم المتصل ، أو بالمنفعل ، أو لا يتعلق بها . وهو اما أن يكون مجرد استعداد لأن ينفعل ، أو يكون استعداداً واقعياً لأن ينفعل . واما أن لا يكون هذا ولا ذاك . فما كان منها بطيء الزوال ، سمي انفعاليات ، أو سريعة ، سمي انفعالات .

وهذه هي المقولات العشرة التي محصورة فيها أقسام الممكنات الموجودة . حسب اعتقاد جماعة أهل الحق ، والله اعلم .

المفتاح الثالث

« الصـــورة »

عندما أبدع الباري سبحانه وتعالى المبدعات . وأوجد الموجودات ، أبدع الموجود الأول الذي هو العقل الأول من ذاته تاماً كاملاً غير محتاج إلاَّ لذاته ، لأنه عين الابداع من ناحية ، وعين المبدع من ناحية اخرى، وفيه صور جميع الأشياء ، كما تكون في فكر العالم صور المعلومات .

وأوجد عن طريق الإنبعاث العقل الثاني أو الموجود الثاني ، وهو النفس الكلية ، القابلة للصور والفضائل . من العقل الأول على الترتيب والنظام ، كما يقبل المستجيب المستفيد من معلمه المفيد . وانبعث من النفس الكلية عقل آخر دونها في الرتبة يسمى العقل الثالث أو الهيولى الأولى ، وهي جوهرة بسيطة روحانية ، قابلة من النفس من الصور والأشكال بالزمان شيئاً بعد شيء . فأول صورة قبلت الهيولى الطول والعرض والعمق ، فكانت بذلك جسماً مطلقاً وهو الهيولى الثانية .

ولما استمر الفيض من الباري سبحانه على العقل ، ومن العقل على النفس ، عطفت النفس على الجسم فصورت به الصور ، والأشكال والأصباغ ، لتتمه بالفضائل والمحاسن ، بحسب ما يمكن من قبول الجسم وصفاء جوهره . فأول صورة عملت النفس في الجسم الشكل الكري الذي هو أفضل الأشكال كلها ، وحركته بالحركة الدورية التي هي أفضل الحركات ،ورتبت بعضها في جوف بعض من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض ، وهي إحدى عشرة كرة ، فصار الكل عالماً واحداً ، منتظماً نظاماً كلياً واحداً ، وصارت الأرض أغلظ الأجسام كلها ، وأشدها ظلمة لبعدها من الفلك ، المحيط ، وصار الفلك المحيط ألطف الأجسام كلها ،

وأشدها روحانية ، وأشفها نوراً لقربه من الهيولى الأولى التي هي جوهر بسيط معقول . وصارت الهيولى انقص رتبة من العقل والنفس لبعدها عن الباري سبحانه . ولأنها جوهرة روحانية معقولة ، غير علامة ولا فعالة ، بل قابلة آثار النفس بالزمان ، منفعلة لها . والصورة تعني كل شكل ونقش يقبله الجوهر .

ويرى جماعة أهل الحق أن كافة الموجودات التي أوجدها الباري بأي طريق كان وجدانها لا تخلو من ان تكون جواهراً أو أعراضاً أو مجموعاً منهما ، هيولى أو صورة أو مركباً منهما، عللاً أو معلولات أو مشاراً إليهما ، جسمانياً أو روحانياً أو مقروناً بينهما ، بسيطاً أو مركباً أو جملتهما .

والموجودات كلها صور وأعيان غيريات أفاضها الباري ، على العقل الذي هو أول موجود جاد به المبدع وأوجده ، وهو جوهر بسيط روحاني فيه جميع صور الموجودات غير متراكمة ولا متزاحمة ، كما يكون في نفس الصانع صور المصنوعات قبل إخراجها ووضعها في الهيولى ، وهو فائض تلك الصور على النفس الكلية دفعة واحدة بلا زمان كفيض الشمس نورها على الهواء . والنفس قابلة لتلك الصورة تارة ، وفائضة على الهيولى تارة . كما يقبل القمر نور الشمس تارة ، ويفيض على الهواء تارة . والهيولى قابلة لتلك الصور من النفس الكلية شيئاً بعد شيء على التدريج بالزمان ، كما يقبل الهواء نور القمر في وقت دون وقت ، ومن مسامته دون مسامته ، كما يقبل المستفيد من المفيد معارفه شيئاً بعد شيء .

وصور الموجودات كلها يتلو بعضها بعضاً في الحدوث والبقاء عن العلة الأولى التي هي المبدع ، كما يتلو العدد أزواجه وأفراده بعضها بعضاً في الحدوث والنظام عن الواحد الذي قبل الاثنين . وهذه الألفاظ كلها ألقاب يشار بها إلى الصور ليميز بين أضافات بعضها إلى بعض ، كما يميز بين الأعداد بالألفاظ ، وذلك أن الصورة الواحدة تارة تسمى هيولى ، وتارة تسمى جوهرية ، وتارة تسمى عرضية ، وتارة بسيطة ، وتارة مركبة ، وتارة روحانية وتارة جسمانية ، وتارة علة ، وتارة معلولة ، وما شاكل هذه الألفاظ ، كما يسمى العدد الواحد تارة نصفاً ، وتارة ضعفاً ، وتارة ثلثاً ، وتارة ربعاً ، وتارة غير ذلك لأضافة

بعضها إلى بعض . ومثل ذلك أيضاً أن القميص هو احد الموجودات الجسمانية الصناعية المدركة بالحس ، وماهيته أنه صورة في الثوب ، والثوب هيولى لها . وماهية الثوب أيضاً أنها صورة في الغزل والغزل هيولى لها . والغزل أيضاً ماهيته أنه صورة في القطن والقطن هيولى لها . والقطن أيضاً ماهيته انه صورة في النبات والنبات هيولى لها . والنبات أيضاً ماهيته أنه صورة في الأجسام الطبيعية التي هي النار والهواء والماء والأرض ، وكل واحد منها صورة في الجسم المطلق ، والجسم المطلق ايضاً صورة في الهيولى الأولى . والهيولى الأولى هي صورة روحانية فاضت من النفس الكلية . والنفس الكلية أيضاً صورة روحانية فاضت من العقل الكلي الذي هو أول موجود أوجده الباري .

ومن هذه الأمثلة والمطابقات يتبين لنا أن الموجودات كلها صور متعلقة حدوثها وبقاؤها يتلو بعضها بعضاً إلى أن تنتهي إلى المبدع الأول ، كتعلق حدوث العدد أزواجه وأفراده عن الواحد الذي قبل الاثنين . وهذه الصور كل واحدة منها مقدمة لشيء ، إما جوهرية له متممة لشيء آخر ، أو عرضية له . والفرق بينهما أن الصورة الجوهرية المقومة للشيء هي التي اذا انخلعت عن الهيولى بطل وجدان الشيء . والصورة العرضية المتممة هي التي إذا انخلعت عن الهيولى لم يبطل وجدان الهيولى .

والمثال على ذلك أن الخياطة هي صورة مقومة لذات الثوب ، جوهرية له ، لأنها بها يكون القماش ثوباً ، ومتممة للقماش عرضية فيه . فاذا انخلعت الخياطة عن القماش بطل وجدان الثوب ، ولم يبطل وجدان القماش . وهكذا الحياكة صورة في القماش جوهرية ومقومة له ، وعرضية في الغزل ومتممة له . فإذا انسلت صورة القماش التي هي الحياكة بطل وجدان القماش ولم يبطل وجدان الغزل . وهكذا الفتل في الغزل صورة جوهرية مقومة لذات الغزل ، وعرضية متممة لذات القطن . فإذا نكث الغزل من إبرامه ، بطل وجدان القطن . وهكذا صورة الزئبر جوهرية في القطن ، مقدمة له ، عرضية في النبات ، متممة له ، فإذا بطل الزئبر بطل وجدان القطن ، ولم يبطل وجدان الجسم النباتي . وإذا بطلت صورة النبات ، صار تراباً ، أو

ناراً ، أو ماء ، أو هواء . فإذا خمدت النار صارت هواء ، والهواء أحد أجسام الطبيعة .

وعلى هذا الشكل إذا أنخلعت صورة من صور الأركان الأربعة ، بطل أن يكون موجوداً ذلك الركن ، ولكن لم يبطل أن يكون جسماً ، وإذا انخلعت الصورة الجسمية من الهيولى الأولى ، لم تبطل الهيولى أن تكون جوهراً بسيطاً معقولاً . وإن بطلت الهيولى لم تبطل النفس . وأن بطلت النفس لم يبطل العقل . وإن بطل العقل لم يبطل المبدع الأول الذي هو الباري الخالق .

فقد بان بهذا المثال أن الموجودات كلها صور غيريّات ، وهي اعيان الأشياء ، وأنها متتاليات . في الحدوث والبقاء ، كتتالي العدد من الواحد ، وأنها كلها من الله مبدأها ، وإليه مرجعها ، كما أن العدد إلى الواحد ينحل الذي منه تركب في الأصل ، كذلك الموجودات كلها مرجعها ومصيرها إلى الله الواحد الأحد .

ويمكننا أيضاً أن نقول بأن النفس الكلية صورة فيها جميع الصور ، وهي في ذات النفس لا تتراكم ولا تتزاحم ، لأنها جوهرة روحانية لطيفة ، حية علامة فعالة :

ولما كانت الطبيعة مبدأ حركة وسكون ، في الشيء الذي هو فيه بالذات ، وذات هذا المحرك هي الحياة السارية من عالم الربوبية المعرب عنها بالصورة التي وجودها بالإنبعاث من الإبداع ، من الهيولى عن النسبة الموجبة وجودهما على ذلك ، بأن تكون إحداهما فاعلة ، والأخرى مفعولة فيها ، كانت أحدهما الهيولى ، والأخرى الصورة ، سماهما عالم الدين ، الكرسي والعرش ، وهيولاه التي هي جسمه في التهيؤ والموافقة والانبساط لصورتها على أمر يكاد أن يكون كهي لشدة اتحادهما ، بما شاع فيهما من نور الوحدة . فسمي الفلك المحيط الكرسي ، والبروج العرش .

وجعل الصورة هي الحياة ، وهي نفس الحس وهي المحركة المتحركة من داخل الجسم الذي هو الهيولى نفس النماء . والذي يبقى منه هذا الباقي

الذي هو هيولى في وجودها وانبعاثها عن الموجود الأول ذات صورة رافدة إياها الوجود كما أنها لها بها الوجود ، إذ لا وجود لإحداهما إلاّ بوجود الأخرى ، ولا لهما وجود إلا معاً ، بكون وجودهما عن نسبة هي في ذاتها زوج معرب عنها بالمبدع الذي يقتضي إبداعاً ، وما بالإبداع هو مبدع ، فلا الهيولى سابقة في وجودها على الصورة ولا الصورة سابقة في وجودها على الهيولى ، بل هما ذات واحدة ، هي في ذاتها ، جزءان بهما ذات الجسم جسم ، على كون الصورة أشرف من المادة لتعلق الفعل بها ، وعلى كون كل منهما ـ أعني الهيولى والصورة ـ في ذاته غير جسم ، فلا الهيولى بمجردها جسم ولا الصورة بمجردها جسم .

ونستخلص من كل هذه الأفكار العقلانية أن الحياة هي الصورة الحية ، وسميت صورة بسبب تصورها للمبدع الأول ، حيث أوجب هذا التصور لها البقاء والأزل ، ثم تصورت إنكار من أنكرته ، فكانت ذات صورتين . أوجبت لها الأولة اللطافة ، والثانية الكثافة . فقرنت بالهيولى الذي هو المصر المنكر للكل ، المظلم الكدر .

المفتاح الرابع
« الهيولى »

لمعرفة ماهية الهيولى لا بد لنا من قرنها مع الصورة التي تحدثنا عنها في المفتاح السابق ، لأن وجودها بالإنبعاث من عالم الإبداع مع الهيولى على النسبة الموجبة وجودهما على ذلك بأن تكون إحداهما فاعلة والأخرى مفعولة فيها على النظام الموجود عليه حال الموجود الأول الذي هو الإبداع على ما عليه طبيعة النسبة بكونها مفعولاً ، وذاته لا كذات العقول ، في التجرد من المواد صوراً محضة ، بل هي من شيئين بهما وجوده ؛ أحدهما الهيولى والأخرى الصورة . والجسم من حيث هو جسم ليس بفاعل ولا متحرك بل هيولى ، منفعل ، قابل للصورة والأعراض الحالة فيه ، وكذلك العالم مصنوع مركب من هيولى وصورة . وكل صور المصنوعات قبل اخراجها تسمى هيولى ، وهي قابلة للصور .

ولقد أوجد الباري الهيولى كما ترتبت الأربعة من الأعداد بعد الثلاثة ، ومن أجل ذلك قيل أن الهيولى أربعة أنواع : هيولى الصناعة ، وهيولى الطبيعة ، وهيولى الكل ، والهيولى الأولى ، لتكون هذه الأربعة الأركان دالة على مرتبتها في الموجودات ، والهيولى تعني كل جوهر قابل للصورة .

وإذا فكر الانسان وتأمل بعقله السليم يتبين له أن العالم مصنوع مركب من هيولى وصورة ، وذلك إذا لاحظ جزئيات من الأفلاك والأركان والمولدات والمصنوعات ، لأن في كل مصنوع آثار الصنعة باقية فيه يجبر العقل الغريزي إلى الإقرار به ، وإن لم يعرف متى عمل ؟ وكيف عمل ؟ ولم عمل ؟ ومن عمل ؟ ولكن حدوث الهيولى لا يعلم بالعقل الغريزي ، ولكن بالعقل المكتسب والعقلاء متفاوتو الدرجات في هذا العقل كتفاوتهم في العقل

الغريزي . وذلك أن كل من كان أكثر تفكيراً ، واكثر تأملاً للمعقولات الغريزية المأخوذة اوائلها من المحسوسات ، وأصفى نفساً ، كان أعقل وأرفع درجة في المعارف .

وإذا تأملنا وجدنا أكثر اختلاف العلماء في أحكام هذا العقل المكتسب ؛ إما من أجل تفاوتهم في درجات عقولهم ، وإما من أجل اختلافات قياساتهم وفنون استعمالهم لها . وذلك أن منهم من يستعمل في البحث عن دقائق العلوم القياس الجدلي ، ومنهم من يستعمل القياس الخطابي أو البرهان الهندسي أو المنطقي أو العددي ، فتختلف نتائجها بحسب اختلافها ، وتختلف احكام العقول بتفاوتها اختلافاً كثيراً .

ومن الواضح ان العقلاء وضعوا القياسات العقلية ليستخرجوا بها المجهولات بالمعلومات فيما اختلفوا فيه بتحرز العقول ، كما وضعوا الموازين والأذرع ليستخرجوا بها مقادير الأشياء المجهولة بالأشياء المعلومة لما اختلفوا فيه بالحزر والتخمين فيما يتعاملون ، وقد تكون هذه الموازين مختلفة ، بحسب بلدانهم وشرائعهم ، كذلك قياسهم العقلي . يختلف بحسب مراتبهم في درجات العقول المكتسبة .

والذين قالوا بقدم الهيولى أداهم إلى هذا الحكم طريق القياس الذي استعملوه .وذلك انهم نظروا في هذه الهيولى كنظرهم في هيولى الصناعة ، وهيولى الطبيعة ، وهيولى الكل ، فقاسوا بها ، ولذلك انحرفوا عن الصواب وأخطأوا القياس ، باعتبار ان هيولى الصناعة مصنوع الطبيعة ، فهي شيء موجود ، وهيولى النفس هو مصنوع المبدع المخترع لا من شيء آخر ، فلو أنهم سلكوا في البحث عن حدوث العالم مسلك الفلاسفة الربانيين لما اختلفوا ، وذلك أن هؤلاء الحكماء الربانيين ، لما أرادوا البحث عن حدوث العالم والهيولى الأولى ، فكروا بالأمور الرياضية فأحكموها ، ثم بحثوا عن الأمور الطبيعية فعرفوها معرفة صحيحة ، ثم تفكروا في الأمور الإلهية وبحثوا عن حدوث العالم ، وحدوث الهيولى كيف كان ، فأدركوا ما طلبوا ، وفهموا ما أدركوا ،

وتصوروا ما بحثوا عنه ، وبحثوا عما تصور لهم ، وسكنت نفوسهم إلى ذلك .

ومن هنا كان القائلون في ماهية الهيولى وحدوثها مختلفين في ماهيتها وكيفية حدوث الأجسام منها وهذا الخلاف هو من إحدى أمهات الآراء والمذاهب المفرعة عنها . فالهيولى كما يعرفها أهل الحق انما هي جوهر بسيط روحاني معرى من جميع الكيفيات ، قابل لها على النظام والترتيب الأول فالأول ، غير علامة ولا فعالة ، بل قابلة آثار النفس بالزمان ، منفعلة لها . والنفس فعالة في الهيولى بالتحريك لها بالزمان . والهيولى الأولى فاضت من النفس ، فقبلت منها الصور والأشكال بالزمان شيئاً بعد شيء ، وقبلت المقدار الذي هو الطول والعرض والعمق ، فصارت بذلك جسماً مطلقاً ، وهو الهيولى الثانية .

والهيولى الأولى له ثلاث علل : العلة الفاعلية وهو الباري والصورية وهو العقل ، والتمامية وهي النفس ، وللهيولى الأولى أربع اضافات ، دالة على عُلَى مرتبتها في الموجودات ، التي أوجدها المبدع سبحانه وتعالى .

ويرى علماء أهل الحق أن كل ما سبق شيئاً فهو هيولى ، كما يقال هيولى الغزل القطن ، وهيولى الثوب الغزل ، وهيولى السيف الحديد ، وهيولى الكرسي الخشب ، والهيولى الصناعية هي الموجودة في الأعمال الدنيوية ، كما أن الأفلاك من جملة الهيولى ، وهو الانبعاث الثالث حسب ترتيب عالم العقول المنبعثة ، التي وجودها بالانبعاث من عالم الإبداع حيث انبعثت الصورة مع الهيولى على النسبة الموجبة وجودهما على ذلك بأن تكون احداهما فاعلة والأخرى مفعولة فيها على النظام الموجود عليه حال الموجود الأول الذي هو الإبداع . ويطلق عليهما ايضاً اسم الكرسي والعرش ، وهيولاه التي هي جسمه في التهيؤ والموافقة لصورتها على أمر يكاد أن يكون كهي لشدة اتحادهما بما شاع فيهما من نور الوحدة بقربه منها .

وكان الذي في الموجود الأول من الهيولى الذي هو من جنس ما هو خارج عنها مما لا وجود لها إلا به هو الحياة المعرب عنها بالصورة التي هي العاقلة لذاتها

ولذات ما هي فيه من الجسم ، إذا نهض لفعل ما يوجبه كماله من استدامة المسرة بالتقديس والتحميد ، فيتحرك بحركته المتحرك من جسمه .

وهيولى كل مؤمن ما جاء به الناطق في شريعته من قرآن وصلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وولاية ، والتأويل العلمي العرفاني الذي بينه الوصي والأساس هو أيضاً هيولى لأهل الحق وللمؤمن العارف الناهد إلى الكمال المطلق .

وأهل الحق كما يظهر من مؤلفاتهم العرفانية يعرفون الهيولى والصورة عرفانياً مستعملين ميزان الديانة للإستنباط والإستدلال على الموجودات التي توجب تعلق وجود الدعوة الحقة التي هي قصد الأساس تأويل ما حصرته الشريعة التي هي قصد الناطق للتأله وإكمال الغير بوجود الدعوة الشرعية التي لولاها لما كانت أن يكون تعلق وجود حركة الفلك الثاني الذي هو فلك الكواكب إلى المغرب بحركة فلك أعلى منه هو غيره ، وهو الفلك الأعلى . وكون الأساس قائماً برسوم الدعوة الشرعية التي هي من ترسيم الناطق وإفادته ، وبرسوم الدعوة الحقة التي هي قسطه خاصة والإستفادة من الناطق ، أن يكون للفلك الثاني حركتان حركة بحركة الفلك الأعلى إلى المغرب التي تماثل الإفادة ، وحركة تختص بذاته إلى المشرق التي تماثل الإستفادة . وكون الحدود في عالم الدين في حضانة تعليمهم من جهة الأئمة ومن دونهم قائمين بحكم الدعوتين جارين على رسومهما ظاهراً وباطناً ، إفادة واستفادة أن تكون الأفلاك التي دون الفلك الثاني كلها يتحرك حركتين : حركة ذاتية إلى المشرق وحركة بحركة الفلك الأعلى من المشرق إلى المغرب ، وكون الكتاب الذي جاء به الناطق معمولاً به من جهة المقترن به من العترة الطاهرة العاملة فيه أن يكون الفلك بما هو جسماً متحركاً من جهة المقترن به من الصورة الفاعلة فيه . وكون الكتاب والعترة جزءين لعالم الدين بهما ذاته ووجودهما عن الناطق أن يكون المحرك المتحرك بهما ذات الفلك ذاتاً ، وأن وجودهما عن الإبداع الذي هو المبدع ، وكون الكتاب جامعاً للشريعة الجامعة للحلال والحرام والأحكام ، أن يكون الفلك الأعلى جامعاً للفلك الثاني الذي هو جامع للأفلاك والطبائع .

ويخلصون من هذه المطابقات العلوية والسفلية إلى القول بأن المتخلف عن الإجابة الذي هو المنبعث الثاني العقل الثالث ، والواقع عليه اسم الهيولى المتكثف المظلم ببعده عن مركزه وسقوطه من مرتبة الثالث الى العاشر ، حيث وقع به الاهباط عن الحال الأفضل الموجود إلى الحال الأرذل المهبط إليه من قبول التشكـل بالطول والعرض والعمق والخلف ، والأمام واليمين ، والشمال والفوق والتحت ، وهو المكان .

ولما كان ذلك كذلك وسقط الهيولى ، فتكثف وقبل الأشكال ، عمدت العقول المرتبة حسب الاجابة فأيدته بسريان تلك الأنوار ، وأعطته قوة وقدرة كان بها من ذاته ما هو فاعل ، ومنها ما هو منفعل .

المفتاح الخامس
« الأعـــداد »

يعتقد الحكماء ، الذين بحثوا في العلوم الإلهية أن علم العدد مطابق لصور الموجودات وأنه أول ما أيدت به النفس من المعلومات ، وأنه الطريق الحقيقي إلى التوحيد . وعلى هذا يكون علم العدد حسب اعتقادهم موجوداً في قوة النفس ، وإن كانت صورته البسيطة معدومة باللمس ، وإذا علمنا بأن الواحد يتلوه الثاني ، والثاني يتلوه الثالث ، وعلى هذه الصورة ما يأتي من مراتب الأعداد يتلو بعضها بعضاً حتى تكون مئين وألوفاً وألوف الألوف ، حتى تنتهي قوة العاد ، ويفنى الكلام ، ويخرج عن الوسع والطاقة ، لا يجوز لنا ولمن وقف وجوده على طلب معرفة التوحيد ، أن ننكر هذا الرأي ، لأننا إذا تصورناه بقوة نفوسنا ، وجدناه منطبع فيها كوجوده في الحس .

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نعتبر بما لا يقبل الجدل والشك ان سائر العلوم موجودة في علم العدد ، وصورته مطابقة لصورة الموجودات ، فكمال الحالين له ، وهو صورة البسائط بالقوة ، وصورة التراكيب بالفعل ، فأما كونه صورة البسائط بالقوة ، فالقول بالألفاظ المؤلفة من الحروف ووضع كل مرتبة منه في مكانه بالقول في النفس غير محتاج إلى مكان بالحس ، ولا معرفة باللمس ، لتصوره في النفس . وأما كونه صورة المركبات المحسوسة والأشياء المركبة الموضوعة في الأمكنة ، الكائنة في الأزمنة ، المشار إليها بالأسماء التي هي الواحد والاثنان ، والثلاثة ، والأربعة ، والخمسة ، والستة ، والسبعة ، والثمانية ، والتسعة ، والعشرة ، وما زاد بالغاً ما بلغ ، فهو بالقوة مصور في نفس العاد ، وهو بالفعل صورة المعدود ، وتكون صورة العدد في نفس العاد ، كمثل النقش في الهيولى ، فتكون النفس هيولى الصورة العدد فيها ، فيكون

حينئذٍ ألطف منها بمنزلة الروح ، وتكون هي بمنزلة الجسد .

ولذلك قلنا أن علم العدد من الإضافات العقلية والتأييدات الإلهية ، وانه القائد للنفس إلى معرفة التوحيد ، والإقرار بالمبدع الأول ، ولذلك صارت العلوم تابعة له ، وهو أصل لها كلها ، وهي فروع له ، وهو القول الذي تفرعت عنه المقولات ، وشجرة اليقين ، ومبدأ الشرع والدين ، وعليه بنيت الصلوات ، وبه عرفت العبادات ، وبه يعرف الزمان ، وما يمضي من أدوار الكواكب والأفلاك ، وما يحدث من حوادث الأيام ، فهو هلال العارفين ، ومصباح الحكماء العقلانيين ، ومبدأ كل مقال ، وإليه مآل كل حال ، أوله مطابق لآخره ، وآخره متصل بأوله ، فأوله الواحد الذي لا مخلوق موجود قبله ، وآخره متصل بالواحد الذي لا شيء بعده ، جامع للوحدة والكثرة ، واحد بالذات ، كثير بالأضافات .

ولما كان مذهب أهل الحق ، النظر في جميع علوم الموجودات في العالم ، من الجواهر والأعراض والبسائط والمجردات والمفردات ، والمركبات ، والبحث عن مباديها وعن كمية اجناسها وأنواعها وخواصها ، وعن ترتيبها ونظامها ، على ما هي عليه ، وعن كيفية حدوثها ونشوئها عن علة واحدة ، ومبدأ واحد ، من مبدع واحد ، ويستشهدون على بيانها بمثالاة عددية ، وبراهين هندسية ، رأينا أن نقدم طرفاً عن علم العدد ليسهل الطريق أمام طلاب المعرفة ويقرب استيعابها للمبتدئين بالبحث في العلوم العددية ، والحكمة الربانية .

ولما كانت الألفاظ تدل على المعاني ، والمعاني هي المسميات ، والألفاظ هي الأسماء ، كان اشمل الألفاظ والأسماء قولنا « الشيء » والشيء إما أن يكون واحداً أو أكثر من واحد . فالواحد يقال على الوجهين ، إما بالحقيقة وإما بالمجاز . فالواحد بالحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له ولا ينقسم ، وليس فيه غيره ، بما هو واحد . وأما الواحد بالمجاز فهو كل جملة يقال لها واحد كما يقال عشرة واحدة،ومائة واحدة ، وألف واحد . والواحد واحد بالوحدة كما أن

الأحمر احمر بالحمرة ، والوحدة صفة للواحد ، كما أن الحمرة صفة للأحمر . وأما الكثرة فهي جملة الآحاد ، وأول الكثرة الاثنان ، ثم الثلاثة ، وما زاد على ذلك بالغاً ما بلغ . والكثرة نوعان إما عدد وإما معدود ، والفرق بينهما أن العدد انما هو كمية صور الأشياء في نفس العاد ، وأما المعدودات فهي الأشياء نفسها ، وأما الحساب فهو جمع العدد وتفريقه . والعدد نوعان صحيح وكسور ، والواحد الذي قبل الاثنين هو أصل العدد ومبدأه ، ومنه ينشأ العدد كله ، صحيحه وكسوره ، وإليه ينحل راجعاً . أما نشوء الصحيح فبالتزايد ، وأما الكسور فبالتجزؤ .

والعدد الصحيح رتب أربع مراتب : آحاد ، وعشرات ، ومئات وألوف . فالآحاد من واحد الى تسعة ، والعشرات من عشرة إلى تسعين ، والمئات من مئة إلى تسع مائة ، والألوف من ألف إلى تسعة آلاف . ويشتملها كلها اثنتا عشرة لفظة بسيطة ، وذلك من واحد إلى عشرة ، عشرة ألفاظ ، ولفظة مئة ، ولفظة ألف . وأما سائر الألفاظ فمشتقة منها أو مركبة أو مكررة .

ويرى جماعة أهل الحق أن كون العدد على أربع مراتب ليس هو امراً ضرورياً لازماً لطبيعة العدد مثل كونه ازواجاً وأفراداً صحيحاً وكسوراً ، بعضها تحت بعض ، لكنه أمر وضعي رتبه العلماء بأختيار منهم ، لتكون الأمور العددية مطابقة لمراتب الأمور الطبيعية ، التي جعلها الباري مربعات ، لتكون مطابقة للأمور الروحانية التي هي فوق الأمور الطبيعية ، وهي ليست بأجسام . وكذلك العدد كله آحاده وعشراته ومئاته وألوفه ، فأصلها كلها من الواحد إلى الأربعة .

ولما كان الباري أول شيء أبدعه من نور وحدانيته العقل الأول ، كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار ، ثم انشأ المنبعث الأول الذي هو النفس الكلية الفلكية من نور العقل الأول . كما أنشأ الثلاثة بزيادة الواحد على الاثنين . ثم انشأ المنبعث الثاني الذي هو الهيولى الأولى من حركة النفس ، كما أنشأ الأربعة بزيادة الواحد على الثلاثة ، ثم انشأ سائر الخلائق من الهيولى ورتبها بتوسط العقل والنفس ، كان وجود سائر العدد من الأربعة ، بأضافة ما

قبلها إليها .

هذه لمحة خاطفة عن علم العدد قدمناه بإيجاز واختصار ومن شاء الاستزادة فليراجع هذا العلم في بعض المؤلفات الحقانية .

المفتاح السادس
« الكواكب والأفلاك »

الهدف الأكمل ، والغاية القصوى ، في علم النجوم ، ودوران الأفلاك ، وتسيير الكواكب والأجرام ، مطابقة هذا العالم القائم بذاته مع عالم الأرواح والعقول ، وعالم الصنعة النبوية ، والأجسام الطبيعية ، لمعرفة أحوال كل عالم من هذه العوالم ومماثلتها مع حدود الدعوة الحقانية ، لتكون شبه المدخل لتعبيد الطريق أمام المستجيبين ، وتقريب الحقائق الوجودية أمام المستفيدين ، لعبوا منها بقدر الطاقة ، وحسب الإستعداد النفسي والعقلي .

ومن الواضح بأن أدارة الأفلاك وتسيير الكواكب ، ومجيء الأنبياء والرسل والحكماء ، ونزول الملائكة إلى الأنبياء بالوحي والأنباء تهدف إلى اسعاد الإنسان وخيره ، ليزول منه العجز ، والنقص ، والشر ، ويعود إلى ادراك حقيقة نفسه ، وما يحيط به من العوالم العلوية والسفلية ، ويعود بنفسه بعد ان تعرف حقيقة جوهرها إلى الكل الذي انطلقت منه ، وبذلك تتم الحكمة ، وتكمل المعرفة ، ويصبح العالم خيراً كله ، وسعادة كله ، وحقيقة كله .

والعالم كله من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض ، جسم واحد ، وان روحه هي كلمة الله التي تمده بالتأييد والإفاضة والجود ، ليتم ويبقى في الوجود .وليست هذه الترتيبات والتنظيمات وحركات العوالم بعضها مع بعض بدقة وانتظام سوى حكمة إلهية متقنة للدلالة على حقيقة توحيده .

وعلم النجوم الذي برع فيه علماء أهل الحق ، وصنفوا فيه العديد من الكتب والرسائل ينقسم برأيهم إلى ثلاثة أقسام : قسم منها ينهد إلى معرفة تركيب الأفلاك وكمية الكواكب ، وأقسام البروج وأبعادها وعظمها وحركاتها ، وما يتبعها من هذا الفن ، ويسمى هذا القسم « علم الهيئة » .

والقسم الثاني هو معرفة احوال الكواكب وحركاتها لاستخراج التواريخ وعمل التقاويم ، والقسم الثالث هو معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج وحركات الكواكب على الكائنات قبل كونها تحت فلك القمر ، ويسمى هذا النوع « علم الأحكام » .

ولتقريب فهم علم النجوم على المستفيدين نقول بأن أصل علم النجوم هو معرفة ثلاثة أمور ، وهي : الكواكب ، والأفلاك ، والبروج . فالكواكب كما أشار اليها علماء أهل الحق أجسام كريات مستديرات مضيئات ، ويبلغ عددها ألف وتسعة وعشرون كوكباً كباراً ؛ وقد أدركت معالمها بالرصد ، منها سبعة كواكب سيارة ، وهي : زحل والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر ، ؛ والباقية تدعى الكواكب الثابتة ، ولكل كوكب من السبعة السيارة فلك يخصه . والأفلاك هي أجسام كريات مشفات مجوفات ، وهي تسعة أفلاك مركبة بعضها في جوف بعض ، وأدناها الينا فلك القمر وهو محيط بالهواء من جميع الجهات ، ومن وراء فلك القمر فلك عطارد ، ومن وراء فلك عطارد فلك الزهرة ، ومن وراء فلك الزهرة فلك الشمس ، ومن وراء فلك الشمس فلك المريخ ، ومن وراء فلك المريخ فلك المشتري ، ومن وراء فلك المشتري فلك زحل ، ومن وراء فلك زحل فلك الكواكب الثابتة ، ومن وراء فلك الكواكب الثابتة فلك المحيط .

والفلك المحيط دائم الدوران ، يدور من المشرق إلى المغرب فوق الأرض ؛ ومن المغرب إلى المشرق في ظل الأرض ، في كل يوم وليلة دورة واحدة ، ويدير سائر الأفلاك والكواكب معه ، والفلك المحيط يقسم إلى اثني عشر قسماً ، كل قسم منها يسمى برجاً ، وهي : الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان ، الاسد ، السنبلة ، الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدي ، الدلو ، الحوت . وكل برج ثلاثون درجة ، جملتها ثلثمائة وستون درجة ، وكل درجة ستون جزءاً ، وكل جزء يسمى دقيقة ، جملتها احد وعشرون ألفاً وستمائة دقيقة . وكل دقيقة ستون جزءاً يسمى ثانية ، وكل ثانية ستون

جزءاً ، وكل جزء يسمى ثالثة ، والتقسيم يجري على هذا الشكل الى الروابع والخوامس والسوادس وما زاد ، بالغاً ما بلغ .

ولهذه البروج صفات شتى من جهات عدة تتفق مع الزمان ، والجهات الأربع ، والأركان الأربع ، والطبائع الأربع ، والأخلاط الأربع ، والرياح الأربع . ولا بد من تقديم لمحة موجزة عن هذه الصفات فنقول : منها ستة شمالية ، وستة جنوبية ، وستة مستقيمة الطلوع ، وستة معوجة الطلوع ، وستة ذكور ، وستة إناث ، وستة نهارية ، وستة ليلية ، وستة فوق الأرض ، وستة في ظل الأرض ، وستة تطلع بالنهار ، وستة تطلع بالليل ، وستة صاعدة ، وستة هابطة ، وستة يمنة ، وستة يسرة ، وستة من حيز الشمس وستة من حيز القمر .

وتنقسم هذه البروج من جهة اخرى أربعة أقسام : ثلاثة منها مثلثات ناريات حارات يابسات شرقيات على طبيعة واحدة وهي : الحمل والأسد والقوس ، وثلاثة منها مثلثات ترابيات باردات يابسات جنوبيات على طبيعة واحدة وهي : الثور والسنبلة والجدي ، وثلاثة منها مثلثات هوائيات حارات رطبات غربيات على طبيعة واحدة وهي : الجوزاء والميزان والدلو . ومنها مثلثات مائيات باردات رطبات شماليات على طبيعة واحدة وهي : السرطان والعقرب والحوت . و كذلك تنقسم هذه البروج ثلاث أثلاث ، أربعة منها منقلبة الزمان ، وهي : الحمل والسرطان والميزان والجدي ، وأربعة منها ثابتة الزمان ، وهي الثور والأسد والعقرب والدلو ، وأربعة منها ذوات الجسدين وهي : الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت .

والبروج الاثنا عشر تنقسم بين هذه الكواكب السبعة السيارة من عدة وجوه ، ولها فيها أقسام وخطوط من وجوه شتى : فمنها البيت والوبال ، ومنها الأوج والحضيض ، ومنها الشرف والهبوط ، ومنها الجوزهر ، أي الرأس والذنب ، ومنها ربوبية المثلثات ، ومنها ربوبية الوجوه ، ومنها ربوبية الحدود ، ومنها ربوبية النوبهرات ، ومنها ربوبية الاثني عشريات ، ومنها ربوبية مواضع

السهام ، وهذه الكواكب السيارة كالأرواح ، والبروج لها كالأجساد .

ولكل واحد من هذه الكواكب السيارة دلالة على أعداد معلومة من السنين والشهور والأيام والساعات يستدل بها على أعمار المواليد ، وعلى طول بقاء الكائنات في عالم الكون والفساد .

بعد أن قدمنا هذه المعلومات الموجزة عن الأفلاك والكواكب لا بد لنا من الإشارة إلى تجرد النفس واشتياقها إلى عالم الأفلاك ، فإذا فكر الإنسان العاقل في وجود الكواكب والأفلاك ، وسرعة دورانها ، وعجيب حركاتها ، وأقسام البروج وأوصافها ، تشوقت نفسه إلى الصعود إلى الفلك والنظر إلى ما هناك عن قرب ، ولكنه يجد نفسه عاجزاً عن الصعود بهذا الجسد الثقيل الكثيف ، رغم ان العلم الحديث وما استعمل فيه من وقاية مكنت بعض الأشخاص من الهبوط على سطح القمر لدراسته ، واختبار تربته ، كما ارسلت بعض السفن لتدور حول بعض الكواكب والأفلاك بقصد دراستها وتصويرها ، لتكون تلك الصور عوناً لعلماء الفلك على فهم طبيعة هذه الأفلاك والكواكب .

وفي اعتقاد جماعة أهل الحق الذين كونوا عقائدهم قبل هذه الانجازات العلمية الحديثة وما رافقها من اكتشافات كونية ، غيرت الكثير من الآراء القديمة عن الأفلاك والكواكب وعالم الفضاء ، أقول في اعتقاد هذه الجماعة أن النفس إذا فارقت هذه الجثة ولم يعقها شيء من سوء أفعالها ، أو فساد آرائها ، وتراكم جهالاتها، أو رداءة أخلاقها ، تستطيع الوصول إلى عالم الأفلاك في أقل من طرفة عين بلا زمان ، لأن كونها حيث همتها ومحبوبها ، كما تكون نفس العاشق حيث معشوقه. فإذا كان عشقها هو الكون مع هذا الجسد ، ومعشوقها هذه اللذات المحسوسة المحرقة الجرمانية ، وشهواتها هذه الزينة الجسمانية ، فهي لا تغادر عالم الكون والفساد ولا تشتاق الصعود إلى عالم الأفلاك ، ولا تفتح لها أبواب السموات ، ولا تدخل الجنة مع زمر الملائكة ، بل تبقى تحت فلك القمر سائحة في قعر هذه الأجسام المستحيلة المتضادة ، تارة من الكون الى الفساد ، وتارة من الفساد إلى الكون : ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم

جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾

ويبدو أنهم اعتمدوا في هذا المعتقد على ما جاء في الشرائع السماوية ، وفي مصنفات بعض الفلاسفة والحكماء الذين بحثوا في هذه العلوم العقلانية ، بدون ان يلتفتوا إلى ما ستحمله الأيام من اكتشافات فضائية وتقدم علمي عظيم في حقل الفضاء والكواكب والأفلاك ، غيرت الكثير من الآراء والنظريات القديمة التي تهدف إلى مزج العلوم الفلكية مع أحكام الدين ، لتقريب المعارف الدينية العقلانية من عقول الناس وتشجيعهم على الإيمان فيها .

المفتاح السابع

« عالم الأجسام »

عالم الأجسام يحتل مكاناً بارزاً بالنسبة لعقائد جماعة أهل الحق الذين يعتبرون العالم كله من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض جسم واحد ، رتب ونظم وفق تنظيمات وترتيبات كافة الموجودات العلوية والسفلية ، عندما تركبت الأفلاك العالية ، ودارت بالقوة الحركة المحكمة المنبعثة من النفس الكلية ، وسرت في الجسم المطلق القوى الباعثة للأشياء من حال القوة إلى حال الفعل ، بواسطة الهيولى الأولى .

والجسد له صفات مختصة إذا جرد من الجوهر النفساني ، فهو جوهر جسماني ذو طعم ولون ورائحة وثقل وخفة وسكون ولين وخشونة وصلابة ورخاوة ، وهو متكون من الأخلاط الأربعة التي هي الدم والبلغم والمرتان المتولدة من الغذاء الكائن من الأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض ، ذوات الطبائع الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ؛ والجسد معرض للفساد والاستحالة ، وعائد إلى هذه الأركان الأربعة بعد الموت الذي هو مفارقة النفس الجسد وتركها استعماله .

وأما الصفات المتعلقة بالنفس بمجردها فهي أنها جوهرة روحانية سماوية نورانية حية بذاتها غلامة بالقوة ، فعالة بالطبع ، قابلة للتعاليم ، فعالة في الأجسام ومستعملة لها ، ومتممة للأجسام الحيوانية والنباتية إلى وقت معلوم ، ثم انها تاركة لهذه الأجسام ومفارقة لها ، وراجعة إلى عنصرها ومعدنها ومبدئها كما كانت ، إما بربح وغبطة ، أو ندامة وحزن وخسران .

ولما كانت أكثر امور الأنسان وتصرف أحواله مثنوية متضادة ، كان من جوهرين متباينين : جسد جسماني ونفس روحانية ، صارت قنيته أيضاً نوعين :

جسمانية ، كالمال ومتاع الدنيا ، وروحانية ، كالعلم الذي هو قنية للنفس ، كما أن المال قنية للجسد .

والأجسام كما ذكرنا أعلاه موجودة في كافة انواع الموجودات من الكواكب إلى الأفلاك إلى الأجساد البشرية ، والحيوانية ، والمعدنية ، والنباتية ، والصناعية ، وهذه الأجسام كلها من حيث الجسمية لا تتحرك ، بينما الأفعال لا تكون إلا بالحركة ، فالمحرك للأجسام إذن جوهر آخر غير الأجسام ، الذي هو نفس ، والنفوس ، من حيث النفسية ، جوهر واحد ، كما أن الأجسام ، من حيث الجسمية ، جوهر واحد ، وانما تختلف النفوس بحسب اختلاف قواها ، واختلاف قواها بحسب اختلاف أفعالها ومعارفها وأخلاقها ، كما ان اختلاف الأجسام بحسب اختلاف اشكالها ، واختلاف اشكالها بحسب اختلاف أعراضها .

وكما أن جسم العالم جسم واحد بجميع أفلاكه وكواكبه وأركانه ومولداته ، كذلك نفس العالم نفس واحدة ، لها أفعال كلية ، بقوى كلية ، وأفعال جنسية بقوى جنسية ، وأفعال نوعية بقوى نوعية ، وأفعال شخصية بقوى شخصية ، وهي حركتها من المشرق إلى المغرب وبالعكس ، ومن الشمال إلى الجنوب . وبالعكس ، ومن فوق إلى أسفل وبالعكس ، سميت هذه القوى بأفعالها نفوساً جنسية ونوعية وشخصية فتكثرت النفوس بحسب قواها المختلفة ، وتكثرت قواها بحسب أفعالها المفتنة ، كما تكثر جسم العالم بحسب اختلاف أشكاله ، وتكثرت اشكاله بحسب اختلاف اعراضه ، فأفعال نفس العالم الكلية هي إدارتها الأفلاك والكواكب من المشرق إلى المغرب بالقصد الأول ، وتسكينها مركزها الخاص بها ؛ وأفعالها الجنسية ما يختص بكل فلك وكل كوكب من الحركات الستة العارضة ، وحركات الأركان الأربعة من الحركات الطبيعية ، وأفعالها النوعية ما يختص بالكائنات المولدات التي هي الحيوان والنبات والمعادن ، وأفعالها الشخصية التي تظهر من أشخاص الحيوانات وما يجري على أيدي البشر من الصنائع .

ويرى أهل الحق أن الأجسام العالية مختصة بالحركة الدورية التي هي أشرف الحركات ، في أشرف الأجسام ، وذهبوا الى أن الجسم الأعلى الذي هو الفلك الأول له حركة واحدة ، وما دونه له حركات ، لذلك كانت حركته بأعتباره ابسط الأفلاك جسماً أشرفها أمراً ، ولا تلحقه الاستحالة ولا يصيبه الفساد ، كونه من الآلات الأولة ، والأسباب المتقدمة لوجود الأشياء المتظرة ، وعلة قريبة لوجودها المتعلق بوجوده ، وبواسطة الفلك الأول تكون العناية بأحكام الآلات التي بها يتعلق وجود الأفعال المقترنة بوجود الموجودات .

والأجسام العالية هي الأفلاك والكواكب ، التي ركبتها العناية الإلهية في غاية الإحكام ، وأعطتها كمالاتها ، لتكون مؤثرة بحركاتها ثابتة بأعيانها غير مستحيلة في ذواتها حافظة صورها وموادها ، وموادها بكمالها صورها ، وهذه أجسام سافلة قابلة آثار المتحركات عليها بذاتها زائلة في طباعها مستحيلة في كيفياتها مهيئات للانفعال ، فاعل بعضها في بعض ، فاعلة في الموجودات عنها ، متوجهة موجوداتها في القبول إلى ما لها أن تقبل من الأعراض التي فيها كمالها المقصود بهذا الترتيب المحكم الحسن .

والمثال على ذلك الحديد الذي هو دون الآلات المعمولة قائم بقبول الصور زيادة على ما كان عليه موجوداً في ذاته من الصورة التي بها وجوده جسماً ، وإن كان الكل من جهة كونهما حديداً شيئاً واحداً لا يتقدم أحدهما الآخر فيكتسب بالوارد عليه من تأثيرات الآلات من جهة الصانع الذي هو أحد الآلات ايضاً ضور كثيرة بها يبلغ ماله أن يبلغه ، فكانت الآلات بمنزلة الاجسام العالية لا تنفعل في الفعل عن المفعول به ، فإنها قد قصد من صنعتها لحالة تبقى معها فاعلة لا تنفعل ، والحديد الذي هو المعمول به بمنزلة المادة تنفعل في الفعل عن الفاعل ، مثل المسن الذي ينفعل في فعله تحديداً للسكين عن الفاعل فيه الذي هو السكين .

المفتاح الثامن

« العــرش »

يعتبر العرش أول موجود أوجده الباري في العالم الجسماني ، كما أن روحه هي أول موجود في العالم الروحاني . وهذا العرش وهذه الروح هما كالقلب والروح بالنسبة الى حقيقة الانسان وروحه المجرد ، لأن القلب كالعرش الجسماني ، وروحه كالروح الحقيقي لقول الرسول (ص) فيه : قلب المؤمن عرش الله . اي عرش الله ومظهر ذاته المقدسة لقوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ .

ويذهب علماء أهل الحق بأنه قد ثبت في القاعدة الأولى من التوحيد بأن جميع الموجودات ، هي ذات حياة ونطق ومعرفة . والمعرفة هي العلم الحقاني الناهد إلى اظهار الحقائق الماورائية العقلانية التي أوجدها الباري سبحانه وتعالى عن طريق الإبداع والإنبعاث ، لذلك فقد تأكد لدى أهل الحق بأن العرش الصوري هو صورة العرش الحقيقي الذي هو العقل الأول أو الموجود الأول السابق لجميع العقول في الإبداع والإنبعاث ، وجميع المعارف العقلانية ، والعلوم الحقانية حاصلة للعقل الأول ، حصولاً أزلياً أبدياً لا ينقص منه شيء أصلاً .

ولا نبغي من قولنا العرش إلا العرش الحقيقي الذي هو حامل لهذه المعارف والعلوم ، بأعتبار أن هذه المعارف والعلوم ، هي سبب حياته ، أي حياة الموجود الأول ، وبقائه المعروفة بماء الحياة . لقوله تعالى : ﴿ وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ .

وفي الحقيقة العرفانية الإلهية لم يكن عرشه سبحانه وتعالى على الماء

الصوري ، لأنه ما وجد الماء إلا بعد العرش بزمان ، إذاً المراد بهذا القول هو الماء الحقيقي ، المعروف بماء الحياة الساري في جميع الموجودات ، المشار إليه بالهوية الإلهية ، وبالحقيقة العرفانية ، والعلوم الربانية التي بها حياة كل شيء ووجوده .

وعرش الله سبحانه هو مظهر ذاته المقدسة ، وجسمه الكلي الشامل لجميع الموجودات ، ومظهر اسم الباري المحرك المتحرك الأول . بما هو متحرك الذي هو الفلك الأعلى ، وانه جسم ومتحرك بما هو جسم وما يتلوه الأجسام العالية ، واعدادها الشريفة . ونفسه المسماة باللوح ، والنفس الكلية ، والكرسي ، أيضاً هي عرش الرحيم ، ومظهر رحمته العامة .

وصورة الرحمن الذي هو أول اسم بعد اسم (الله) هو جسمه المسمى بالعرش ، ولهذا قال تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ولم يقل : « الله على العرش استوى » . لأن اسم الله استواؤه على روح هذا العرش وحقيقته ، لا على جسمه المسمى بجسم الكل .

والعروش كما أشار اليها علماء أهل الحق متعددة ، والتفاوت بينها مختلف . ورغم هذا فقد حددوها بخمسة عروش هي : عرش الحياة ، وهو عرش المشيئة ، وهو مستوى الذات . والعرش المجيد الذي هو العقل ، أعني عرش الله وحقيقته ، والعرش العظيم وهو النفس التي هي اللوح المحفوظ . وعرش الرحمانية ، وهو أول الأفلاك . والعرش الكريم الذي هو الكرسي .

وفي اعتقادي أن كل هذه الأسماء التي أطلقها علماء أهل الحق على العرش ليست سوى صفات متعددة لذات واحدة مقصودة في هذه الأسماء تنطبق على الموجود الأول الذي هو العقل الأول ، الذي أبدعه المبدع من نور وحدته كحد أول من الحدود العقلانية ،ووكله بحفظ العالمين ليتم حكمته ، لأنه مشرف وحدته الذي به شرف نور التأييد ، ومعدن حكمته الذي به صح تجريد التوحيد . .

وبواسطة المبدأ الأول المذكور تعرف الأصول ، والفروع ، والفصول ،

والعلل ، والمعلولات ، والأسباب والمسببات ، وعلم الكيفيات واللميات . وهو ذا نسبتين : نسبة أشرف ونسبة أدون . فأما النسبة الأشرف فهي اضافته إلى مبدعه . ، وأما النسبة الأدون فنسبته إلى ذاته . ويكون فعله ذات الفعل الصادر عن الذي أبدعه دفعة واحدة ، مثل وجود أشراق بسيط الهواء عن ضوء الشمس بلا زمان ، بأعتباره قائماً بالفعل ، لا قائماً بالقوة ، فيكون بين كونه قائماً بالقوة ، وبين قيامه بالفعل ، إحاطته منه بذاته التي يتعلق بها وجود كل عقل منبعث تصور مدة وزمان يلزم أن يكون وجود الكل بوجود الابداع معاً . وإذا كان ذلك كذلك فوجودها بوجوده معاً ، لا بزمان ، بل كان وجود عالم الإبداع ، بما فيه من عقول دفعة واحدة عن المبدع لا من مادة تقدمت عليه ، ولا بشيء ، ولا في شيء ، ولا مع شيء ، ولا مثل شيء ، ولا لشيء . فهو الساكن من حيث انه استوى على عرشه في الكمال والتمام المتحرك .

وفي تطبيق ميزان الديانة ونظرية المثل والممثول ، نلاحظ أن الناطق في التنزيل أي الرسول النبي مثله مثل الموجود الأول أو العقل الأول أو السابق في عالم الإبداع . فهو الذي يستوي على عرش الشريعة ليفيد المستفيدين من العلوم الحقانية ، بصفاء جوهره ، ولطف صفاته ، وانوار بصائر ذاته .

ولما كان العقل الأول هو الأشياء كلها ، والأشياء كلها هي العقل ، لأن العقل الأول الذي هو ذات أمر الله تعالى علة لوجود الأشياء كلها جسمانياً وغير جسماني ، ووجود الأشياء كلها عن العقل ، كان الناطق هو الأشياء الدينية كلها ، والأشياء الدينية كلها هي الناطق ، لأن الناطق الذي هو رسول الله والقائم بأمر دينه ، فهو علة لوجود الأشياء الدينية كلها .

المفتاح التاسع
« الكـــرسي »

يرى جماعة أهل الحق بأن العرش الكريم هو الكرسي الذي أشار اليه سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم** ﴾ وقوله : ﴿ **ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب** ﴾ .

وهذا يعني بالمفهوم العلمي العرفاني أن الكرسي محيط بكافة الموجودات العلوية والسفلية . وهو الملك المقرب الذي هو المحرك المتحرك الأول بما هو محرك ، الذي هو الصورة المحركة لما هي فيه المسمى الفلك ، وهو داخل الجسم ، من الملائكة المقربين ، وحركته ليست مما به كونه جسماً ، ولا كانت مما نعده في حده فيكون الجسم طويلاً عريضاً عميقاً متحركاً ، ولا وجود الحركة فيه لا من ذاته ، وإذا كانت الحركة لا من ذاته كانت من غيره ، فالغير الذي هو منه الحركة لا جسم بكونه غيراً ، وإذا كان الغير لا جسماً فلا يخلو أن يكون في تحريكه الجسم إما داخله وإما خارجه ، ويمتنع أن يكون خارجاً بإمتناع كون الجسم متحركاً من محرك يحركه من خارجه وهو غير ذي جسم لحاجته في تحريكه إياه إلى اجزاء من جنس ما يحركه الذي هو الجسم بما يلقاه بذاته فيحركه ، وهو ليس بذي اجزاء ولا بذي جسم جملة بكونه غير جسم ، وإذا امتنع بكون ما هو خارج عنه غير جسم ولا ذي اجزاء ان يكون متحركاً ، وكان الفلك الأعلى الذي هو نهاية الأجسام جسماً متحركاً لزم أن تكون حركته من محرك هو داخله ، وأن يكون هذا المحرك لا جسماً ، فالمحرك للفلك الأعلى المعرب عنه في السنة الإلهية بالكرسي هو المحرك الأول للجسم بكونه فيه ، وهو المتحرك الأول بحركة ذلك الجسم المعرب عنه في السنة الإلهية بالعرش ، ولذلك يقال عند حد الطبيعة انها مبدأ حركة وسكون في الشيء الذي هو فيه بالذات ،

وذات هذا المحرك هي الحياة السارية من عالم الربوبية المعرب عنها بالصورة التي وجودها بالإنبعاث من عالم الإبداع مع الهيولى على النسبة الموجبة وجودهما على ذلك بأن تكون إحداهما فاعلة والأخرى مفعولة فيها على النظام الموجود عليه حال الموجود الأول الذي هو الإبداع على ما عليه طبيعة النسبة بكونها مفعولاً وذاته لا كذات العقول في التجرد من المواد صوراً محضة ، بل هي من شيئين بهما وجوده : أحدهما الهيولى والأخرى الصورة ، سماهما عالم الدين الكرسي والعرش ، وهيولاه التي هي جسمه في التهيؤ والموافقة والانبساط لصورتها على امر يكاد أن يكون كهي لشدة اتحادهما بما شاع فيهما من نور الوحدة بقربه منها ، واستعلاء حكم الصورة عليها حتى كأن كليهما شيء واحد لا مخلص لأحدهما عن الآخر ، ولذلك صار أبديًّا لا يتغير ، ولولا أنها كذلك في الموافقة والتشبه بها لما تحرك عنها ، إذ كان في الانبساط على حالة وافقها عليها وعنها كان تشبه إحداهما بالأخرى ، فصار ، كشيء واحد ، آثار الزوجية في ذاته قائمة ، وهي من جهة هذا الشيء الذي ليس في طبيعته كلياً كالصورة تلزمه الحركة ، وذلك أنه لما لم يكن بكلية صورة مجردة قائمة بالفعل مثل العقول البرية من المواد ، لم يجز أن يكون جسماً كله لأمرين : أحدهما كون النسبة التي عنها وجوده على أمرين موجبين بكونهما علة أن يكون معلولها على أمرين بها كماله . وثانيهما أنه لو كان جسماً كله من غير أن يكون منه مما به كماله ما يكون من جنس العلة الفاعلة فيحركه عند نهوضه للفعل الذي لا يتم إلا بهما جميعاً اضطرار الارتباط وجود أحدهما بالآخر فيكون بكونه كذلك لوجود أشياء سواه سبباً لما كان يمكن أن يتحرك عن الإبداع الذي هو المبدع المحرك الأول الذي هو خارج عنه مفارق ، وهو المبدع الذي هو لا جسم ولا ذو جسم ، وكان لا يكون إلى وجود الموجودات الجسمانية سبيل إذ من شأن الجسم إذا خلا مما يحركه من داخله أن لا يتحرك مما هو خارج عنه مفارق إلا مما هو ذو جسم مثله .

وبعد هذا البيان والشرح لا بد من وزن هذه الأمور الروحانية المتفاعلة بميزان الديانة لمعرفة حركة الحدود في عالم الصنعة النبوية فيقولون : لما كان

الناطق أشرف المتحركين في عالم الدين من الحدود يوجب أن المحرك المتحرك الأول في عالم الجسم أشرف المتحركات ، وكون حركة الناطق في الدعوة إلى العبادة أشرف حركات الحدود كلها ، يوجب أن تكون حركة المحرك المتحرك الأول أجل الحركات ، وكون دعوته إلى أمر لا يتناهى فينسخ بل يبقى ويدوم لا تبديل لكلمات الله ، يوجب أن تكون حركة المتحرك الأول لا تتناهى بل تكون أبدية لا تتغير ، وكونه من بين الحدود كلها مختصاً بالدعوة إلى العبادة الظاهرة التي تعم الناس كلهم من عالم وجاهل ، وإن كان لكل اعتقاد غيرها يوجب أن تكون حركة المتحرك الأول حركة واحدة تعم محركي الأجسام كلها ، وأن المحرك لكل جسم يختص بحركة غيرها ، وكون الناطق قائماً بالدعوة وتعليم النفس ، وكون وجهه إلى أساسه القابل منه أنوار العلم كلها يوجب أن تكون حركة المتحرك الأول وجهها من المشرق إلى المغرب الذي فيه تغيب الأنوار الجسمانية ، كون الدين على دعوتين : دعوة ظاهرة بها قيام الناطق الذي هو مشرق الأنوار ودعوة باطنة بها قيام الأساس الذي هو مغرب الأنوار ومقرها يوجب أن فوقنا حركتان : حركة من المشرق إلى المغرب وهي أعلى الحركات وأشرفها وتختص بالفلك الأعلى ، وحركة من المغرب الى المشرق وهي تختص بما دون فلك الأفلاك الذي هو فلك الكواكب ، وهما كما يعرفان في السنة الإلهية الكرسي والعرش .

المفتاح العاشر

« القــلم »

القلم الذي سطر بأمر الباري سبحانه وتعالى في اللوح الكريم سطور المشيئة ، وأحرف الإرادة ، وقول الحق ، ووعد الصدق ، وكلمات التمام ، والأسماء العظام ، أولاه علماء أهل الحق كل اهتمامهم فقدموا في كتبهم وأبحاثهم الكثير من النظريات والآراء التي تعطي الدليل الواضح على مرتبته العلوية الروحانية ، وماهيته بالنسبة لعالم الأرواح ، وعالم الصنعة النبوية .

ولقد كان لما كتبوه أطيب الأثر لدى طالبي المعرفة ، وعشاق التوغل في علم الحقيقة الإلهي ، الذي انحصر في جميع الكتب الإلهية ، وفي تأويل الآيات القرآنية تأويلاً استمدوه من صاحب التأويل ، ومن الواقع والحقيقة العقلانية ، التي تنسجم مع الوجود والموجودات الإبداعية والإنبعاثية .

ومن الملاحظ من افكارهم العقلانية أنهم يعتبرون العقل الأول أو الرحمن أو خليفة الله في ارضه هو المعنى بالقلم ، لأنه كالقلم في افاضة العلوم والحقائق على ألواح النفوس وصفحات القلوب ، وبالتخصص على النفس الكلية التي هي كاللوح بالنسبة إليه . وان حقق عرف أن تسميتها ـ أي النفس الكلية ـ باللوح أيضاً ما كان إلا لهذا ، لأن أول فيض يصدر من القلم أو ينزل من ذاته ، لا ينتقش ولا يصور إلا في اللوح وعليه ، ثم بعد ذلك يصل الى غيره من الموجودات . وبالحقيقة نسبة العقل الأول إلى الله هي هذه النسبة ، لأن أول فيض يصدر من الله ، أو ينزل ، لا ينتقش ولا يصور إلا فيه وعليه ، وبعده يصل إلى غيره .

وهذان المظهران هما الموسومان بـ (النون والقلم وما يسطرون) باعتبار

النون هو النفس الكلية بسبب نقوش العلوم كلها عليها تفصيلاً من القلم . والقلم هو العقل الأول والمثال على ذلك كالقلم الذي يأخذ المذاد المجمل فيه العلوم والحروف ليرقم به على الورق أو اللوح تفصيلاً . وقوله سبحانه : ﴿ وما يسطرون﴾ يعني ما يسطر هذا القلم على اللوح ، وما يسطر اللوح على غيره اجمالاً وتفصيلاً .

وما يكتبه هذان الكاتبان ، على قسمين : اما العلوم والحقائق . وهو الذي قال تعالى عنه : ﴿ علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم﴾ . وأما حقائق الأعيان وماهيات الوجود ، أو وجود الحقائق ، ووجود الماهيات المسماة بالكلمات الإلهية .

ولما كانت الكلمات الإلهية غير متناهية لقوله تعالى : ﴿ قل : لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ فالأول محله النفوس ، أي نفوس أبناء البشر والثاني محله الوجود بأسره . والأول هو اللوح محل العلوم ، والثاني الكتاب محل الأعيان . وإليه أشار تعالى بقوله : ﴿ والطور وكتاب مسطور في رق منشور ﴾ كان العقل الأول لمناسبته بالطور في علوه ، أو الفلك الأعلى ، ولا الكتاب المسطور ، هو النفس الكلية ، و« الرق المنشور » هو الوجود كله . وهذه إشارة علوية ، ورمز إلهي إلى صدور الموجودات عن اللوح والقلم .

ومن هذه المنطلقات العرفانية ، يمكننا أن نقول بأن الموجود الأول أو العقل الأول أو السابق هو القلم ، وان وجوده لا من ذاته ، وأنه علة تنتهي إليها الموجودات ، وأنه لا جسم ولا قوة في جسم ، وأنه خارج عن عالم الجسم ، كامل تام ، مكتفي بذاته ، مستغني في فعله عن غيره ،وهو الحد الأول المترتب أولاً في الوجود ، وهو المتصور انه لم يكن . فوجد على طريق الإبداع ، كاملاً أزلياً ، ذلك هوالملك المقرب والأسم الأعظم .

وعندما نطبق ميزان عالم الصنعة النبوية نجد أن الناطق في عالم الشرع والوضع أصلاً ينتهي إليه الكل من الحدود ، وليس فوقه إلا من أناله تلك

المرتبة العالية وهو تام في ذاته بنيله الكمال ، تام في فعله بكونه غير محتاج فيما شرعه وبينه وأتى به من الكتاب المبين الى غير يستعين به إلا ما به قوامه وتمامه ممن هو فوقه ، وذلك موافق ومطابق لما أشرنا إليه من وجود الموجود الأول أصلاً اليه ينتهي كل موجود ، وانه ليس فوقه إلا من أبدعه ، وأنه تام في ذاته ، تام في فعله وموازن له . فمن مصير الناطق علة تنتهي إليها الأشياء الدينية الوضعية القائم بالقوة منها والقائم بالفعل . وموازنة الموجودات عنه ما عليه الخلقة الإلهية ، قام الدليل على ان الشيء الأول هو علة تنتهي إليه العلل ، وكما صار الناطق أصلاً أولاً وجد عنه الكتاب والأساس صار الشيء الأول أصلاً أولاً وجد عنه الهيولى والصورة المفارقة ، وكما صار الناطق وجوده ناطقاً لا من جهة من كان من جنسه ، من البشر صار الشيء الأول وجوده لا عمن هو من جنسه ، وكما صار الناطق موجداً عن غير به وجوده ، صار الأول موجداً عن غير به وجوده .

ويرى علماء أهل الحق ان الموجود الأول هو عين الإبداع ، وعين المبدع وعين الوحدة وعين الواحد ، وانه المبدأ الأول الذي لا يتقدمه شيء ، ولا يسبقه في الوجود سواه ، وهو أزلي الآخر لا أزلي الأول ، لا يستحيل عما عليه وجد ، وأنه واحد لا مثيل له وانه لا يعقل إلا ذاته ، وهو الاسم الأعظم والمسمى الأعظم ، وهو المحرك الأول لجميع المتحركات ، والعلة الأولى في وجود ما سواه ، وانه لا يحتاج في الفعل إلى غير ذاته ، وأنه عقل في ذاته وعاقل لذاته ومعقول بذاته .

المفتاح الحادي عشر
« الهندســة »

يعرف علماء أهل الحق الهندسة فيقولون انها على نوعين : عقلية وحسية ؛ فالحسية بنظرهم هي معرفة المقادير وما يعرض فيها من المعاني ، إذا أضيف بعضها إلى بعض ، وهي ما يُرى بالبصر ، ويدرك باللمس . والعقلي هو ما يعرف ويفهم ، فالذي يرى بالبصر هو الخط والسطح والجسم ذوات الأبعاد وما يعرض فيها ، كما أن الثقل في الثقيل لا يعرف إلا بالعقل ، والثقل عين الثقيل . والمقادير في رأيهم ثلاثة انواع وهي : الخطوط والسطوح والأجسام ، وهذه الهندسة تدخل في الصنائع كلها ، وذلك أن كل صانع إذا قدر في صناعته قبل مباشرة العمل ، فهو ضرب من الهندسة العقلية ، التي هي معرفة الأبعاد ، وما يعرض فيها من المعاني ، إذا أضيف بعضها إلى بعض ، وهي ما يتصور في النفس بالفكر وهي ثلاثة أنواع : الطول والعرض والعمق . وهذه الأبعاد العقلية صفات لتلك المقادير الحسية ، وذلك أن الخط هو احد المقادير ، وله صفة واحدة . وهي الطول . وأما السطح فهو مقدار ثانٍ ، وله صفتان وهما الطول والعرض . وأما الجسم فهو مقدار ثالث ، وله ثلاث صفات وهي الطول والعرض والعمق .

وعلم الهندسة بالنسبة لدعوة أهل الحق من أسمى العلوم والمعارف التي يستدلون فيها على التوحيد ، وعلى ترتيب الموجودات العلوية والسفلية ، ومعرفة المقادير والأبعاد ، والعلل والمعلولات ، وكمية أنواعها وخواص تلك الأنواع ، ومبدأ هذا العلم من النقطة التي هي طرف الخط أي نهايته . ولا نقول إن هذه النقطة شيء لا جزء له ، لكن النقطة العقلية هي التي لا جزء لها .

والخط أصل السطح كما أن النقطة أصل الخط ، وكما ان الواحد أصل الأثنين ؛ والاثنان أصل لعدد الزوج كما بينا في بحث الأعداد ، وإذا تجاورت الخطوط ظهر السطح لحاسة البصر . والسطح أصل للجسم ، كما أن الخط أصل للسطح ، والنقطة أصل للخط ، كما أن الواحد أصل الأثنين ، والاثنان والواحد أصلان لأول الفرد ، وذلك أن السطوح اذا تراكمت بعضها فوق بعض ظهر الجسم لحاسة النظر .

والخطوط ثلاثة انواع : أولها الخط المستقيم ، وهو مثل الذي يخط بالمسطرة على الورقة باتجاه مستقيم . والثاني المقوس وهو مثل الذي يخط بالبركار . والثالث الخط المنحني وهو المركب منهما . والخطوط المستقيمة إذا أضيف بعضها إلى بعض ، إما أن تكون متساوية أو متوازية أو متلاقية أو متقاطعة .

والمتوازية هي التي اذا كانت في سطح واحد واخرجت في كلتا الجهتين إخراجاً دائماً ، لا يلتقيان أبداً . والمتلاقية هي التي تلتقي في احدى الجهتين ، وتحيط بزاوية واحدة . والمتماسة هي التي تماس إحداهما الأخرى ، وتحدث عن هذا التماس زاويتين أو زاوية . والمتقاطعة هي التي تقطع إحداهما الأخرى ، وتحدث من تقاطعهما ، أربع زوايا . وإذا قام خط مستقيم على خط آخر قياماً مستوياً من غير ميل الى طرف ، يقال للخط القائم العمود وللقائم عليه القاعدة . وإذا اضيف الخطان الى زاوية يقال لهما الساقان لتلك الزاوية . واذا قام خط مستقيم على خط ، وللخط والقائم ميل الى احد الطرفين ، يحصل زاويتان إحداهما اكبر يقال لها المنفرجة ، والأخرى أصغر يقال لها الحادة . وكل خط مستقيم يقابل زاوية ما ، يقال له وتر تلك الزاوية التي يقابلها .

والخطوط اذا اضيفت الى سطح ما ، يقال لها أضلاع ذلك السطح . وكل خط يخرج من زاوية وينتهي إلى اخرى يقال له قطر المربع . وكل خط يخرج من زاوية المثلث وينتهي إلى الضلع المقابل لها ، ويقوم على الخط المقابل لها على زوايا قائمة ، يقال لذلك الخط العمود ، ويقال للخط الذي وقع عليه

العمود القاعدة .

والزوايا من جهة الخطوط ثلاثة انواع . إما من خطين مستقيمين ، أو خطين مقوسين ، أو أحدهما مقوس والآخر مستقيم . وتتنوع هذه الزوايا بالنسبة للخطوط التي تحيط بها من جهة الكيفية فهي قائمة ومنفرجة وحادة . والخطوط القوسية على أربعة انواع ، منها محيط الدائرة ، ومنها نصف الدائرة ، ومنها اكثر من نصف الدائرة ، ومنها أقل من نصف الدائرة . ومركز الدائرة هي النقطة التي في وسط الدائرة ، وقطر الدائرة هو الخط المستقيم الذي يقطع الدائرة بنصفين . والوتر الخط المستقيم الذي يصل بين طرفي المقوس . والسهم هو الخط المستقيم الذي يفصل الوتر والقوس كل واحد منهما بنصفين، وهو إذا أضيف نصف الوتر الى نصف القوس ، يقال له عند ذلك الجيب المستوي . والخطوط المقوسة المتوازية هي التي مركزها واحد . والخطوط القوسية المتقاطعة هي التي مراكزها مختلفة . والخطوط القوسية المتماسة هي التي تماس بعضها بعضاً إما من داخل أو خارج ولا يتقاطع .

هذه لمحة خاطفة عن علم الهندسة الذي هو ميزان تعرف به الأبعاد كلها ، وأقطار السموات والأرض ومساحتها ، وأبعادها وكواكبها ، وكل موجود من الأجسام فيها ، وبهذا العلم تستخرج المجهولات ، وفيه حكمة بالغة ، وهو صناعة متقنة لا غنى لأحد عنها ، والحاجة داعية اليها ، والشعوب كلها تستعملها في معرفة الأشياء كلها ، وما يحتاجون اليه منها فيما يعلمون به ويحدثونه ، وغير ذلك ، من اعمال البناء والتعمير ، وإنشاء الجسور ، والطرقات ، والسدود .

وليست معرفة الهندسة العقلية التي هي أحد اهداف الحكماء الراسخين في العلوم الإلهية ، المرتاضين بالرياضات الفلسفية ، سوى من اجل نقل المستفيدين من علومهم من المحسوسات إلى المعقولات ، وترقيتهم من عالم الأمور الجسمانية إلى الأمور الروحانية ، حيث يعرفون جواهر انفسهم حق المعرفة كونها جذر العلوم وعنصر الحكمة ، وأصل الصنائع العلمية والعملية .

وعندما تتصور الأمور المحسوسة في جوهر النفس ، تستغني عن استخدام القوى الحساسة في إدراك المعلومات ، عند التفاتها إلى ذاتها ، حيث تجد صور المعلومات كلها في جوهرها ، فتستغني عن الجسد ، وتنتبه من رقدة الجهالة ، وتستعيد قوتها ، وتستقل بذاتها ، وتنعتق من عبودية الشهوات الجسمانية ، فتشاهد عالم الأرواح الذي تعود إليه بشوق وسعادة واطمئنان .

المفتاح الثاني عشر
« الموسيقى »

صناعة الموسيقى ، أو علم الموسيقى ، مركبة من الجسمانية والروحانية ، وأن الهيولى الموضوعة فيها ، كلها جواهر روحانية ، وهي نفوس المستمعين ، وتأثيراتها فيها مظاهر كلها روحانية . باعتبار أن الحان الموسيقى التي هي الأصوات والنغمات ، لها في النفوس الانسانية تأثيرات كتأثيرات صناعات الصناع في الهيوليات الموضوعة في صناعتهم ، لأن من تلك النغمات والأصوات ما يحرك النفوس نحو الأعمال الشاقة ، والصنائع المتعبة ، وينشطها ويقوي عزيمتها على الأفعال المتعبة للأبدان ، التي تبذل فيها مهج النفوس وذخائر الأموال ، وهي الألحان المشجعة التي تستعمل في الحروب وعند القتال ، ولا سيما إذا أنشد معها بأبيات موزونة في وصف الجهاد ، ومديح الشجعان .

ومن الألحان والنغمات ما يسكن الغضب ، ويبلسم الجراح ، وينمي صلة الحب والإخاء ، ومن الألحان والنغمات ما ينقل النفوس من حال إلى حال ، ويبدل السلوك ، والأخلاق ، والمناقب ، تارة عند الفرح والسرور ، وتارة عند الحزن والغم والمصائب ، وتارة في الأعياد وبيوت العبادات ، وعند الراحة والتعب ، وفي مجالس الانس والطرب .

ويرى جماعة أهل الحق أن علوم الموسيقى استخرجتها الحكماء بحكمتهم ، وعلموها للناس ، واستعملوها كسائر الصنائع في اعمالهم بحسب أغراضهم المختلفة . فأما استعمال الموسيقى والأنغام في بيوت العبادات ، وعند تلاوة الصلوات ، والدعاء والتضرع والبكاء ، فإن ذلك يستعمل لرقة القلوب ، ولخضوع النفوس وخشوعها ، لتنقاد إلى أوامر الله تعالى ونواهيه ،

والتوبة من الذنوب ، والرجوع إلى الباري بأستخدام سنن الشرائع والنواميس كما رسمت .

والموسيقى هي الغناء ، والموسيقار هو المغني ، والموسيقات هو آلة الغناء ، والغناء هو ألحان مؤلفة ،واللحن هو نغمات متواترة ، والنغمات هي أصوات متزنة ،والصوت هو قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجسام بعضها ببعض .

ولكل صوت نغمة وصفية ، وهيئة روحانية ، خلاف صوت آخر ، وأن الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل صوت بهيأته وصفته ، ويحفظها لئلا يختلط بعضها . ببعض ، فيفسد هيأتها ، إلى أن يبلغها الى اقصى مدى غاياتها عند القوة السامعة ، لتؤديها الى القوة المتخيلة التي مسكنها مقدم الدماغ ، وذلك تقدير العزيز الحكيم الذي جعل لكم السمع والأبصار ، والأفئدة قليلاً ما تشكرون .

وتأثيرات نغمات الموسيقار أو المغني في نفوس المستمعين مختلفة الأنواع ، كما وأن لذة النفوس منها متباينة ، كل ذلك بحسب مراتبها في المعارف ، ومعشوقاتها المألوفة من المحاسن ، فكل نفس اذا سمعت من الأوصاف ما ينطبق على معشوقاتها ، ومن النغمات ما يلائم محبوبها ، فرحت وسرت والتذت ، بحسب ما تصورت من رسوم معشوقها ، واعتقدت في محبوبها ، وربما وقع النكير من الأخرين ، إذا لم يعرفوا مذهبه ، ولا هدفه .

ولقد استدل العلماء والفلاسفة والحكماء بعقولهم الصحيحة ، وأذهانهم اللطيفة ، ومما لمسوه في نفوسهم الزكية ، وأرواحهم الطاهرة المضيئة ، أن للألحان تأثيرات على نفوس المستمعين ، كتأثيرات الأدوية والترياقات التي وجدت لمصالح الأجسام الحيوانية والتركيبات الطبيعية من الجواهر الجسمانية والصور الحسية .

وعندما علموا بما ألهموا من أمر الباري سبحانه وتعالى واتصلت أرواحهم بالدرجات العالية ، تبين لهم أن الأفلاك والكواكب والجواهر في

حركاتها واحتكاك بعضها ببعض ، تسمع لها نغمات مطربة عجيبة ، وألحان لذيذة كنغمات العيدان ، واصطخاب الأوتار ، ومجاوبة المزامير ، ونقر الطنابير ، وأنها فردوس النفوس ، ولذة الأرواح ، وان عالم السموات وفضاء الأفلاك هي منازل الروحانيين ، ومساكن الملائكة المقربين ، وانه عالم الحيوان ، ومكان الروح ، وأن أهله لا يذوقون الموت الذي يذوقه الأنسان ، ولا يقبلونه كقبول الأنفس المتعلقة بالأجسام ، الحالة في محل الهوان وانها جنات النعيم التي من وصل اليها نال السعادة الكبرى ، والمنزلة العظمى ، وبلغ سدرة المنتهى .

ويعتقد جماعة أهل الحق أن الغاية من علم الموسيقى ، هو تشويق النفوس الناطقة الإنسانية ، المهذبة بالعلوم التعليمية الرياضية ، والجسمانية الطبيعية ، والعقلية النفسانية ، والناموسية الإلهية ، لتبلغ حد النهاية ، وتصلح إلى الإرتقاء الى الملكوت الأعلى ، بعد مفارقة الأجساد البالية والأجسام الفانية ، والصعود الى حيث معراج الأرواح الخيرة من أهل البصائر ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والمؤمنين العارفين المستبصرين أهل الايمان واليقين .

ومن أجل هذه الأمور صنعت الحكماء الآلات الموسيقية ، واستخرجت الأنغام ، وركبت الأوتار ، وألفت الألحان المطربة بالحكمة الفلسفية الداعية إلى معالي الأمور ، لتنبيه النفوس الغافلة ، والأرواح الساهية ، بواسطة الألحان التي اتخذوها للفرح واللهو واللعب والطرب ، وانقادوا بها إلى الشهوات الجسمانية واللذات الطبيعية ، وطلبوا باستعمالها الخير والسعادة في الدار الآخرة والقرب من الله تعالى .

واذا تمعنا بدراسة العلوم الموسيقية نجد أن لكل أمة من الأمم الحاناً من الغناء وأصواتاً ونغمات لا يشبه بعضها بعضاً ، ولا يمكن معرفة عددها لكثرتها ، واختلاف ألوان وألسنة سامعيها ، ولكن لا بد لنا من أن نشير إلى أصول الغناء ، وقوانين الالحان التي منها يتركب سائر الألحان ، لأن الغناء

مركب من الألحان ، واللحن مركب من النغمات ، والنغمات مركبة من النقرات والإيقاعات . وأصلها كلها حركات وسكون .

وقوانين الغناء والألحان ثلاثة أصول هي : السبب ، الوتد ، الفاصلة ، فأما السبب فهو عبارة عن نقرة متحركة يتلوها سكون . والوتد هو نقرتان متحركتان يعقبهما سكون . اما الفاصلة فهي ثلاث نقرات متحركة يتلوها سكون . ومن هذه الثلاثة التي هي الأصل والقانون لجميع ما يركب منها من النغمات ، وما يركب من النغمات في جميع اللغات من الألحان ، وما يتركب منها من الغناء في جميع اللغات ، ومنها يتفرع سائر انواع الألحان ، واليها تنسب ، وهي الايقاعات المركبة من النقرات الثلاثة المفردة ، والتسعة الثنائية ، والعشرة الثلاثية . ومن هذه التراكيب ثمانية أنواع في الغناء العربي ، وهي : الثقيل الأول وخفيفه ، والثقيل الثاني وخفيفه ، والرمل وخفيفه ، والهزج وخفيفه . وهذه الثمانية الأجناس هي الأصل ومنها يتفرع سائر انواع الألحان .

ولا بد لنا ونحن في نهاية حديثنا عن علوم الموسيقى من الاشارة إلى ان الحكماء صنعوا آلات وأدوات كثيرة لنغمات الموسيقى وألحان الغناء ، ومتنوعة الأشكال والأنواع ، مثل الطبول والدفوف والنايات والصنوج والمزامير والسرنايات والصفارات والسلباب والشواشل والعيدان والطنابير والجنك والرباب والمعازف والأراغن والأرمونيقي وما شاكلها من الآلات والأدوات المصوتة . ويعتبر العود أحسن ما صنعه الحكماء .

وأما الأشعار التي كان الحكماء الالهيون يلحنونها ، عند استعمالهم الموسيقى في بيوت العبادة ، لترقيق القلوب القاسية ، وتنبيه النفوس الساهية من رقدة الجهالة ، ولتشويقها إلى عالمها الروحاني ، ومحلها النوراني ، ولإخراجها من عالم الكون والفساد ، ولتخليصها من بحر الهيولى ، ونجاتها من أسر الطبيعة ، فعلى هذا المثال : « يا ايتها النفوس الغائصة في بحر الأجسام المدلهمة ، ويا أيتها الأرواح الغريقة في ظلمات الاجرام ، الساهية

عن ذكر المعاد ، المنحرفة عن سبيل الرشاد ، اذكروا عهد الميثاق إذ قال لكم الحق : ﴿ **الست بربكم ؟ قلتم بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**﴾ . . . أو تقولوا : إنما اشرك آباؤنا الجسمانيون من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم جرمانيين في دار الغرور . وضنك القبور ، اذكروا عالمكم الروحاني وداركم الحيوانية ومحلكم النوراني ، وتشوقوا الى آبائكم وأمهاتكم وإخوانكم الروحانيين ، الذين هم في أعلى عليين ، الذين هم من أوساخ الأجرام مبـرؤ ن ، وعن ملابسة الأجسام الطبيعية منزهون . بادروا وأرحلوا من دار الفناء الى دار البقاء قبل أن يبادر بكم إلى هناك مكرهين مجبورين ، غير مستعدين نادمين خاسرين » .

المفتاح الثالث عشر
« الأخــلاق »

الأخلاق تعني الطباع المركوزة في العادات المكتسبة بعد الولادة الجارية ، والأسباب الداعية المولدة لها ، إما زائدة عليها ، أو ناقصة عنها في تصاريف أيام الحياة الدنيا إلى يوم مفارقة النفس الجسد .

ولما كانت النفس الإنسانية مؤيدة بقوى روحانية سائر الكواكب في الفلك ، وبقوى الروح الإبداعية ، في عالم العقول الإبداعية ، باعتبارها أفضل من النفوس الحيوانية وأشرفها ، فقد أعدها المبدع لقبول سائر الأخلاق ، وتعلم جميع العلوم والآداب والرياضيات ، والمعارف والسياسات، كما هيأ للجسد الانساني باعضاء بدنه المختلفة الأشكال والهيئات ، تعاطي جميع الصنائع البشرية ، والأفعال الإنسانية ، والأعمال الملكية . وذلك أنه سبحانه قد جمع في جسده جميع أخلاط الأركان الأربعة ، وكل المزاجات التسعة في غاية الإعتدال ، ليكون بها قابلاً لجميع أخلاق الحيوانات ، وخواص طباعها ؛ كل ذلك كيما يسهل عليه إظهار جميع الأفعال ، والصنائع العجيبة ، والأعمال المتقنة المختلفة ، والسياسات المحكمة . والغرض من هذه كلها هو أن يتمكن للإنسان التشبه بإلهه وباريه لأنه خليفته في ارضه ، وعامر عالمه ، ومالك ما فيه ، وسائس حيوانها ، ومربي نباتها ، ومستخرج معادنها ، ومتحكم ومتسلط على ما فيها ، ليدبرها تدبيرات سياسية ، ويسوسها سياسة ربوبية ، كما رسم له الوصايا الناموسية والرياضات الفلسفية ؛ كل ذلك حتى تصير نفسه نتيجة هذه العناية من الملائكة المقربين ، فتنال الخلود في النعيم أبد الآبدين .

وأخلاق الناس كما يعتقد جماعة أهل الحق تختلف من أربعة وجوه ،

أحدها من جهة أخلاط أجسادهم ومزاج اخلاطها ، والثاني من جهة تربة بلدانهم واختلاف أهويتها ، والثالث من جهة نشوئهم على ديانات آبائهم ومعلميهم ومن يربيهم ويؤدبهم ؛ والرابع من جهة موجبات أحكام النجوم في أصول مواليدهم ، وهي الأصل وباقيها فروع عليها .

والأخلاق المركوزة في الجبلة تعني تهيؤ ما في كل عضو من اعضاء الجسد يَسهُل به على النفس اظهار فعل من الأفعال ، أو عمل من الأعمال ، أو صناعة من الصنائع ، أو تعلم علم من العلوم ، أو أدب من الآداب ، أو سياسة من غير فكر ولا روية ، مثال ذلك انه متى كان الإنسان مطبوعاً على الكرم فإنه يَسهُل عليه العطاء من غير فكر ولا روية ، وعلى هذا المثال سائر الأخلاق والسجايا المطبوعة في الجبلة المركوزة فيها ، إنما جعلت لكيما يسهل على النفس إظهار افعالها وعلومها وصنائعها وسياساتها وتدبيرها بلا فكر ولا روية .

وأما من كان مطبوعاً على الضد من ذلك فهو يحتاج عند استعمال هذه الخصال ، وإظهار هذه الأفعال ، إلى فكر وروية ، ولا يفعل الإنسان هذه الأمور إلا بعد أمر ونهي ، ومدح وذم ، وترغيب وترهيب . وعلى هذا المثال يكون كل حكم في الطبع خلافه ، يحتاج صاحبه الى أمر ونهي . وبهذه العلة وردت أكثر أوامر الناموس ونواهيه ؛ ولهذا السبب كان وعده ووعيده وترغيبه وترهيبه ، ولو كان الإنسان الواحد مطبوعاً على جميع الأخلاق لما كان عليه كلفة في إظهار كل الأفعال وجميع الصنائع ولكن الإنسان المطلق الكلي هو المطبوع على قبول جميع الأخلاق ، واظهار جميع الصنائع والأعمال ، لا الإنسان الجزئي .

ويذهب علماء دعوة أهل الحق في تحليلهم للأخلاق إلى القول بأنها مركوزة في الجبلة ، ومكتسبة ، أما المركوزة في جبلة الانسان فهي تختلف حسب اختيارات كل واحد لها حسب ما تيسر له ، وتتأكد أسبابه ، وذلك أن من الناس من تيسر له أسباب الصنائع والحرف ، وآخر أسباب العلوم

والآداب ، وآخر أسباب التجارات والبيع والشراء ، وآخر أسباب الملك والسلطان ، وآخر أسباب البطالة والفراغ .

وهذه الطباع التي ركزتها الطبيعة في الجبلة من غير كسب من أبناء الدنيا ولا اختيار ولا فكرة ولا روية ولا اجتهاد ولا كلفة ، فهم يسعون فيها ويعملون عليها طلباً لمنافع الأجساد ودفع المضرة عنها ، كما قال الله تعالى: **﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام ، والنار مثوى لهم﴾** .

اما الأخلاق المكتسبة بالإجتهاد أو بموجب العقل والفكر والروية ، واتباع أوامر الناموس وتأديبه ، فهي عادة تكتسب من قبل الإنسان بطول الممارسة ، وكثرة الاستعمال لها ، باعتبارها من السجايا الحسنة ، والطباع الخيرة النافعة التي تعكس جميع ما تكون في النفوس من الخصال المركوزة ، في الجبلة الناهدة إلى الشهوات ، وطلب المنافع للأجساد ، ودفع المكروه والمضرة عنها ، وشهوة البقاء وكراهية الفناء ، كونهما أصل وقانون لجميع شهوات النفوس المركوزة في جبلتها ، وان تلك الشهوات المركوزة في جبلتها أصول وقوانين لجميع أخلاقها وسجاياها ، وتلك الأخلاق أصول وقوانين لجميع أفعالها وصنائعها ومتصرفاتها . وهذا الإنعكاس يكون عن طريق الاكتساب والتعليم ، والاستفادة من الأمور المعقولة ، والمعارف الربانية ، التي تعبر بالنفس المشتاقة الى معادها في سفينة النجاة الى دار الآخرة .

وإن أقرب الطرقات ما كان على خط مستقيم ، وأسهلها مسلكاً هو الذي لا عوائق فيه ، لذا ينبغي على الإنسان العاقل أن يتحلى بالأخلاق الحميدة ، ويكتسب العلوم النافعة ، بالدلائل العرفانية الواضحة ، فيكتشف طريق العبور المعبد إلى الأسرار الإلهية ، المخزونة ، التي أفادها الناموس إلى أوليائه وحكمائه ، وأصحاب دعوته الحقة ، الذين كانوا سبباً لنجاة الكل .

والأخلاق على نوعين : محمودة ومذمومة . أما المحمودة فهي التي تنسب إلى النفس الحكمية كشهوة العلوم والمعارف وما أعينت به على طلبها وإدراكها والوصول اليها من الخصال المركوزة والقوى المجبولة : كالذهن الصافي والفهم

الجيد ، وذكاء النفس ، وصفاء القلب وحدة الفؤاد ، وسرعة الخاطر ، وقوة التخيل ، وجودة التصور ، والفكر والروية والتأمل والاعتبار ، والنظر والاستبصار ، والحفظ والتذكار ، ومعرفة الروايات والأخبار ، وكل الأفعال والأعمال التي تهدف إلى الخير ، لأن الخير يراد من أجل ذاته والخير التام الكامل هو السعادة ، والسعادة تراد لنفسها لا لشيء آخر .

وسعادة الدنيا والآخرة وشقائهما أربعة أقسام : فمنهم سعداء في الدنيا والآخرة ، ومنهم أشقياء فيها ، ومنهم أشقياء في الدنيا سعداء في الآخرة ، ومنهم سعداء في الدنيا اشقياء في الآخرة .

فأما السعداء في الدنيا والآخرة ، فهم الذين وفر حظهم في الدنيا من المال والمتاع والصحة ، ومكنوا فيها ، فاقتصروا منها على البُلغة ورضوا بالقليل ، وقنعوا به ، وقدموا الفضل إلى الآخرة ، ذخيرة لأنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله** ﴾ .

وأما سعداء أبناء الدنيا وأشقياء الآخرة فهم الذين وفر حظهم من متاعها ، فتمتعوا وتلذذوا وتكاثروا ، ولم يتعظوا بالزواجر ، وتجاوزوا المقدار ، وطغوا وبغوا وأسرفوا ، والله لا يحب المسرفين ، وهم الذين أشار اليهم بقوله : ﴿ **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها** ﴾ وقوله : ﴿ **ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب** ﴾ .

وأما اشقياء الدنيا وسعداء الآخرة فهم الذين طالت أعمارهم فيها ، وكثرت مصائبهم في تصاريف أيامها ، وأشتدت عنايتهم في طلبها ، وفنيت أبدانهم في خدمة أهلها ، وكثرت همومهم من أجلها ، ولم يحظوا بشيء من نعيمها ولذاتها ، وأئتمروا بأوامر الباري ، ولم يتعدوا حدوده ، وقد ذكرهم سبحانه بقوله : ﴿ **أنما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب** ﴾ .

وأما اشقياء الدنيا والآخرة فهم الذين بخسوا حظهم من الدنيا ، ولم يمكنوا منها وتعبوا في طلبها ، فعاشوا فيها طول أعمارهم بأبدان متعوبة ونفوس

مهمومة ، ولم ينالوا خيراً ، ولم يأتمروا بأوامر الباري ، ولم ينقادوا لأحكامه ، ولم يتعظوا بزواجره ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين.

أما الأخلاق المذمومة التي أشرنا اليها فهي : طلب الشهوات ، والراحة ، والنعيم ، والتلذذ في متاع الدنيا ، والبخل ، والجبن ، والخداع ، والمراوغة ، والنفاق ، والابتعاد عن العلم وأهله ، والظلم والاستبداد ، وعدم تهذيب النفس واصلاح اخلاقها ، عدم الاتعاظ بزواجر الباري ونواهيه ، الانغماس في الشهوات ، وارتكاب المحظورات ، وهؤلاء أشار اليهم تعالى بقوله : ﴿ **فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾ وقال : ﴿ **انما الحياة الدنيا لعب ولهو**﴾ وقال : ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساءوالبنين والقناطير المقنطرة** . . .﴾ وآيات كثيرة في كتابه الكريم في ذم الراغبين في الدنيا ، والتحذير منها ومن غرورها وأمانيها .

المفتاح الرابع عشر
« الإلهام والكشف »

يتوصل الانسان العاقل الذي أدرك كيفية وجود الموجودات ، وعرف جوهر نفسه ، فأطلع على ما يحويه عالم الإبداع من العقول الإبداعية والإنبعاثية ، وتفاعلاتها ، مع العالم العلوي والسفلي ، وحركات الكواكب والأفلاك ، الى كشف الخفايا والأسرار الإلهية ، والرموز والإشارات الملكوتية ، إما عن طريق الإلهام وعدم الواسطة في المعرفة ، كما قال النبي (ص) : « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل » ، وإما عن طريق الوحي الخاص والعام .

والإلهام كما ذكره جماعة أهل الحق يكون خاصاً ويكون عاماً . فالخاص مخصوص بالأولياء والأوصياء ، والفلاسفة والحكماء ، ويكون بواسطة أو بغير واسطة ، فالذي يكون بالواسطة يكون بصوت خارج عن جسد الشخص ، يسمعه ويفهم منه المعنى المقصود ، والغاية المنشودة ، وينطبق هذا الحال على الأنبياء ، والأوصياء . والذي يكون بلا واسطة ، يكون بإيجاد المعاني والحقائق الماورائية في قلوب الأولياء من قبل المبدع دفعة واحدة أو تدريجاً ، كضوء المصباح الذي يشع في المصباح فور وصول التيار الكهربائي .

وأما الإلهام العام ، فيكون بعلة أو بدون علة ، وحقيقياً أو غير حقيقي . فالذي يكون بالعلة وحقيقياً ، فهو بمعرفة جوهر النفس وتقويمها بالأخلاق المهذبة . وتعليمها كيفية معرفة ذاتها ، لقوله تعالى : ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ . والذي يكون بغير علة وغير حقيقي ، فهو لخواص النفوس ، وفق الولادة والبيئة ، والجنس ، والبلدان التي يقطنها أصحاب هذه النفوس .

ويمكن التمييز بين هذين الإلهامين بواسطة الميزان الإلهي ، والمحك الإبداعي ، والنبي المرسل ، أو الامام المعصوم ، المطلع على خفايا الوجود والموجودات ، وحقائق العوالم العلوية وما فيها من عقول إبداعية وانبعاثية ، وكواكب وأفلاك ، لقوله تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** ﴾ .

فهؤلاء الأئمة الذين يتمتعون بالعصمة ، وكشف الحقائق ، لهم قوة تمييزية يعرفون بواسطتها الفرق بين الإلهام الحقيقي وغير الحقيقي ،وبين الجود الإلهي ، والجود الشيطاني ، باعتبارهم مطلعين على أسرار القرآن وحقائقه ودقائقه ، ومرموزاته وإشاراته ، لأنهم ينحدرون من بيت النبوة ويتمتعون بالعصمة .

ويرى علماء أهل الحق ان الخواطر التي تحقق الإلهام على اربعة أقسام : إبداعي ، إنبعاثي ، نفساني ، شيطاني . وكل خاطر من هذه الخواطر يدعو إلى التوجه الكلي ، والفناء الذاتي ، والابتعاد عن شهوات الدنيا ولذاتها ، هو إبداعي . وكل خاطر يدعو إلى الطاعة والعبادة والخيرات والمبرات ، فهو انبعاثي . وكل خاطر يدعو إلى ملذات النفس ، ومتاع الدنيا ، وشهواتها الجسدية ، فهو خاطرنفساني ، وكل خاطر يدعو إلى التمرد على المبدع ومخالفته بأي وجه كان فهو شيطاني . ولهذا قال تعالى : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى** ﴾ لأن النفس اذا خلصت من شهواتها ، دخلت في عالم العقول الإبداعية حيث الجنة والخلود في عالم الأرواح ، حيث تبلغ ما أعد لها من النعيم المقيم ، والصلاح العميم ، والأمر المستقيم .

ولا بد لنا ونحن نتحدث عن الإلهام والكشف ، من الالتفات إلى الوحي لنعرف ماهية الفرق بين الوحي والإلهام ، في منزلتيهما ، فنقول : الخاصية التي يتمتع بها الوحي الخاص هو العلم النبوي الإلهي . بينما الخاصية التي يتمتع بها الإلهام الخاص هو العلم اللدني الغيبي . والحاصل من الوحي العام والإلهام العام ، أما خواطر ابداعية ، أو هواجس شيطانية . والعلم

اللدني الحاصل من الإلهام ، وإن كان في جميع الأزمنة حاصلاً ، غير أن قوته وظهوره في هذا الزمان أكثر ، لأن الله سبحانه وتعالى لما ختم دور النبوة وسد باب الوحي الخاص أراد أن ينفتح باب الإلهام ، ويتسع طريق الولاية ، لطفاً بعباده وعناية بأحوالهم ،وهذا الباب في هذا العالم لا يقفل، وهذا الطريق لا ينسد ، إلا عند ظهور صاحب الأمر القائم المنتظر ، وقيام القيامة الكبرى ، وذلك كما انقطع طريق النبوة ، وأغلق باب الرسالة بموت آخر المرسلين (ص) .

وأما الكشف الحاصل للأنبياء ، والأولياء ، والحكماء ، فداخل تحت الوحي والإلهام ، باعتبار أن الكشف الشهودي والمعنوي مخصوصان بالأنبياء ، والرسل ، والكشف المعنوي والصوري مخصوصان بالأولياء والأوصياء والحكماء من حدود الدعوة ، وللكشف مراتب كثيرة وله طول وعرض . والمقصود بالكشف رفع الحجاب ، لمعرفة كنه ما وراء الحجاب من الحقائق الغيبية ، والأمور الخفية ، الكامنة وراء الحجاب ، سواء عن طريق المشاهدة بواسطة الحواس ، أو عن طريق السماع ، أو عن طريق الملامسة بالاتصال بين النورين أو بين الجسدين المثاليين ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة » وكما أخبر الباري سبحانه وتعالى موسى عندما طلب رؤية ذاته ، فأراه إياها بصورة النار والشجرة .

وفي الحقيقة ما رأى محمد الباري سبحانه إلاّ في صورة نفسه ، التي هي أحسن الصور ظاهراً وباطناً ، لقول النبي (ص) : « من رآني فقد رأى الله » وقوله (ص) : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » أي من شاهد نفسه وعرف جوهرها ، شاهد ربه وعرف جوهره الماورائي . ولجواهر النفوس عند الله منزلة وكرامة ليست لجواهر الأجسام ، وذلك أن جواهر النفوس حية بالذات ، علامة بالقوة ، فعالة بالطبع ، وجواهر الأجسام ميتة جاهلة منفعلة ، والنفس إذا قبلت فيض العقل ، واستتمت ضياءها كانت أفعالها وأفعال العقل . وإنما تستتم فضيلتها إذا هي اعتبرت احوال عالمها هي الصورة الإنسانية، لأن الله خلق الانسان في احسن تقويم وصوره في أكمل صورة ، وجعل صورته مرآة

لنفسه ، ليتبين له فيها صورة العالم الكبير وما هو مكنون في اللوح المبين .

ولما كانت النفس البشرية ناطقة مؤيدة من السماء ، لا بد من معرفة كيفية اتصالها بروح القدس ، عندما يرفع بينها وبين هذه الروح الحجاب ، وتحصل لها صورة أوائلها التي هي علة وجودها ، لأن لكل موجود في وجوده نهايتين كما ذكرنا في المفاتيح السابقة : أولى وغاية ، فما كانت نهايته الأولة مختصة بصورة فيه فنهايته الثانية هي الموجودة فيه تلك الصورة ، على ما عليه الحال في الموجود حساً من انواع النبات إذ الزرع نهايته الأولة في وجوده إن كانت حمص فغايته الثانية هي حمص ، مثله ، وإن كان شعيراً فغايته الثانية شعير مثله ، وعلى هذا الشكل تكون نوع الحيوان ، إن كانت نهايته الأولة بشراً فنهايته الثانية بشر مثله ، وإن كانت حماراً فنهايته الثانية حمار مثله . وإن قلنا إن شخص البشر أي الإنسان نهايته الأولى هي التراب ، فغايته الثانية تراب مثله بمصيره إليه ، كان حقاً يكون الأمر على ذلك في كل موجود فلا يتغير ولا يتبدل . ولما كانت أنفس البشر من الأمور الموجودة عن السابق عليها في الوجود ، وغاية الموجودات فلا يوجد وراءها ما تكون هي سبباً قريباً في وجوده كوجود ما سبق عليه في الوجود ، وكان سبباً لوجودهما ، كانت نهايتها من قبيل أسباب وجودها وعللها هي التي تنتهي اليها الموجودات الذي هوالموجود الأول : ولما كان الموجود الأول نهاية لها أولة ، وكان في كماله وقيامه فيما أبدع عقلاً هو حياة ذو علم وقدرة وقيام بالفعل بذاته من غير حاجة منه إلى غير به يتم فعله ، كان ما كان منها ـ أعني من النفس البشرية ـ في مثل حالها عقلاً مثله ، وان اختلفا في الرتبة ، ذلك من طريق الإبداع ، وهذا من طريق الإنبعاث الثاني من قبيل الطبيعة ، فهو النهاية الثانية ، ذلك بأن النهايات تتواصل وتتناسب بالذات والمعاني التي بها هي نهايات لما كانت له نهاية ، ويفضي بعضها إلى بعض،ومتى لا تكون الثانية كالأولى فتواصلها وتناسبها فتتم بها ذات الموجودات لم تكن نهاية ولا كانت الأولى لها مواصلة .

والنفس المؤيدة بكونها حياة ذات قدرة وعلم وقيام بالفعل مختصة بالفضائل التي اختص بها الأول كمالاً وتماماً منبعثة بما تجوهر به ذاتها انبعاثاً ثانية

مستغنية بما أفيض عليها ، كاملة قائمة بالفعل فلا تحتاج فيما تأتي به وتفعله إلى معين عليه طبيعي ، تامة بأنه ليس وراءها ما تكون هي سبباً لوجوده ، وهي الغاية الثانية ، والنهاية التي ليست بعدها نهاية إلا النهاية الأولى ، ؛ وهي لأنها هي تمام للموجودات ، ونهاية ثانية لها تفضي إلى الأولى وتواصلها ، والوصال الموجود بينهما أعني النهايتين من كلتيهما لا من إحداهما يكون وجود الأفعال التي هي نفس الموجودات موجودة عن الأولى والنهاية الثانية منها ؛ وإن كانت بوسائط وجودها ، فالأولى بكونها نهاية أولى فاعلة ، والثانية بكونها غاية اخرى قابلة ، وبالقبول من الأولى صارت الثانية منتسبة إليها ومتصلة بها ، وعلى ذلك فكيفية اتصالها بالأولى وقبولها في ذاتها أفعالها التي هي أنوارها التي بها تجلت فناسبتها وواصلتها ، ولو لم تكن العناية القائمة في ذلك ، ولا تلك القوى والأنوار من عالم القدس ساطعة في كل الموجودات الطبيعية فيستخص منها الأصلح فالأصلح فيواصلها لإصلاح غيرها وتهذيبه إلى قدر ما صارت نهاية ثانية لتعينها بذاتها على بلوغها غايتها في كمالها لكونها قائمة بالقوة ولذلك تعجز النفس عن المواصلة إن لم يكن من فوقها تواصل . ذلك بأن النفس وجودها بأمور كثيرة فيها اختلفت احوالها ولأجلها صار قيامها بالفعل لا يتم إلا بأن تعان ، فهذه العلة التي هي كونها قائمة بالقوة ومحتاجة الى معاونة معين على قيامها بذاتها للأمور التي بيناها هي التي تمنع أن تكون كلها مؤيدة في عالم الطبيعة ، والتي يؤيد منها فتنبعث هي التي قد حصلت في الوجود عن التقاء حركات الأجسام العالية والأنور الساطعة من عالم القدس ، التي هي علة الأكوان على امر قد قدر في الإفاضات الطبيعية والإلهية ، مثل قوله تعالى : ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ وقوله : ﴿ فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾ فتحصل به النفس الشريفة في الوجود فيكون في دواتها ، وإن كانت من دار الطبيعة وفيها سعيدة لا تنازعها النوازع الطبيعية كل المنازعة فتميل بل تكون بالطبع مائلة الى الخير لوجودها عن امور جاءت على نظام ومعاونة بعد ذلك من دار القدس مواصلة منها ، وما يكون بهذه الحالة فنادر بل لا يكاد يتفق حصوله إلا في الزمان الأطول والموعد الأبعد بحسب ما قدر العليم الحكيم تعالى .

ولا تزال تلك النفوس الشريفة من جهة الطبيعة وأحوالها موفقة في قبولها منها من مبدأ وجودها ما يمجد وجودها إلى أن تترعرع لتواصلها الأنوار الإلهية التي هي روح القدس لكونها خالية من الموانع التي تعوقها عن قبولها ، وهي على هذا الوجود في قبول ما تقبله من الأنوار الإلهية ليست في رتبة الناطقية على ما نرى،باعتبار ان فيض العقل الفعال لا يقبله إلا الناطقية التي هي العقل المستفاد ، بل هي في رتبة الحسية والتخيل ، وذلك لأن النفس الحسية هي عقل بالقوة ، وشرفها الذي هو كمالها فيها يكون محسوساً أن تتصوره وتتعلمه وفيها يكون معقولاً أن تعقله وتفكر فيه ، ونيلها لشرفها ذلك من قبيل التخيل للشيء الذي هوالفكر في الصور المنتزعة من المحسوسات المعلومة بالحواس ، والتخيل لها رفد ومعين من جهتين: من جهة المحسوسات بالأعمال والوضائع ، ومن جهة المعقولات بالفكر والاستنباط من وزن تلك الأمور المقصورة ومقابلتها في ميدان الإكتساب،وأن العقل الخارج الموكول إليه أمر الدنيا ساطع نوره وفيضه في الموجودات مشتملة غايته على الأنفس بهدايتها وتعليمها على ما قلنا من حصول المعارف في بدء الأمر في وجودها ، واذا كان نوره فائضاً ، وكان تحصل للأنفس التي ليس لها قوةعلى تصور الصور العقلية وحفظها في ذاتها معارف ، فالأنفس التي لها قوة على القبول والتصور أقدر على قبول ذلك الفيض ، وعلى ذلك فقد تقبله النفس الحسية في رتبة التخيل للمحسوسات من الأنوار حساً فيكون العقل الخارج الموكل بالأنفس يفعل فيها ويواصلها ، ويفيدها المعقولات الكلية والجزئية احياناً ، ويحصل لها ذلك بلا فكر ولا روية ، وهو أعلى رتبة الوحي وبالمنامات الصادقة وباليقظة على وجوه يتبينها تقريباً ، وعلى ذلك أن عالم الطبيعة نافذة فيه أنوار العقول الخارجة نفوذ الحرارة الحادثة عن حركة الأفلاك وأشعة الكواكب في الأجسام التي هي دون فلك القمر الناشفة من ذوات الرطوبات منها رطوبتها ونفوذ شعاع الشمس في الهواء في سريانها فيه وامتلاء العالم منها ، والنفس الزكية هيأة الطبيعة من مزاجها الذي عنه كان وجودها على أعدل امر ، وتصل اليها وصول الصوت إلى الأسماع بتهدفها له ، والنفس تقبلها قبولاً تاماً بحسب الواقع من المتهيأ

الصالح في وجودها ، فيكون حصول تلك الأنوار التي هي روح القدس ، وسريانها في النفس مثالاً للوحي الذي يجيؤها ولا يزال يطرقها ويواصلها وينقدح في ذاتها نور المعارف وقتاً بعد وقت ، لا في حال نومها وتركها استعمال آلة الحس بل في حال يقظتها ، أما أن يغمى عليها فتنفرد بما جاءها فتعي وتتصور ما القي اليها من ذلك العالم الإلهي ، ولمع في ذاتها من الأمور الغائبة الكائنة فيتصور لذاتها ما تقبله من المعارف تصور المرآة صور الموجودات لمحاذاتها لها ، إلى ان تقوى بتلك القوى المستفادة في تلك الحالة الحادثة تزايداً كلياً فتكون هي كلية بوصول المعارف إليها لا من طريق المحسوسات وتكون تلك المعارف الملقاة إليها لوجودها من دار الوحدة وجود ما منه كانت الأجسام من الهيولى والصورة جملة اللتين كان في قوتيهما أن تكون منهما أشياء كثيرة محسوسة معارف كلية معراة من المواد ، مثل ما لمع في ذاتها من جهة الله مما فرضه جملة .

وخلاصة هذه الآراء العقلانية التي جعلها علماء أهل الحق شروطاً عقلانية للوصول بالنفس إلى درجة الكشف والإتصال بالذات الإبداعية عن طريق معرفة النفس جوهرها ، واكتساب العلوم والمعارف ، لتتوضح لها حقائق المعارف الكلية ، فتقبل الاتصال. في عالم الوحدة . وأما الوحي فيذهبون إلى انه اسم لما يعلم كلياً من غير تفسير وتفصيل وينقسم قسمين : أحدهما ما يعلم لا بواسطة ، والثاني ما يعلم بواسطة محسوسة ، فالذي يعلم لا بواسطة محسوسة هو الذي يعلو الجد فيحصل للنفس بما يجيؤها من نور دار القدس من جهة الملك المتمثل بشرر النار ، وذلك أعلى المراتب كلها من وجوه المعارف ، وأما الذي يعلم بواسطة محسوسة فينقسم قسمين : أحدهما خاص وهو ما يعلم من جهة تختص بالنفس المبعوثة صورة بأدراكها إياها حساً من غير مشاركة غير فيها ، فتراها بالحس وتخاطبها ، وغيرها لا يراها ولا يحس بها ، وذلك هوالخيال ، وثانيهما وهو ما يعلم من وجوه تشترك فيها بالإحساس النفس المؤيدة المبعوثة ، وتنفرد بمعرفة المنطوي فيها من المعالم كلها النفس المبعوثة والمقتفون آثارها ، مثل الذي يعلم من جهة المحسوسات ، بالموجود فيها من آثار الحكمة والصنعة وأحكامها اللازمة لها والطارئة الناطقة عن ذاتها ، وان

كانت ساكتة المنبئة لها ، وإن كانت صامتة المعرفة به ، وإن كانت بها غير عارفة وذلك هو الفتح ، وهذا الوجه ينقسم إلى وجوه كثيرة يبلغ عددها ستاً وأربعين وجهاً على ما جاء في الخبر عن النبي (ص) .

ولما كان الجنس البشري من أعجب الموجودات التي تحت فلك القمر ، وأشرفها تركيباً ، وأحسنها صورة وهو مجموعة من جسد جسماني في أحسن الصور ، ومن نفس روحانية من أفضل النفوس . كان لكل واحد من جزأيه غاية إليها ينتهي ، ونهاية إليها يصعد ويرتقي . فأعلى رتبة ينالها الإنسان بجسده، وأشرف رتبة يبلغها ببدنه ، هي الملك والسلطان على أجساد أبناء جنسه ، والقهر والغلبة بالقوة الغضبية . وأعلى رتبة ينالها من جهة نفسه ، وأشرف درجة يبلغها بصفاء جوهرها ، فهي قبول الوحي الذي به يعلو على سائر أبناء جنسه ، وبه يغلبهم بما يدرك من المعارف الحقيقية بالقوة الناطقة . ولما تأكد أن النفس أشرف جوهراً من الجسد ، صارت الرتبة التي ينالها الإنسان بنفسه أشرف وأعلى من التي ينالها بجسده ، لأن هذه جسمانية دنيوية ،وتلك روحانية أخروية . ولما كان الوحي هو أشرف موهبة قد يجدها الإنسان في الدنيا ، وقد ذكرناه سابقاً ببعض الايجاز ، فنعود لنبين ماهية الوحي وكيف تقبل منه النفس التأييدات والإمدادات العقلية .

قلنا بأن الوحي هو إنباء عن أمور غائبة عن الحواس ، فيرفع الستار عنها ويقدمها في نفس الإنسان من غير قصد منه ولا تكلف . فتقبل النفس ما كشفه لها الوحي على ثلاثة أوجه : منها ما يكون في المنام عند ترك النفس استعمال الحواس ، ومنها ما يكون في اليقظة عند سكون الجوارح وهدوء الحواس . وهما نوعان: إما استماع صوت من غير رؤية شخص بإشارات دائماً . وإما استماع كلام من غير رؤية شخص كما قال الله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه﴾ .

والنوم يعني ترك النفس استعمال الحواس ، والرؤيا هي تصور النفس رسوم المحسوسات في ذاتها ، وتخيلها الأمور الكائنة قبل كونها بقوتها الفكرية في

حال النوم ، وسكون الحواس . والمنامات لها تصاريف وأفعال عجيبة ، إذ قد يبلغ من امرها وقوتها أن تتقلب بالأعيان ، وتتغير بها العادات وتصاريف أمر الناس ، من الغم والحزن في طلبها ، إلى الزهد فيها والترك لها ، والرغبة في الآخرة والإجتهاد في طلبها بعد الإعراض عنها . وتصديق جمهور الناس بأحكام المنامات وصحة الرؤ يا معروف لدى العقلاء ، ومما قاله الرسول في هذا المجال : « الرؤ يا الصادقة جزء من اجزاء النبوة » وقال : « قد ارتفع الوحي وبقيت الرؤ يا الصادقة » وقول إبراهيم عليه السلام ، لأبنه اسماعيل : « إني ارى في المنام أني أذبحك فأنظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر » .

ويرى جماعة أهل الحق أن رؤ ية المنامات على ستة انواع : فمنها ما هو أضغاث أحلام وأحاديث النفس ، ومنها ما يكون من جهة غلبة أخلاط الجسد ، ومنها ما يكون من جهة موجبات أحكام النجوم ، ومنها ما هو وساوس من الشيطان ، ومنها ما هو إلهام من الملائكة ، ومنها ما هو وحي من الله وتأييده .

أما أضغاث الأحلام فمثل ما يرى كل انسان ما يكون منصرفاً فيه نهاره ، ومفكراً فيه ليله من الأعمال والصنائع والتجارات والأقاويل والفكر والهموم وما شاكلها من أحاديث النفس ، وأما الذي يكون من غلبةأخلاط الجسد فهو مثل الذي يرى من غلبت عليه مرة السوداء من السواد والدخان والأحزان ، وكالذي يرى البلغمي المرطوب من الانداء ، والأمطار والأنهار والوحل ، وكالذي يرى الدموي من الفرح والضحك واللعب والسرور ، وكالذي يرى الصفراوي من الحريق والبروق والنيران والألوان الحمر .

وأما الذي يكون من أحكام موجبات النجوم فهو الأصل وسائرها فروع : وذلك أن بني الإنسان يختلفون في رؤ يتهم المنامات على فنون شتى : فمنهم من يكون كثير المنامات صحيح تأويلها ، ومنهم من هو بالضد ، ومن الناس من تكون عجيبة رؤ ياه غريباً تأويلها . وتصاريف أمثال هذه المنامات واختلاف تأويلاتها فحسب البروج وطبائعها والبيوت وأوتادها واستيلاء

السعود أو النحوس عليها .

وأما المنامات التي تكون رؤ يتها إلهاماً من الملائكة أو وسواساً من الشيطان فإن الباب فيهما واحد ، وإن كان الطريقان مختلفين ، وشرح هذين الطريقين يحتاج الى مجال أوسع ، لذا رأينا أن نكتفي بالقول بأن الأنسان العاقل يمكنه عن طريق العلوم والمعارف ، ومعرفة جوهر نفسه ، وهذب أخلاقه وصحح أعتقاده ، وزكى عمله ، وزهد في شهوات الدنيا ، ورغب في الأخرة ، واشتاق اليها ،وطلب اللحوق بالكل الذي انبثق منه ، فيقع له التصوروالإلهام ويأتيه الكشف ورفع الستار . أما أصحاب النفوس الشريرة التي يوسوس لها الشيطان ، فتقبل على ارتكاب الموبقات ، وتنغمس في الشهوات ، فإذا فارقت هذه النفوس الأجساد بعد الموت لحقت بما يماثلها من النفوس الشريرة التي سبقتها إلى العذاب والآلام ، وليست منامات هؤلاء إلا من وسواس الشياطين ، حيث يشاهدون حطام الدنيا من محاسن مرغوباتهم ومشتهياتهم ، فيزدادون رغبة فيها وشهوة .

أما رؤ يا أصحاب النفوس العارفة التي تكون من إلهام الملائكة ، فتكون فيها الموعظة ، أو في تفسيرها دلالة على التقوى أوحث على عمل الخير ، أو تزهيد في الدنيا ، أو ترغيب في الآخرة وذكر المعاد .

ولا بد لنا من عودة إلى التحدث عن كيفية قبول الوحي في اليقظة ، ورؤ ية الملائكة واستماع كلامهم . إذ ان كل انسان تكون نفسه أصفى جوهراً وأذكى فهماً ، وكان مذهبه واعتقاده يجسد الحقيقة ، وكانت سيرته مقتدية بسيرة الملائكة وافعالها ، تقبل نفسه إلهام الملائكة والوحي والأنباء ، وتنزل عليه الملائكة بالروح . وهو يراهم كما يرى رسوم الأشياء في المرايا وصورها ،ويسمع أصواتهم كما يسمع تردد الصدى .

وفي نهاية هذا المفتاح ، الذي تكلمنا فيه عن الوحي ، والإلهام ، والكشف ، ما فيه الكفاية لذوي الأبصار ، الذين ينهدون إلى تهذيب أنفسهم وتهيئتها لقبول إلهام الملائكة ، فننصحهم أن يستزيدوا من العلوم والمعارف ،

ويبتعدوا عن الأخلاق الفاسدة ، ويقتفوا سيرة اخوانهم من جماعة أهل الحق الذين كانوا أشد تشبهاً بالعقل ، وأعمق استبصاراً في حقائق الوجود والموجودات ، فترقوا في درجات الجنان ومقاماتها العرفيانة .

وبنهاية هذا المفتاح ينتهي كتابنا « مفاتيح المعرفة »
الذي يضم بين دفتيه من العلوم والفنون التي يحتاجها كل
إنسان ينهد إلى معرفة الحقيقة ، وطلب المعارف
والعلوم ، ليسلك مسلك الأخيار ، فلعل
نفسه تنتبه من نوم الغفلة ، وتستيقظ من
رقدة الجهالة ، وتصفو من كدر الطبيعة ،
وتنفتح لها عين البصيرة ،فتفهم وتعي
ما فيه من حقائق عقلانية

الفهـــرس

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر
هاتف: ٢٧٣٦٣٦-٢٧٥٥٣٢-٢٧٥٥٦٣-٢٧٥٨٦٧ - ص.ب: ١٣/٥٢٥١ بيروت - لبنان

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

هاتف: ٢٧٣٦٣٦ - ٢٧٥٥٣٢ - ٢٧٥٥٦٣ - ٢٧٥٨٦٧ - ص.ب: ١٣/٥٢٥١ بيروت - لبنان

